

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:/2024

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه

ميدان: اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات عامة

شعبة: الدراسات اللغوية

اللسانيات العرفنية وأجراتها عند الباحثين الجزائريين

إعداد الطالبة:

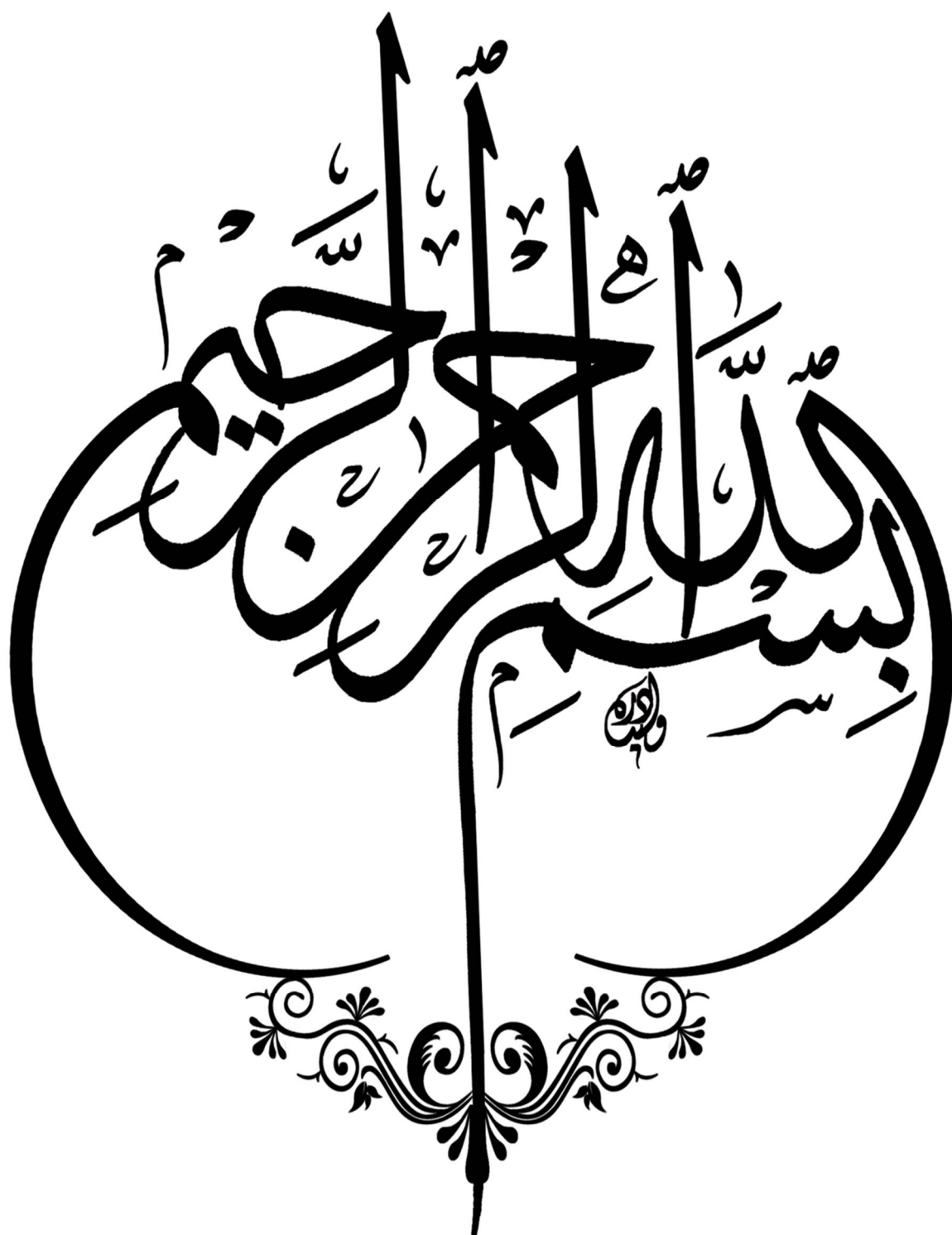
- إيمان عريوة

تاريخ المناقشة: 2025/02/02

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	المؤسسة	الصفة
1	عمر جادي	استاذ	جامعة المسيلة	رئيسا
2	صالح غيلوس	استاذ	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
3	سليمان بوراس	استاذ	جامعة المسيلة	ممتحنا
4	محمد بن صالح	استاذ	جامعة المسيلة	ممتحنا
5	سليم حمدان	استاذ	جامعة واد سوف	ممتحنا
6	سليم حمريط	استاذ	جامعة تيبازة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2025/2024م





شكر وعرفان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن كان لي في هذا العمل كلمة لا بد منها فهي الاعتراف بجميل عطائكم وفضلكم وإيمانكم بجهدنا وعملنا والإشراف عليه بعنايتكم العلمية على مدار سير هذه الأطروحة البروفيسور المشرف "صالح غيلوس"

نشكرك حتى يبلغ الشكر مداه والحمد لله أن وفقنا الله وكنا من الطلبة الذين أشرفت عليهم طيلة مسيرتك المهنية التي يشهد لها بتفانيك، وحسن عطائك الذي لا حدود له؛ أتذكر حينما سُلمت لنا مهمة البحث قد نصحتني؛ وهذا ليس بغريب فلقد كنت الموجه والمرشد والواعظ والأستاذ أن ألزم شيئين قبل أي شيء الخلق السليم والعلم المفيد فأفيد وأستفيد.

شكرا لك بروفيسور صالح غيلوس ودمت للعلم وفيا كل التوفيق في مسيرتك العلمية الحافلة بالنجاحات وجزاك الله عنا كل خير شكرا من أعماق قلبي لكل الأساتذة الكرام قبولهم مناقشة بحث تخرجي . كل الامتنان والتقدير لجميع أساتذتي بكلية الآداب واللغات كل باسمه ووسمه . كل الإحترام للعاملين في قسم الأدب العربي كل بمنصبه وشرف مترلته.

مقدمة

في ظلّ التطور الهائل الذي شهدته الدراسات اللسانية، في سياق انفتاح الدرس اللغوي على مجموعة العلوم المعرفية الأخرى، تمكن الباحث اللساني من الوصول إلى نظريات جديدة أكثر ما يميزها المضمون الفكري والعلمي التقني، يسّرت أمامه تطوير آلياته لدراسة اللغة والإحاطة ببيانات وقوانين العقل البشري، فأصبحت النظرية اللسانية تتسم بطابع البيئية، حيث تتآزر لتحقيق غايتها مجموعة من المعارف المتخصصة، التي لها القدرة على اكتشاف أسرار الدماغ البشري، كعلم الذكاء الاصطناعي، وعلم الأعصاب، وعلم النفس المعرفي، والبيولوجيا واللسانيات، وغيرها من العلوم المختلفة، ومعرفة مردود ذلك كله على نشأة اللغة وتطورها وكيفية اكتسابها.

إنّ هذه النظرية متضمنة أدوات إجرائية اكتسبتها في تقاطعها مع العلوم المعرفية، أو ما تم الاصطلاح عليه باللسانيات العرفية؛ هذا الفرع الجديد من علم اللسانيات الحديثة كان نتيجة أبحاث لسانية سابقة، وقد أخذت تتوسع عن طريق انتشار الأفكار اللسانية لعدة باحثين لسانيين في مجال العرفية على مستوى العالم، وبناءً على علاقة التأثير والتأثر وصل هذا الوافد اللساني الغربي الجديد إلى رحاب الساحة اللسانية العربية بواسطة النقل والترجمة، ومنه شهدت الدراسات اللغوية العربية إقبالا على هذا العلم بالتنظير والتطبيق عليه، فكانت هنالك إسهامات وأعمال لسانية عرفية هامة خاصة في شقها العملي.

تأسيسا على ما سبق كان عنوان البحث: اللسانيات العرفية وأجراتها عند الباحثين الجزائريين، وتمخض عن هذا العنوان إشكالية مفادها:

- ما مدى إحاطة اللّسانيين الجزائريين بأهم مقولات اللسانيات العرفية الأساسية؟

وتفرعت عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات وهي على النحو الآتي:

- ما حقيقة اللسانيات العرفية؟

- ما مكوناتها ومرجعيتها المعرفية؟

- فيما تتعين الجهود اللسانية العرفية الجزائرية المنجزة في هذا الشأن؟

- ما مدى توفيقهم في تمثيلها عبر مقارباتهم العملية لقضايا اللغة من منظور عرفي؟



ومن دواعي اختيار هذا الموضوع ما يشكله من أهمية علمية، سيما على مستوى التعريف بجهود اللسانيين الجزائريين في هذا الحقل المعرفي الجديد؛ والذي يمثل فرعاً مستقلاً في اللسانيات الحديثة، والوقوف على جملة الآليات المعتمدة في تنزيل المفاهيم اللسانية العرفية ومبادئها وضوابطها على صعيد التطبيق والإجراء فيما تم معالجته من موضوعات ذات صلة وطيدة بهذا المسلك البحثي من نحو: الاستظهار الذهني للمعرفة باستخدام اللغة، ودراسة طبيعة العلاقة بين اللغة والذهن، على اعتبار أن الظاهرة اللغوية منشؤها في الدماغ، وكذلك حقيقة العلاقة بين اللغة والفكر، واستنتاج قوانين عن العقل وكذلك الكيفية التي تنشأ بها اللغة أداة للتواصل وما إلى ذلك من الموضوعات والقضايا المرتبطة بالإدراك من ناحية، وبدور اللغة في ذلك من ناحية أخرى، والكيفية التي تم بها توظيف نتائج الدرس اللساني العرفي لمعالجة كثير من القضايا اللسانية ذات الصلة بتعليمية اللغة وإنتاجها وربطها بالحاسوب وبآليات اشتغال الذهن في إنتاج الدلالة اللغوية، وما إلى ذلك من القضايا التي تصاحب الطرح العرفي لظاهرة اللغة.

وقبل ذلك كله يهدف موضوع هذه الأطروحة:

إلى فهم السبل التي سلكها اللسانيون العرب في الاستفادة من نتائج الدرس اللساني العرفي لفهم كثير من الإشكالات المرتبطة بموضوع بناء اللغة وتوليدها وآليات اكتسابها بصفة عامة، والإحاطة بما تم التوصل إليه في سياق البحث اللساني العرفي الجزائري من أبحاث ودراسات في سبيل استنتاج قوانين إجرائية في دراسة اللغة من منظور مبادئ الدرس العرفي. والجدير بالذكر أن هذا الموضوع يعدّ جديداً وقديماً في الآن نفسه؛ فمن حيث ربط اللغة بالذهن بوصفه مصدراً للأدراك من ناحية، ووصفه مركزاً لكل العمليات المصاحبة للنشاط اللغوي من ناحية أخرى هي فكرة قديمة، تمتد إلى طرح أفلاطون لطبيعة العلاقة بين اللغة والفكر؛ إذ ميز بين مستويين من اللغة، أُصْطُلِحَ على المستوى الأول باللغة الداخلية وهي غير المنطوقة ولكنها تعكس الحقيقة الفكرية بشكل مطلق، في حين أُصْطُلِحَ على المستوى الثاني باللغة الخارجية باعتبار أنها لا تتقل حقيقة الفكر نقلاً كاملاً، ولئن كان أفلاطون قد أقرّ بحقيقة

العلاقة الموجودة بين الفكر واللغة، فإنَّ أرسطو قال باستقلالية الفكر عن اللغة، وظل السجال في هذا الأمر مستمرا منذ الفلسفة اليونانية إلى آخر ما وصل إليه الفكر اللغوي في عصرنا الراهن، بمعنى: وإن تعددت العناوين فإنَّ مرمى الدراسات والأبحاث المتداولة تروم على الدوام فهم مسألة العلاقة بين اللغة والفكر؛ أي علاقة اللغة بوصفها شكلا طبيعيا خارجيا (مادة) والفكر بوصفه شيئا داخليا مجرّدا على ضرورة التأكيد أنَّ الموضوع المطروح للنقاش لا يزال نفسه مع اختلاف في الطرح والمقاربة لقضايا هذا الموضوع المتداخلة.

تمثّل فكرة موضوع اللسانيات العرفنية في العصر الحديث؛ أي أن العلاقة بين اللغة والذهن تمثّل بؤرة اهتمام الدرس اللساني الحديث في اتجاهه العرفني، وهو في الوقت نفسه قديم باعتبار ما تم طرحه من أفكار وقضايا بخصوص هذه العلاقة؛ أي ارتباط النشاط اللغوي بالنشاط الذهني وتعلّق البنية اللغوية بجملة المظاهر الذهنية وجملة العمليات التي تمثّل مدار التفكير اللساني العرفني من نحو: الاستعارة العرفنية، الدلالة العرفنية، النحو العرفني...، وكلها مسارات يتبلور فيها الحدث اللغوي بغير انفصال عن دور العمليات الذهنية المصاحبة للتلفّظ والتعبير عن الوجود بأداة اللغة في سياق التجربة والواقع الإنساني، الذي لا ينفك عنه أي نشاط لغوي.

ونظرا لأهمية هذا الموضوع وجدية العلاقة بين الحدث اللغوي والنشاط الذهني، وما يترتب عنها من معرفة جديدة بشروط الفعل التواصلّي وغاياته، فإنَّ أبحاثا علمية كثيرة تم ضبطها في هذا المجال سواء ما تعلق بما ينتج في البيئة الغربية أو في البيئة العربية، ويمكننا الإشارة -في هذا السياق- إلى أهم ما وقع بين أيدينا من عناوين لأبحاث ودراسات عربية في السنوات القليلة الأخيرة مثل ما قام به سعيد بكار بدراسة: "الاستعارة في الخطاب السياسيّ مقارنة معرفية" الذي صدر عن ألفا للوثائق سنة 2022م، حاول من خلالها الإجابة عن إشكالية أساسية مفادها كيفية تصور أوباما للصراع الفلسطيني الإسرائيلي استعاريا، وأثر التصور الاستعاري في حل هذا الصراع، وكذلك ما قام به "سليم حمدان" في موضوع: الاستعارة التصويرية عند عبد القاهر الجرجاني من خلال كتابه أسرار البلاغة عن مجلة آفاق للعلوم،

العدد 04، المجلد 06، سنة 2021، أثار فيها مسألة كيفية تجلي ملامح نظرية الاستعارة العرفنية عند عبد القاهر الجرجاني، وفي كلتا الدراستين ركز الباحث فيهما على مبحث من مباحث اللسانيات العرفنية مطبقان إياها على قضية من قضايا اللغة وما أردنا إضافته في بحثنا هو دراسة مباحث اللسانية العرفنية بشكل عام، يضاف إلى ذلك الدراسة الموسومة ب: تداولية الاستعارة لعمار لعويجي التي صدرت عن مجلة طبنة للمركز الجامعي بركة الجزائري، سنة 2019م، أجاب فيها عن أشكال مفاده فيم تكمن مركزية الاستعارة التصورية في النظرية الدلالية التداولية قد توصل من خلالها أن معنى الاستعارة في البيان العربي يتمحور في شكله الفني في حين قد تعدى المعنى بذلك حدود التعبير ويجسد الاستدامة في الاستعمال والتداول في عصرنا الراهن، وهنا زواج الباحث بين مجالين معرفيين قد يتقاطعا في المفهوم والغاية وقد وضعنا ذلك في موضوع بحثنا وأدرجنا فيه بقية تقاطع هذا العلم مع العلوم الأخرى مع تحديد العلاقة بينهما، وأيضا إشكاليات تلقي اللسانيات العرفنية في الكتابات اللسانية العربية المعاصرة (نماذج مختارة)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث ل.م.د، لجهيدة سعودي، عن المركز الجامعي عبد الحفيظ بوصوف - ميلة المنطوية على إشكالية رئيسة إلى أي حد تواجه الكتابات اللسانية العربية إشكالات ومعوقات أثناء تلقيها للسانيات العرفنية، مجيبة على ذلك الطرح بأن وضعية البحث العربي لا يزال يخضع لإشكالات التلقي.

ولئن كانت هذه الأبحاث قد تناولت أهم ما يمكن أن يُطرح من قضايا وإشكالات في مساق ارتباط اللغة بالذهن، باعتبار أن البنية اللغوية وثيقة الصلة بالبنية الذهنية من حيث المنشأ، ومن حيث استخدام اللغة في الإدراك ومن حيث إنتاج المعنى والدلالة، فإن موضوع أطروحتنا يركز النظر على مسألة من الخصوبة والجدة ما يجعل منها مسلكا جديرا بالدراسة، ونعني بذلك مسألة أجرأة اللسانيات العرفنية لدى الباحثين الجزائريين، في مناحي متعددة في الدرس اللغوي.

إنّ هذا الموضوع يستهدف البحث في تحليل أهم المفاهيم التي قام عليها الطرح العرفني ويقف على ظروف تلقي الدرس اللساني العرفني في بيئة اللسانيات الغربية والعربية الحديثة

وبتغيا النظر في أساليب الأجرأة التي قام بها نخبة من اللسانيين الجزائريين لجملة المفاهيم والنتائج المتوصل إليها في الدرس اللساني العرفني، أمام هذه الغاية يستوجب أن يتشكل بحثنا وفق خطة منهجية موزعة على مقدمة، ثم مدخل، وثلاثة فصول، وخاتمة مرفقة بثبت المصادر والمراجع.

جاء المدخل موسومًا ب: النموذج العرفني وفعالية مقارباته على البنية اللغوية وسياق تلقيه في البيئة اللسانية العربية، تمت الإشارة فيه إلى تصور شامل حول السياق العام لانتقال الدرس اللغوي من النظام اللغوي الشكلي إلى النظام الذهني وبروز فعالية المقاربة العرفنية للبنية اللغوية المنجزة، كما عدنا إلى تقديم لمحة عامة عن الجهاز المفاهيمي للسانيات العرفنية وصولاً إلى السياق المعرفي لتلقيها عند العرب بصفة عامة.

أما الفصل الأول فقد جاء معنوناً ب: اللسانيات العرفنية في حقل الدراسات اللسانية الغربية (بين التأصيل النظري والتأسيس المعرفي) استهدف أهم المحطات اللسانية التي شهدت تحولات جذرية عبر الزمن، انطلاقاً من البراديغم (النموذج) اللساني البنوي وصولاً إلى البراديغم العرفني مع الوقوف في كل مرة على مصوغات التغير الذي طرأ على المنهج والآليات الإجرائية الخاصة بكل نموذج لساني وتوضيح العقبة المهمة لذلك التغير، لينتهي بنا المطاف إلى التحدث عن نشأة هذا العلم الجديد - اللسانيات العرفنية - من خلال طرح موضوعها ومفهومها وقضاياها ومضامينها، والتركيز على أهم تساؤلاتها وامتداداتها المعرفية.

أما الفصل الثاني؛ فقد جاء موسوماً ب: اللسانيات العرفنية في حقل الدراسات اللسانية العربية، وقد وقفنا فيه على حيثيات تلقي اللسانيات العرفنية في البيئات البحثية العربية، تحدثنا عن تلقي اللسانيات الغربية من طرف الباحثين العرب وإشكالية تلقي هذا المستجد اللساني الغربي في الثقافة العربية المعاصرة، كما انتقلنا للحديث عن تلقي اللسانيات العرفنية عند المشاركة والمغاربة (العرب) مع الإشارة إلى جملة الجهود المبذولة من طرف الباحثين العرب لنقل هذا العلم الوافد من بيئته الغربية وقضية المصطلح la cognition التي نالت حظاً من النقاش، كما تمت معالجة الاختلافات ومشكلات الترجمة التي شابت تلك الجهود.



أما الفصل الثالث؛ فُعُونَ ب: المساهمات البحثية اللسانية العرفنية الجزائرية، تعرفنا فيه على أهم الجهود اللسانية العرفنية لنخبة من الباحثين الجزائريين، حيث حاولنا الوقوف على مجموعة أعمالهم النظرية والإجرائية في مجال اللسانيات ومدى نجاحهم في نقل هذا العلم إلى الساحة اللسانية الجزائرية واستفادة اللغة العربية من آليات وإجراءات النظريات اللسانية العرفنية.

في خاتمة البحث تم ضبط مجموعة من النتائج والأحكام التي تم التوصل إليها عبر فصول البحث، وحرصنا على أن تكون متسلسلة تحتكم إلى رابط منطقي وفق تدرج عناصر خطة البحث.

ولتحقيق هذه الخطة على الصعيد العملي للبحث كان لزاما علينا أن نعتمد المنهج الوصفي مع الاستعانة ببعض أدوات التحليل والمقارنة، وذلك حسب ما يستوجبه السياق البحثي، حيث أن التحليل كان منهجنا في استيعاب المقولات والمفاهيم الأساسية للسانيات العرفنية، وذلك من خلال رد كل مفهوم إلى مرجعيته المعرفية وتحليل عناصره في إطارها، في حين أن الوصف استدعته ضرورة النظر إلى نتائج الدرس العرفني وأحكامه، وإلى أساليب الأجراء، كما هي متحققة ومنجزة لدى أصحابها المعنيين بالبحث العرفني، بوصفها نتائج ينظر إليها بذية الفهم والاستيعاب، دون ربطها بالأسيفة المتأتية منها، انطلاقا من تطور النموذج اللساني، من مدار الدراسات الوصفية، إلى مدار الدراسات العرفنية، والتطرق إلى نشأة مصطلح العرفنية وتطورها عبر مسارات البحث في بيئات بحثية معرفية مختلفة.

كما استوجب بحثنا العودة إلى بعض المراجع ذات الصلة المباشرة بموضوع البحث، لعل أهمها: حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، وصالح غيلوس، مباحث لسانيات عرفنية، والأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ومصطفى غلفان، مشاركة امحمد الملاح، حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية، من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، محي الدين محسب،

الإدراكيات أبعاد إبستمولوجية وجهات تطبيقية، مع التأكيد على الإفادة من مصادر ومراجع أخرى مثبتة في قائمة المصادر والمراجع.

وكانت من أبرز الصعوبات التي واكبت البحث، خاصة ما تعلق بالتداخل والتعقيد الذي من موضوع بحثنا بشكل عام لارتباط اللسانيات العرفية بحقول معرفية مجاورة، لها أجهزتها المفاهيمية المستقلة والمعقدة، وكذلك قلة المعلومات المتوفرة عن مسألة أجرأة اللسانيات العرفية لدى اللسانيين الجزائريين، يضاف إلى ذلك الغموض واللبس الذي أحاط ببعض المصطلحات اللسانية العرفية في سياق ترجمتها إلى العربية في أبحاث اللسانيين العرب بصفة عامة والجزائريين بصفة خاصة.

في الختام، نحمد الله ونشكره على جزيل عطائه لما أكرمني به من إتمام هذا البحث العلمي، كما يسعدني أن أتقدم بجزيل الشكر والامنتان لمن وقف سندا وعونا ومحفزا لي بتوجيهاته القيمة ونصائحه المفيدة في فصول بحثنا العلمي عرفانا بفضله أستاذي المشرف: أ. د "صالح غيلوس"، والذي قبل الإشراف على هذا البحث ولم يبخل علينا بالنصائح والتوجيهات. فما كان من صواب في هذا العمل فمن الله وحده الكريم المنان، وما كان من خطأ أو نسيان فمن نفسي أو الشيطان والله المستعان.

مدخل

- سياق الانتقال من النظام اللغوي الشكلي إلى النظام الذهني وبروز فعالية
- المقاربة العرفنية للبنية اللغوية المنجزة.
- الجهاز المفاهيمي للسانيات العرفنية.
- السياق المعرفي لتلقي اللسانيات العرفنية عند العرب.

- أولاً: سياق الانتقال من النظام اللغوي الشكلي إلى النظام الذهني و بروز فعالية المقاربة العرفنية للبنية اللغوية المنجزة:

تعتبر اللسانيات "العرفنية" مسلكاً مهماً شكّل حركة مفصلية في مسار تطور الدرس اللساني، وهي من حيث التوجه المعرفي جاءت لتستدرك بعض ما زهدت فيه التوليدية التحويلية في مقاربتها للظاهرة اللغوية نشأة وفهما وتحليلاً، سيما فيما يتعلق بإهمالها جانب الدلالة؛ إذ أن اللغة في منظورها نظام شكلي قائم بذاته مستقلّ عن الدلالة وعن السياق الذي ترتبط به اللغة.

قوام هذا الطرح أن العقل يمتلك القدرة على إنتاج اللغة وفهمها، ابتداء من مرحلة التوليدية والتحويلية الأولى المتزامنة مع كتاب (البنى التركيبية 1957م)، فإن تشومسكي رأى أن النحو ذو طبيعة عقلانية، فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي ينشأ مزوداً بمنظومة قوانين تجعله قادراً على ممارسة اللغة، ولا شك أن هذا الطرح يتجاوز المفهوم المعهود للنحو في منظور المنطق الأرسطي، ومفهوم النحو المعياري عند العرب.

فالرّهان الذي رفعت لواءه المدرسة التوليدية والتحويلية تمثّل في حقيقة مركزية: أن العقل هو مصدر توليد القوانين النحوية، التي تتشكل بها البنية اللغوية أثناء عملية التواصل اللغوي بين المخاطب والمتلقي، ولعل أهم مقولة أساسية في طرح تشومسكي تركيزه على "مركزية التركيب"؛ بمعنى "أن المستوى النحوي مستقلّ استقلالاً تاماً عن المستويات الأخرى المشكّلة للحدث اللغوي، كالمستوى الصرفي (علم الصيغ)، والمستوى الصوتي، وما يكشف عنه من وظائف للأصوات، والمستوى الدلالي وغيرها، وبهذا المنطق عدّ المكوّن التركيبي المكوّن التوليدي الذي يضاف إلى كل جملة بنية عميقة، تمثّل التفسير الدلالي للجملة"¹، ومن هذا الطرح تحدّدت القدرة الإبداعية للفرد في كفاءته على إنتاج عدد لا نهائي من الجمل من خلال قواعد محددة².

¹ - أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، سلسلة الكتاب الجامعي، منشورات كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط2، 2013، ص240.

² - ينظر: شفيقة العلوي، دروس في المدارس اللسانية الحديثة، التنظير، المنهج والإجراء، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الأبيار، الجزائر، د ط، 2013م، ص50.

وتعمق طرح المدرسة التوليدية والتحويلية على يد تشومسكي في المرحلة الثانية، مع منجزه (مظاهر النظرية التركيبية 1965م) حيث استدرّك فيه مكانة الدلالة، وهو ما تمخض عن منتج جديد (دراسات الدلالة في القواعد التوليدية سنة 1972م). وهو طرح جديد أسس للمرحلة الثالثة في الطرح التشومسكي التوليدي التحويلي، وقد عرف بالنظرية النموذجية الموسعة¹.

ولم ينحصر تجديد وتحيين النظرية التوليدية والتحويلية فيما جاءت به المراحل السابقة وإنما ظلّ هاجس ارتباط النظام اللغوي بالدلالة وبالعمليات الذهنية التي تسبقه قائماً لدى من تتلمذوا على يد تشومسكي، وتأثروا بطروحاته التي ربطت دراسة الظاهرة اللغوية بالذهن في المراحل الأولى من تفكيره، وتبلورت هذه القناعة في علم لغوي جديد نشأ ثمرةً لتعاضد مجموعة من العلوم تشترك في اهتمامها بدراسة تطور العقل الإنساني وبآليات اشتغاله في إنتاج ظواهر كثيرة، وفي فهمها وتأويلها، كل ذلك في سياق العلوم العرفية، التي هي محصلة انسجام مجموعة من العلوم البيئية، لعلّ أهمها: علم النفس، اللسانيات، علم الأعصاب، الأنثروبولوجيا الذكاء الاصطناعي، فانبثق من رحم هذا التمازج اللسانيات "العرفية" كعلم لغوي حديث، مبشّر بفتوحات جديدة في حقل الظاهرة اللغوية فهما وتفسيراً وتحليلاً.

والجدير بالتأكيد في هذا السياق أنّ هذه اللسانيات العرفية ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالدراسة النفسية التي تهتم بالدماغ ومتابعة العمليات العقلية المتصلة بالمعرفة اللسانية (اللغوية) وبالإدراك بشكل عام، ولعلّ مرد ذلك الاقتناع والتسليم بتأكد "الاتصال بين المعرفة اللغوية والتفكير بشكل عام"²، بمعنى أن النشاط اللغوي تحركه عمليات ذهنية، ومن هذا المنطق حملت

¹ - ينظر: دروس في المدارس اللسانية الحديثة، التنظير، المنهج والإجراء، ص45، وينظر: لطيفة إبراهيم النجار، آليات التصنيف اللغوي بين علم اللغة المعرفي والنحو العربي، مجلة الملك سعود، كلية الأدب، المملكة العربية السعودية، مج17، ع1، 2004م، ص3.

² - الأزهر زناد، نظريات لسانية عرفية، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، دار محمد علي، تونس، 2009م، ص25.

العرفنية على عاتقها مسؤولية دراسة جملة من الآليات التي يعمل بها الدماغ لتوليد اللغة والمعرفة، مستعينة في هذا المجال بجملة من العلوم البينية التي ذكرناها آنفاً.

واللسانيات العرفنية عند "جورج لايكوف"¹؛ بمثابة حقل جديد يجمع ما يعرف على ذهن في اختصاصات أكاديمية عديدة: علم النفس، اللسانيات، الأنثروبولوجيا، الحاسوبية، وهي تتغيا أجوبة مفصلة من قبيل: ما العقل؟ ما حقيقة النظام المفهومي، وكيف ينتظم؟ ما المشترك بين جميع البشر فيم يفكرون به؟ وغيرها من الأسئلة المتوجهة إلى ذهن البشري بوصفه مصدراً تنشأ عنه كثير من الظواهر، فالأسئلة المطروحة في هذا السياق ليست جديدة ولكن الأجوبة عنها تتطلق من نظرة جديدة للظاهرة اللغوية، ومن وعي جديد بحقيقتها في ضوء جملة من الحقل المعرفية المشكلة للعرفنية، وفق ما جاء بها تقرير "سلون" "sloan" سنة 1987م².

ولما كان توجه الطرح العرفني للغة متوجهاً صوب ذهن متجاوزاً النظام الشكلي للغة البنية الناجزة، يأتي لنا أن اللسانيات العرفنية تدحض أهم مقولة توصلت إليها البنيوية عن اللغة باعتبارها "بنية منغلقة حول نفسها" واكتفاء اللغة بذاتها، وأن اللغة نظام مستقل عن أي تفسير يستمد من خارجها، وأن هوية أي عنصر في النظام اللغوي لا تحدد هويته ووظيفته إلا داخل النظام اللغوي³؛ فالمقاربة العرفنية في ضوء هذا التوجه تنفي نفياً قاطعاً استقلالية اللغة عن الملاكات الذهنية والإدراكية، وتقيم تصوراً نظرياً مؤداه أن بين اللغة والذهن علاقة جدلية حميمة، ويتفرع عن هذا أن اللغة ذات بعدين أساسيين: بعد داخلي وآخر خارجي، فالداخلي يتحدد بالطبيعة الذهنية للغة، وأما البعد الخارجي فيتحدد في الشكل الخارجي في اللغة الذي تتشكل فيه بصيغة المنجز (التركيب اللغوي) المتحقق عبر العمليات الذهنية التي تسبقه مع

¹ - جورج لايكوف ومارك جونسون، تر: عبد المجيد جحفة، الاستعارات التي نحيا بها، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1996م، ص: المقدمة.

² - ينظر: عبد الرحمن محمد طعمة، وآخرون، دراسات في اللسانيات العرفانية، ذهن واللغة والواقع، تحرير: صابر حباشة، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2019م، ص15.

³ - ينظر: توفيق قريرة، ظاهرة التكرير في العربية، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب، جامعة منوبة، ع49، 2005م، ص143.

التأكيد على حقيقة مكانة اللغة مقارنة بالذهن، إذ تعدّ حاملاً ناقلاً للفكر وإبلاغه، وليست أساسية بالنسبة إليه يتعطل نشاطه بافتقادها، وحجة ذلك أنّ العقل يظل يشتغل في معزل عن اللغة، ولا تتقطع العمليات الذهنية التي تحرك عملية التواصل، إذ سرعان ما ينوب عن اللغة بديل استعاضى في حالة افتقاد عنصر اللغة، أو عدم تحقيق شروط تواجدها.

الربط بين اللغة والذهن ليس سمةً المقاربة العرفنية بمفردها، وإنما أساس المقاربة التوليدية للظاهرة اللغوية، وينجم عن هذا الاشتراك بين العرفنية والتوليدية اتفّاقهما من حيث اعتبار الظاهرة اللغوية ظاهرة ذهنية مع وجود اختلافات كثيرة، لعلّ أهمها: ¹

- اللغة ملاكة فطرية عند التيار التوليدي، في حين أنّها ملاكة مكتسبة لدى التيار العرفني ناتجة عن تجربة الإنسان الحسية والذهنية في الكون.

يُعدّ التيار التوليدي اللغة مستقلة عن أبعاد التجربة الإنسانية، في حين يعدّها التيار العرفني مرتبطة بوجود الإنسان في العالم، بل إن معرفة العالم معرفة لغوية في الأساس.

- أسبقية الدلالة في التحليل العرفني؛ لأنّ إبلاغ المعنى هو الوظيفة الأولى للغة.

- تعلق المعنى اللغوي؛ بمعنى أنه غير مستقل، مرتبط بتجربة الإنسان في العالم، وهو ما يمنحه صفة الموسوعية والانفتاح على أبعاد غير لغوية (خارج اللغة)؛ أي السياق الثقافي والمجتمعي والتاريخي، والطبيعي، وغيرها من الأسيقة، يضاف إلى هذا أن المعنى في النظرية التصويرية، ليس جزءاً من اللغة، وإنما هو جزء من الفكر.

- الصوت والدلالة مكوّنان تأويليان أقل مرتبة من مرتبة التركيب الذي يمثل الجوهر في منظور التوليدية، في حين أنّ الصوت والدلالة مكوّنان بنفس قيمة التركيب، ويحتلان المكانة نفسها ².

¹ - دراسات في اللسانيات العرفانية، الذهن واللغة والواقع، ص124.

² - نفسه، ص125.

- ثانيا: الجهاز المفاهيمي للسانيات العرفية

تتبنى اللسانيات العرفية "جهازا مفاهيميا يقود إلى طروحاتها ويشرح منطقاتها وغاياتها، فمن أهم المفاهيم الأساسية المشكلة لجهازها المفاهيمي في مقاربتها الظاهرة اللغوية: (الفضاءات الذهنية، الاستعارة التصويرية، الجسدنة، الخطاطة، المقولة والطرز..) وعلى الرغم من مركزية هذه المفاهيم في الطرح العرفي لمسألة اللغة كأداة لفعل التواصل، إلا أن مفهوم (الفضاءات الذهنية) يُعدّ محرك التصور العرفي نظرا لأهمية الفضاء الذهني في بلورة البنية الدلالية، ما يجعل منه مفهوما أساسيا. ولا يمكن فهم المقاربة العرفية في معزل عن فهمه والإحاطة بدلالاته ومعزاه¹.

1- الفضاءات الذهنية:

نظرية الفضاءات الذهنية نظرية نفسية عرفية في الأساس يعود ابتكارها إلى اللساني الفرنسي فوكونيي (Fauconnier) تراهن على الأنساق المفتوحة على المخاطب والمقام². يفسر "فوكونيي" انطلاقا من هذه النظرية العلاقة القائمة بمنطق الضرورة بين الظواهر اللغوية والعمليات الذهنية التي تسبق حصول الظاهرة اللغوية، هذه العمليات الذهنية التي من حيث الوظيفة تقدّم تفسيراً لكيفية اشتغال الظواهر اللغوية داخل الأبنية التي تحتويها من نحو (إحالة-الدلالة المطابقة النحوية-الإضمار).

يتحدد غرض نظرية الأبنية الذهنية في دراسة الكيفية التي تتحقق بها بناء الفضاءات والعلاقات بين الفضاءات، على اعتبار أنّ اللغة بناء ذهني لفضاءات وعناصر ولتصورات وعلاقات بين فضاءات قبل أن تكون نظاما شكليا من العلامات، كما تنظر إليها الطروحات التقليدية.

¹ - بشير إبرير، اللسانيات والأدب ودراسات أخرى، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2020م، ص31/30.

² - نفسه، ص30.

- أهم شكل في علاقة الفضاءات هو العلاقات بين الكلمات والبناءات الذهنية التي ينشئها المتكلم والمخاطب على حد سواء، "وتنقسم إلى مستويات متعددة:
- مستوى فضاءات زمنية: تتدرج ضمنها مقولة الراهن، الماضي، والمستقبل.
 - مستوى فضاءات مكانية: ويندرج في إطارها (الجغرافيا، الإتجاهات، أفعال الحركة...).
 - مستوى فضاءات افتراضية: وتحيل على احتمالات لا تتحقق¹، تكشف عن كيفية اشتغال التراكيب وما يقابلها من تأويلات.

تعود نشأة الأفضية الذهنية من حيث المفهوم إلى الوظيفة الإحالية التي جاء بها "نونبرغ" الأمريكي، ولكن فكرة الفضاءات الذهنية تجاوزتها بعد ذلك، وفهم الأساس الذي تقوم عليه الفضاءات الذهنية لا بد من فهم الفكرة المصدر الذي قامت عليه، ونعني بذلك فكرة "الوظيفة الإحالية" التي تعني فيما تعنيه الوظيفة التي تمكّن من إقامة العلاقات بين أشياء مختلفة، سواء أكانت من صميم علم النفس أم في الثقافة أم في التداولية، ويتحدد تجاوز نظرية الأفضية الذهنية لمقولة الوظيفة الإحالية في استبدال "فوكونيه" للوظيفة الإحالية بوظيفة أخرى اصطلح عليها الوظيفة "التداولية" التي تحقق الانتقال من فضاء إلى آخر، والعملية التي يتحقق عبرها هذا الانتقال هي: "التعيين"، ولا شك أن التعيين بوصفه عملية ذهنية يحيل دوماً على متعين في الواقع (المقام التداولي) وبهذه الطريقة تشكل العلاقة بين التصورات الذهنية والبُنى التركيبية ذات الارتباط بالواقع.

تقوم هذه النظرية على فكرة أساسية تتمثل في كون بناء الفضاءات الذهنية وعلاقتها مرتبطت بشديد الارتباط باللغة، إلى درجة أن التعابير اللغوية تقيم بالفعل فضاءات ذهنية أو تعين فضاءات موجودة، وتسمى "العناصر البانية" للفضاء، ودوماً يبني الفضاء داخل فضاء آخر يصطلح عليه بالقرين (المجاور) بمبدأ علاقة التضمنين، التي تتجلى بالتضمنين التركيبي للعناصر البانية (التعابير اللغوية) أو يستدل عليها تداولياً.

¹ - بيتر ستوكويل، تر: بهاء الدين محمد مزيد، عوالم الخطاب والفضاءات الذهنية، مجلة فصول، مصر، م: 25، ع: 100، 2017م، ص 144.

تتخرط نظرية الأفضية الذهنية في مجال تفسير العلاقة بين دلالة الأبنية اللغوية المنجزة والآليات الذهنية التي تنتج الدلالة وتأويلها في إطار النشاط الخطابي، "باعتبار أن التحليل اللساني التقليدي المحض لا يحقق هذه الغاية"¹، بل إن مناط قصوره هو عدم تصوّره هذه العلاقة.

إنّ المخاطب، وهو في سياق إنتاج أبنية لغوية (جملة - نص - خطاب) فإنّه ينقل مخاطبه إلى فضاءات ذهنية مترابطة نحويًا ومنطقيًا، تيسّر له فهم تلك الأبنية اللغوية والاهتداء إلى الدلالة المقصودة التي يتقصدها المخاطب من وراء إنتاجها²، وفي هذا السياق يظهر أن "فوكونيه" دحض مسلّمة لطالما ظلت قائمة في الطرح اللساني التقليدي، يعتقد أصحابها أن الدلالة اللغوية يمكن الإحاطة بها باعتماد آليات المنطق الشكلي؛ أي ما توجبه القوانين النحوية التي يحتكم إليها التركيب اللغوي من ضوابط تنشأ عنها دلالة ما، وما تفرضه البنية الصوتية بعلاقتها من دلالة إضافية محددة، لأنّ هذه الأدوات أضحت قاصرة على تفسير كثير من البُنى اللغوية المنجزة، ولا شكّ أنّ البديل الذهني عند "فوكونيه" إنما يتحدد في طاقة الذهن البشري عوضاً عن طاقة التخمين الناتجة عن الاستخدام اللغوي وما يحتكم إليه من منطق شكلي، يقوم على قوانين النحو والصرف والتركيب وغيرها، وبهذا المعيار يصبح تتبّع العمليات الذهنية التي تسبق البنية اللغوية المسلك الذي يقود إلى الإحاطة بالدلالة عوض "طاقة الحسابات الرياضية التي يستعملها المنطقة"³.

يترتّب عن هذا أنّ عملية بناء المعنى الذهني ينجم عنها تداخل أفضية ذهنية يكون الواحد منها أولياً والآخر تابعاً، ومعنى ذلك أنّ كل فضاء يحيل إلى الآخر، وهذا التوجه في دراسة العمليات الذهنية التي تحرك حدث التلفظ وتوجّهه هو من قَبيل المشترك بين " جورج

¹ - لطفي الذويبي، قدرة نظرية الفضاءات الذهنية على تأويل الأبنية اللغوية، مجلة العلامة، مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، ع3، 2016م، ص11.

² - ينظر: لطفي الذويبي، قدرة نظرية الفضاءات الذهنية على تأويل الأبنية اللغوية، ص14.

³ - نظريات لسانية عرفانية، ص197.

لايكوف" رونالد لانفاكر"، و"جيل فوكونيه"، ومحصلة اشتراكهم في هذا الطرح هو التسليم أنّ قضية بناء المعاني قضية ذاتية في الأساس، باعتبار أنّ المعاني من إنشاء المتكلم وتكوينه قبل أن تكون تأويلية، لأنها تتكوّن في الأذهان قبل أن تكون مُجزاً عبر التحقق اللساني (اللغوي)، ومن هنا جاز لنا التسليم أنّ الفضاءات الذهنية تمثلت مفهومية ذهنية (معاني ذهنية) لأبنية لغوية متشابهة، وهذه الفضاءات الذهنية تجمع بين المعاني والألفاظ والعمليات الذهنية التي ينشئها المتكلم والسامع أثناء عملية التواصل (التخاطب)، "فالفضاء الذهني بنية عرفية تبنى فيه المجالات وتتنظم وتترابط بأنواع من الترابطات ما بين المجالات"¹.

نشأ عن حقيقة نشوء الفضاءات الذهنية أثناء عملية التواصل الوظائف التداولية بديلاً عن الوظائف النحوية، وظهرت المعاني المتعددة والاحتمالية بديلاً عن المعنى الواحد، إذ صار بالإمكان أن تحمل البنية اللغوية الواحدة أكثر من معنى، معنى أولي ومعنى ثانوي، أو معنى يفتح على أكثر من معنى يرومه المتكلم والمخاطب، وذلك بالاعتماد على المعرفة المشتركة بينهما، وعلى طريقة تشكيل المعنى ذاته في ضوء تداخل الفضاءات الذهنية (بين المتكلم والسامع)، ولعلّ هذا ما يفسر الجنوح لاستبدال الوظيفة النحوية بالوظيفة التداولية، لأن الأمر كله متعلق بالكيفية التي تستخدم بها اللغة في الفعل التواصل، الذي بمجرد أن يبدأ تبدأ معه العمليات الذهنية اللازمة له تزامناً مع المقام ومع حالة المتكلم وحالة السامع، ومع المعلومات القبلية والمكتسبة، كل هذا ينشأ في لحظة واحدة ويتساق عجب توكّل فيه المهمة لأجهزة متعددة: إدراكية، ذهنية، عصبية، نفسية، جسدية.

من هنا عدّ أثر العمليات الذهنية في التواصل مبحثاً أساسياً في اللسانيات العرفية، سيما في شقّها التداولي (التداوليات العرفية)، وذلك في سياق اقتراب النظريات التداولية من نظريات علم النفس العرفي المعاصر، وبدا من الضروري أن تفسر المعاني وتأويلها متعلق بمبادئ رئيسة عند المتكلم، ثم عند المؤل (المتلقي) مروراً عبر الأبنية اللغوية، ثم المرور إلى الأبنية

¹ - نظريات لسانية عرفانية، ص 197.

العرفنية ثانياً، وبهذا المنطق شقّت اللسانيات العرفنية طريقها بوصفها نظرية جديدة تتجاوز أدوات التحليل اللساني الشكلي المعتاد للظاهرة اللغوية، وتسعى عبر منطلقاتها النظرية الأساسية لصياغة تصوّر جديد يسهم في مقارنة الأبنية اللغوية المنجزة والآليات (العمليات) الذهنية التي تسبق عملية التقول، باعتبار أن اللغة بناء ذهني قبل أي شيء، لا يمكن فهمها وتفسيرها، إلا باعتماد تأويل الأبنية اللغوية التي تفرض الرجوع إلى العمليات الذهنية المشتركة بين المتكلم والسامع.

2- الجسدنة:

يتم نقل فهم العالم والذات من المجرد إلى المتجسد، لأن تجربة الجسد لا تتفصل عن العقل، لأن هذا الأخير هو ما يملك القدرة على صياغة تجارب مجردة من الجسد¹، ثم إن "أكثر المفاهيم تجريدا لا تتفصل عن تجربة الجسد"²، والجسدنة في حقيقة أمرها جملة من الآليات نفسها هي ما يتيح "إنشاء أنظمتنا المفهومية وطرق التفكير عندنا"³.

وإذا أردنا تبسيط المفهوم بصيغة أكثر وضوحاً فإن "الجسدنة" تبحث في المسالك التي يجد عبرها الذهن طريقه إلى الواقع؛ أي الكيفية التي تتجسد بها التصورات الذهنية وكل ما يصاحبها من عمليات ذهنية بشكل أفعال في الواقع، وهذه المسالك هي ما يمكننا من الإدراك والتعرف عما حولنا، فهي إذن "الآليات نفسها التي تنشئ أنظمتنا المفهومية وطرق التفكير عندنا، وإذا كان الأمر كذلك، يكون من الضروري فهم النظام البصري والنظام الحركي، والنظام العصبي بترابطه فهما دقيقا لكي نفهم الذهن"⁴.

¹- يُنظر لمحمد صالح البوعمراني، البُنَى الصغرى والكبرى والعليا في أدب جبران خليل جبران، (مقاربة عرفانية)، مجلة الخطاب، جامعة تيزي وزو، الجزائر، ع: 20، 2015م، ص43.

²- نفسه، ص43.

³- نظريات لسانية عرفنية، ص35.

⁴- عطية سليمان أحمد، الاستعارة القرآنية في ضوء العرفانية، النموذج الشبكي، البنية الدّصّورية، النظرية العرفانية الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مصر، 2014م، ص71.

تظهر الجسدنة عبر سلوكيات كثيرة يمارسها الإنسان في واقعه، وفي حياته اليومية، من نحو تمثيل المفاهيم التجريدية وتنزيلها مجسدة في الواقع، مثل ملامح الغضب والفرح، وتعد هذه الأخيرة انعكاسات بأقوال لغوية ووضعية تواصلية¹.

3- الخطأ:

"شبكة تصوّرية عالية التجريد تنظم نشاطاتنا ومعارفنا، وهي بمثابة الوحدات التنظيمية المشتركة بين أحداث ووضعية مختلفة، تخزنها ذاكرتنا طويلة المدى"² وتكاد تأخذ المفهوم نفسه عند عطية سليمان أحمد، إذ تتحدد عنده على أنها "شبكة تصوّرية تنظم نشاطنا الجسدي، ومعارفنا الذهنية، وتؤسس بضروب سلوكنا، وتحكم رؤيانا المنسجمة للحياة والكون"³.

4- الاستعارة التصويرية (المفهومية):

ظهر هذا الطرح الجديد للاستعارة مع كتاب "الاستعارات التي نحيا بها" لجورج لايفوف* وفي هذا السياق تأسس مفهوم جديد للاستعارة، تجاوز ارتباط المفهوم التقليدي للاستعارة باللغة إلى ارتباطها بالذهن، فهي أساسا من أمر الذهن، وليست من أمر اللغة، يضاف إلى ذلك أنها من حيث المصدر تنشأ من التشكيل ولا تنشأ من علاقة المشابهة، وهي ليست مرتبطة بناحية الأدب، وإنما بناحية الحياة فهي "من الأمور التي نحيا بها جميعا"⁴.

وُؤدّي هذا المفهوم أن الاستعارة إطار أساسي لمفاهيم الإنسان عن الحياة وعن العالم الذي من حوله، ولما كان الإنسان - بغض النظر عن معرفته بقوانين الأدب أو من عدمها - يصوغ مفاهيمه عن كل ما تلتقطه حواسه ويفكر فيها ذهنه، كان لزاما أن تكون الاستعارة

¹ - عطية سليمان أحمد، الاستعارة القرآنية في ضوء العرفانية، ص 71.

² - محمد صالح البوعمراني، الاستعارة التصويرية والذاكرة الثقافية، دار المنظومة، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، مجلة يتفكرون، أدب وفنون ونقد، ع: 5، 2015م، ص 231.

³ - الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية، ص 61.

* كتاب جورج لايفوف ومارك جونسون، تر: عبد المجيد جحفة، الاستعارات التي نحيا بها.

⁴ - عبد الله الحراصي، دراسات في الاستعارة المفهومية، مؤسسة عمان للصحافة والأنباء والنشر والإعلان، مملكة عمان، مسقط ط 3 2002م، ص 20.

مظهرا مشتركا بين بني البشر، وليست ميزة أساسية للأدب، فهي آلية من آليات الحياة ذاتها، ولعل هذا ما فهم الباحث صالح البوعمراني في هذا الشأن حين ضبط مفهومه مصرحا: "الاستعارة لم تعد (..) ظاهرة لغوية ناتجة عن استبدال أو عدول عن معنى حرفي إلى معنى مجازي، بل هي عملية إدراكية كامنة في الذهن، تؤسس أنظمتنا التصويرية وتحكم تجربتنا الحياتية، وهو ما يعني أن الاستعارة في جوهرها ذات طبيعة تصويرية لا لسانية"¹.

5- المقولة والطرار:

إن ما يعنيه مفهوم المقولة والطرار هو وضع الأشياء في خانة واحدة تجمع بينهما روابط معيّنة²؛ فالمقولة "أسلوب ضروري ونشاط بدونه لا يحتفظ بأي شيء في الذاكرة، على اعتبار أنها تمثل الدوائر التي تتجمع فيها المعلومات بحسب خصائص وروابط محددة تختلف من معلومة إلى أخرى، وهذه الروابط والسمات هي التي يتحقق بها استدعاء المعلومة عند الحاجة أما الطراز فيلعب بتواتره نقطة مرجعية عرفانية لمقولاتنا وانساقنا التصنيفية"³.

- ثالثا: السياق المعرفي لتلقي اللسانيات العرفية عند العرب:

لا بدّ من الإشارة إلى أنّ المنجز العلمي الغربي متحقق بمعزل عن إسهام العرب في بناء مقولاته الأساسية وتحديد مبادئه النظرية، ولعل مرد ذلك هو الفجوة المعرفية العميقة بين الغرب والعرب، من حيث أن الغرب قطعوا شوطا معتبرا في ميدان التقدم التكنولوجي وإنتاج المعرفة للإجابة عن أسئلة العصر المعقّدة في كل نواحي الحياة، في حين أن العرب لم تتوافر لهم جملة الظروف الموضوعية التي يمكن أن تجعل منهم قادرين على النهوض من جديد والحقا بركب الحضارة الغربية، والإدلاء بدلوهم في كثير من القضايا المشتركة والقضايا التي تخصهم دون سواهم.

¹ - محمد صالح البوعمراني، في علم الدلالة العرفاني، دار نهى، صفاقس، تونس، ط1، 2009م، ص123.

² - يُنظر: عبد الله صولة، المقولة في نظرية الطراز الأصلية، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب، تونس، منوبة، ع46، 2002م ص37.

³ - عبد الله صولة، مفهوم التشابه الأسري، بين نظرية الطراز الأصلية والنظرية الموسوعة، حوليات الجامعة التونسية، كلية الأدب، جامعة منوبة، ع45، 2002م، ص67.

انطبع هذا الوضع في إطار المسلمة الأكيدة منذ أن استرد الغرب زمام الأمور إليه في سياق ما يعرف بعصر الأنوار إلى هذه اللحظة، ولا شك أن هذه الوضعية تحدد زاوية النظر إلى كل محاولات العرب في استعارة المنجز الغربي بنوع من التيقظ أحيانا والتحفظ أحيانا كثيرة لأن ما بين مقام المتلقي للمعرفة ومقام المنشئ والمنتج للمعرفة مسافة معتبرة، تجعل التلقي العربي لفتوحات الغرب في شتى المجالات ومحاولة استيعابه لها، ثم إن تطبيقها يخضع لكثير من التساؤلات على صعيد نظري ومنهجي وعملي، حتى تتعين صحة النقل والفهم والتطبيق. إن تلقي الباحثين اللسانيين العرب للسانيات العرفية يندرج ضمن هذا السياق، لذلك فإن حضور الدرس العرفي في ساحة البحث العربي هو حضور أقل ما يقال عنه أنه محتشم باعتبار الدراسات القليلة التي سلكت هذا المسار، إن على مستوى الشرح للمنجز الغربي العرفي أو التتظير والتطبيق، ثم إن جلّ الدراسات والأبحاث العربية في هذا الشأن لم تشذ عن توجه مشترك، يتحدد في نقل وشرح وتبسيط الجهاز المفاهيمي للمقاربة العرفية الغربية، مع وجود دراسات قليلة سعت لاستثمار المفاهيم الأساسية للطرح اللساني العرفي مصاحبة لمحاولة تطبيقها على بعض البنى اللغوية العربية.

المشتغلون في حقل اللسانيات العرفية من الباحثين الجزائريين يمثلون فئة من تيار عربي احتضن اللسانيات العرفية الغربية، مع وجود خصوصية تميز الباحثين الجزائريين عن سواهم من الباحثين العرب في تبني المقاربة العرفية.

أسباب هذه الخصوصية في التلقي تعود أساسا إلى قرب هؤلاء الباحثين من مركز الإشعاع العرفي، باعتبار سهولة وصول المنجزات العرفية في حقل اللسانيات إلى هؤلاء الباحثين بسبب قربهم الجغرافي من مراكز البحث الأوروبية من ناحية، وبسبب درايتهم بأحوال اللغة الأجنبية سيما الفرنسية منها لأسباب تاريخية. كل هذا سهل عليهم إمكانية التلقي والتبني، رغم ما رافق عملية التلقي هذه من إشكالات، لعل أهمها إشكالية المصطلح، كما سنوضحه في حينه من هذا البحث، إضافة إلى إشكاليات أخرى من قبيل عدم الإحاطة بالعلم العرفي الذي يستدعي التمكن من جملة من العلوم الأساسية التي شكلت منطلقاته الأساسية، كعلم

الأعصاب، التشريح، الأنثروبولوجيا، علم النفس العرفني، الحوسبة وغيرها، وهي علوم لا تزال حكرًا على المجتمعات الغربية دون سواها، خاصة في سياق لا تزال الترجمة فيه لا تؤدي دورها المنوط بها في نقل المعرفة ووضع مستجداتها بين أيدي المجتمعات المتخلفة المحرومة، ولذلك أسبابه الموضوعية والتاريخية والنفسية المعروفة التي سنعمل على إيضاحها في ما هو آت من هذا البحث.

الفصل الأول

اللسانيات العرفنية في حقل الدراسات اللسانية الغربية

بين التأصيل النظري والتأسيس المعرفي

أولا : في الانتقال المعرفي بين النماذج اللسانية

ثانيا : اللسانيات العرفنية تأصيلا وتأسيسا

أولاً: في الانتقال المعرفي بين النماذج اللسانية:

إنّ التطور الذي شهده الدرس اللغوي في دراسته لظاهرة اللغوية، أدّى إلى بروز العديد من النظريات اللسانية المختلفة بمجموعة الآليات والطرق والمناهج اللغوية المتعددة المتضمنة فيها من أجل بناء جهاز مفاهيمي وعملي وتطبيقي لسبر هذه الظاهرة المعقدة. هذه الأخيرة جعلت العديد من الباحثين يتسارعون من أجل فهمها ودراستها تنظيراً وتطبيقاً، فقامت على أساسها مجموعة من الآليات الإجرائية المفككة لها بطرق واستراتيجيات مختلفة، اتسمت بالعلمية والدقة والوضوح وبذلك أصبحت تمثل نماذج لسانية مهمة تتغير بتغير الرؤى والتصورات والاتجاهات اللسانية.

وعلى هذا الأساس راح كل باحث لساني يسعى من أجل إضفاء نموذج لساني ذي صبغة علمية وفق إجراءات تقنية معينة ذات حمولة معرفية محددة بمنهج محدد ينبثق من خلفيته النظرية ومرجعياته العلمية، وذلك بغرض سد فراغ النموذج المعرفي الذي قبله باستدراك المزالق التي وقع فيها، والسعي إلى تقديم النموذج اللساني البديل، مستعينا بما حققته المناهج اللسانية من تطور وما لحق الدرس اللساني من تراكم، سيما في ظل انفتاحه على جميع العلوم اللسانية والميادين الفلسفية والإنسانية، الأمر الذي أدى إلى مساهمة هذه الأخيرة في الإضافة للمجال العلمي التكنولوجي.

فبالرجوع إلى التطور الإبتسمي لأي علم من العلوم نجده مبنياً على رؤية تصورية معينة، ولهذا شهدت الحقبات العلمية عبر العصور كلّ مرة تصوّراً علمياً معيناً يهيمن على العقول بفرض معايير ومقاييسه على البحث العلمي، ففي النصف الأول من القرن العشرين خضعت الأبحاث العلمية لهيمنة الرياضيات ولنظريات التواصل شانون وويفر¹ وغيرهم، إذ انطلقت الدراسات والبحوث المتخصصة في نظرية التواصل في الولايات المتحدة الأمريكية في الأربعينيات من ذلك القرن للكشف عن الحدود المشتركة بين حقل اللسانيات والحقول العلمية

¹ يُنظر: جون ليونز، تر: حلمي خليل، نظرية تشومسكي اللغوية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1، 1985م ص110/107.

الأخرى، فأسهمت العديد من التخصصات فيها على سبيل الذكر الفيزياء والرياضيات بلورة نظرية الأنظمة التواصلية¹، لكن وبالرغم من قدرة هذه الآلة المحدودة على التوليد اللانهائي وكذا اعتمادها على نظرية التواصل la théorie de communication إلا أنها استطاعت أن تحدد موضوعها وتأسيس منظوراتها الجديدة باعتباره موضوعا وبحثا تأمليا في المميزات الخاصة في كل نظام من العلامات مستعمل بين كائنين حيين أم تقنيين يهدف إلى غايات تواصلية²، المراد منها صياغة نماذج تجسد العناصر التواصلية اللسانية بمختلف آليات الإبلاغ والتلقي انبثقت عنها مجموعة النماذج اللسانية التي سنفصل فيها لاحقا³، في هذا السياق شهد النموذج اللساني عدة مفاهيم وتعريفات من بينها:

1 - مفهوم النموذج المعرفي:

بداية، قبل أن التطرق لمفهوم النموذج المعرفي يجب أن نضع في الحسبان أن مصطلح النموذج لاقى العديد من المقابلات الأجنبية المختلفة من: Paradigm-Mode Of Thinking Mentality المعربة إلى الباراديغم أو المودل أو الذهنية أو العقلية أو المينتاليتي، وما جاء في المعجم الفلسفي كتأصيل اصطلاح له: "أن النموذج مثال الشيء"، ويطلق على المعاني المتصورة وبخاصة المثل الأفلاطونية القائمة بذاتها⁴.

والنموذج أيضا هو "المثال الفني" التي تحدث العلة الفاعلة معلولها على صورته؛ فهو ذلك النمط في التفكير، وترجمة Paradigm عند توماس كون من خلال كتابه: "بنية الثورات

¹ - يُنظر: عبد القادر الغزالي، اللسانيات ونظرية التواصل، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، اللاذقية، ط1، 2003م، ص23.

² - نفسه، ص24.

³ - نفسه، ص35.

⁴ - يُنظر: صليبيا جميل، المعجم الفلسفي، بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، ودار الكتاب المصري بيروت، القاهرة، 1979م، ص508.

الفصل الأول: - اللسانيات العرفانية في حقل الدراسات اللسانية الغربية بين التأصيل

العلمية" ترجمة حيدر حاج إسماعيل حين استعمل هذا المصطلح أول مرة، وقد ترجمه مستفيداً من هامش وضعه الدكتور طاهر لبيب باعتماده المصطلح المدبلج له بالبراديغم¹.

إذ استخدم هذا المصطلح بعدة دلالات مختلفة، ومرد ذلك حداثة المفهوم وجدته وبحسب تعريف منى فضل فإن Paradigm: "هو نسق معياري وإدراكي ينظم إدراكنا في حقل معين ويوفر له الأسس والأطر ويضع حدوده ونطاقه مثل: المفاهيم، والنظريات، والمنظورات، ورؤية العالم"².

وهناك من يرى أن النموذج المعرفي أشمل من مدلوله من النظرية؛ إذ يرمز إلى مجموعة القناعات التي تجمع أفراد مجموعة علمية في ميدان معين وفي حقبة معينة، وهذه المعتقدات تهم النظريات والمناهج السائدة، وقد تكون لها جذور ميتافيزيقية أو أيديولوجية فالنموذج المعرفي هو المسؤول الأول في توجيه الباحثين بتقديم وسائل الانتقاد والنقد³.

وقد تزامن التطور اللساني في الدرس اللغوي واتجاهاته، وتطور البراديغم لمعالجة اللغة والألسن الطبيعية وفق حسابات آلية معينة، فعند قراءة عمل تشومسكي فإننا نلاحظ أنه سعى إلى توضيح الصورة العامة، وكيف لنموذج يقوم ببناء نظري يتوسل الباحث من خلاله دراسة ظاهرة لغوية ما، ولا يتم هذا الأمر إلا بإعدادها، ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا الإعداد يتم على مستوى الظواهر غير الملاحظة دون الاهتمام بالظواهر الملاحظة، وذلك كون الأولى لا يمكن مراقبتها، وبالتالي يقوم الباحث بإنشاء نموذج معرفي لها لرصد هذه الظاهرة فيتمكن بذلك من دراستها وضبطها على نحو مثلاً: دراسة الدماغ⁴.

¹ - توماس كون، بنية الثورات العلمية، تر: حيدر حاج إسماعيل، مر: محمد دبس، دار العين للنشر، المنظمة العربية للترجمة، مركز الدراسات الوحدة العربية، آدم، بيروت، ط1، 2007م، ص08.

² - Mona Abdul Fadel, paradigm in political, science, revisited critical option and Muslim perspective, the American journal of Islamic social science, vo,6, no,1 september 1989, p15.

³ - نظر: علي عودة العقابي، محاضرات في السياسة الخارجية، أقيمت على السنة الرابعة قسم العلوم السياسية، كلية القانون والسياسة جامعة صلاح الدين، 1999م، ص26

⁴ - ينظر: نوم جومسكي، تر: يوثيل يوسف عزيز، مر: مجيد الماشطة، البنى النحوية، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة العراق، بغداد، ط1، 1987م، مقدمة المترجم، ص6/5.

الفصل الأول: - اللسانيات العرفانية في حقل الدراسات اللسانية الغربية بين التأصيل

وعليه فإن الباراديغم أو ما يُسمى: النموذج المعرفي، يكون بمثابة جهاز مماثل ومحاكٍ للظاهرة المراد دراستها، ومن هنا جاءت فكرة النماذج أو المنوال مثل المنوال النحوي لعز الدين مجدوب في مؤلفه: المنوال النحوي العربي، وهو قراءة لسانية جديدة لمجموعة النظريات اللسانية في شقها النحوي، وقد حاول فيه بناء نظرية لدراسة الظاهرة اللغوية؛ أي وضع جهاز مماثل يقوم على محاكاة اللغة العربية، فالمنوال لا يخرج عن نطاق كونه بناء نظري كالحاسوب مثلاً...

وبالرجوع إلى طبيعة وخصائص المنوالات وضرورة ارتباطها بالفرضيات العامة حسب رأيه في مؤلفه السابق الذكر فإنه أوضح ذلك الارتباط بين علم ما باعتبارها فرضية عامة والمنوالات باعتبارها "الوسيلة العلمية الأساسية بإثبات قابلية نظرية ما لتحقيق الاختباري أو لدحضها"¹.

فقد يبدو له من حيث طبيعتها أنها "كيان ذي طابع إجرائي، فهي بنية مجردة تشتمل على مكونات محدودة العدد، قائمة على جملة من الارتباطات المتجانسة"². وعليه؛ فإن هذا المنوال أو ما يسمى: النموذج المعرفي "هو جهاز خاص متضمن مجموعة الإجراءات تكيف بالشكل الدقيق والعلمي من أجل دراسة اللغة، فالنموذج يشير إلى إطار عمل يشكل الأساس لفهم أو تفسير شيء ما؛ وهو المثال والنموذج والنمط والأسلوب أو الطريقة والطرز والنوع والصنف، وهو باختصار تمثيل مقرب للظاهرة التي يراد دراسة سلوكها ومحاكاتها بواسطة مجموعة من التقنيات"³.

وإذا ما أسقطنا مفهومه على مجال العلوم اللسانية، فإننا نجد النموذج اللساني وجهاً من أوجه المحاكاة أو التخطيط الأولي لموضوعات معينة، أو أنه وصف لفظي للظاهرة اللغوية

¹ - عز الدين مجدوب، المنوال النحوي العربي، قراءة لسانية جديدة، مكتبة لسان العرب، دار محمد علي الحامي، الجمهورية التونسية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سوسة، ط1، 1998م، ص128.

² - نفسه، ص130/131.

³ - صالح غيلوس، معجم مصطلحات اللسانيات العرفانية، دار النور للنشر، د ط، 2024م، ص49.

الفصل الأول: - اللسانيات العرفانية في حقل الدراسات اللسانية الغربية بين التأصيل

التي تعد ظاهرة معقدة غير ملحوظة وغير ملموسة، إلا فيما يمكن أن نعدّه حسياً في شقها القواعدي (النظامي) المشكلن بواسطة ترميزات تصويرية داخل دماغ كلّ من المتكلمين، هذا الأمر الذي جعلها قابلة للنمذجة، وفق إعادة تشكيل الظاهرة اللغوية والأبنية اللسانية في مقياس مصغر، يتسنى للباحث من خلاله الإحاطة بذلك البناء، كل هذه المفاهيم أحالت الباحث اللساني إلى توخي باراديغم من شأنه أن يدرس الظاهرة اللغوية وفق معطيات لسانية تسير الركب اللساني بجلّ مناهجه المتعددة التي حملت على عاتقها نماذج لسانية متعددة برؤى ولجرائات متعددة في مقارنتها اللغة.

شهدت سنة 1970م البداية الفعلية لصياغة نموذج لساني، من خلال نشأة ذلك التصور الإجرائي الجديد المماثل والمحاكي للمعطيات اللغوية، فصياغة النماذج في حقيقة الأمر هي "وسيلة لتشغيل النظرية اللسانية التي تشغل على الوقائع اللغوية المراد تفسيرها"¹.

تصاغ هذه النماذج بطريق رياضية، سواء بصفة مباشرة أو عبر الحاسوبيات، غير أنه يجب التفريق بين المعالجة الآلية وصياغة النماذج لدراسة اللغة، فالمعالجة الآلية للغات الطبيعية تسخر من أجل خدمة الحاسوبيات من خلال مناهج متعددة باستعمال جهاز الكمبيوتر، وذلك بإدخال وحدة مراقبة المعلومات، كما تم تطوير أنظمة إدخال وإخراج المعلومات غير التكنولوجية الحديثة عام 1980م، "وهي التكنولوجيا المستعملة في أجهزة الكمبيوتر والأجهزة الإلكترونية المبرمجة"².

وبالتالي؛ تبقى الحاسوبيات مسخرة للنماذج وصياغتها تحت إشراف النظرية اللسانية التي يراد فحصها³.

¹ - بابا أحمد رضان، مفهوم النموذج في الدراسة اللسانية الصورية، مجلة القراءات للبحوث والدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، جامعة معسكر، ع 02، ديسمبر 2011م، ص 186.

² - حمدان الهواري، هندسة جهاز الكمبيوتر والرقمنة، موجه للمستوى التقني والجامعي، سلسلة الكمبيوتر، epers، ص 10

³ - rastier, f et al (1994)، sémantique pour l'analyse: de la linguistique a l'informatique, paris: Masson.

2- العوائق الإستمولوجيا مبررا لتغير النماذج المعرفية:

في ظل السيرة التطورية للدرس اللغوي وانفتاحه على جملة العلوم التقنية والإنسانية والفلسفية بهدف دراسة اللغة والكشف عن وقائعها شهد النموذج المعرفي اللساني بدوره تطورا ديناميا تراكميا، مرده لاختلاف وجهات النظر وزوايا الرؤى والتصورات في فك شيفرات اللغة ولهذا الغرض كانت الحركة اللسانية والاتجاهات البحثية حول اللسان البشري بمختلف اتجاهاته ومناهجه اللسانية دائما ما تقع في مزالق ومعيقات تنتج عنها نماذج لسانية جديدة تعالج الظاهرة اللغوية بمنطلق جديد من حيث: المنهج، التصور، الإجراء، الهدف مما يجعل الدرس اللغوي دائما في حركة علمية متنامية ومتزايدة مرتكزا الأساسي التراكم المعرفي.

وبناء على هذا، يمكننا القول إن النموذج ذو أهمية قصوى في كل العلوم التي يبحث فيها عن الظواهر غير الحسية -غير الملموسة- أو المعقدة ذات المعطيات غير المنسجمة فيحاول بذلك الباحث إيجاد صيغة إجرائية جديدة ومقاربتها بتلك الظاهرة اللغوية وتقريبها بالنموذج السابق، ويقول بروبر في هذا الصدد: "علينا أن نتهيا في مناسبات كثيرة بكيفية معقولة لأن نوجد نظريات تستلزم تنبؤات لأحداث جديدة، ولنتائج قابلة للاختبار، جديدة توحى بها النظرية الجديدة، ولم يفكر فيها أبدا من قبل"¹. ومن هنا اشتهر مصطلح الباراديغم الذي استعمله توماس كون لأول مرة، وقد تداوله في مجال الفكر والفلسفة، والمقصود به عنده أنه مجموعة أعمال نظرية متشابهة تشترك في مبادئ عامة وتسيطر على التفكير اللغوي في عصر محدد، وعادة ما تكون كلها مهتمة بنظرية محورية ذات تأثير في اللسانيات في فترة محددة من الزمن، وعلى سبيل المثال لا الحصر، فالنزعة البنوية في النصف الأول من القرن العشرين انبت على مجموعة الدعائم والأسس التي أسسها دي سوسير من أفكار لسانية رائدة بمخرجاتها التصويرية اللسانية المختلفة عند معالجتها لظاهرة اللغوية.

¹ - بناصر البعزاتي، تنسيق محمد مفتاح وأحمد بوحسن، سمات التقدم في العلم، عن كتاب: مفهوم التقدم في العلم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، الرقم 87، 2000م، ص 77/78.

وما ينبغي أن نشير إليه في هذا المقام أن النزعة اللسانية في الحقيقة تحمل المفهوم ذاته لمفهوم البراديغم، وقد توالى النزعات اللسانية نحو براديغم التوليدية التي سيطرت أواخر الخمسينيات إلى التسعينيات من خلال ما أسسه أفرام نعم تشومسكي من مفاهيم نقلت الدرس اللغوي من النظرة الوصفية البنوية إلى النظرة العقلية، ولكن سرعان ما لاقت انتقاداً وجه التحول البراديغمي إلى براديغم العرفانية الذي يبحث في علم الدلالة التوليدي، الأمر الذي دعا إلى بناء نماذج لسانية أخرى، ويرى ج. س. ليبشي: "أن أساس هذا القول بوجود تناظر بين النموذج وبين مظاهر الظاهرة المدروسة، وهو قول يقتضي تجريد هذه المظاهر التي تعدّ واردة، في مقابل مظاهر أخرى ليست واردة. ثم يتم اختيار الأولى على أساس اشتراكها في خصائص معينة. وللإشارة، فإن المظهر الوارد هو الذي لا يختص بفرد واحد، وإنما بأفراد متعددين".¹

وتجدر بنا الإشارة إلى أن هذا التطور لم يأت من فراغ، ولكن بناءً على مصوغات متعددة، كانت بمثابة معيقات تواجه ذلك النموذج اللساني فتضعه في مأزق يجعله أمام مهمة التغيير وتطوير مفاهيمه آلياته في معالجة قضايا اللغة، ولعل من أهمها ما اكتسب النموذج البنوي والتوليدي وصولاً إلى النموذج العرفاني، إذ أن تطور النماذج اللسانية دائماً ما يرتبط أساساً بالمعوقات الإستيمولوجية التي تعترض طريقه كل مرة.

2-1 تطور النماذج اللسانية ومعيقاتها:

2-1-1 النموذج اللساني البنوي:

تعدّ أفكار دي سوسير الرائدة في المجال اللساني اللبنة الأساسية في الدرس اللغوي الذي أسس لميلاد درس لساني جديد بمجموعة القواعد والدعائم التي أرساها منطلق اللغويين فيما بعد لسبر أغوار اللغة والغوص في كنهها، الأمر الذي أدى إلى ظهور العديد من النظريات والمدارس الجديدة ذات الاتجاهات اللسانية المختلفة، وما نشير إليه في هذا المقام هو أن كل هذه الاتجاهات رغم تباين طرائق عملها اللغوي واختلاف الرؤية، إلا أنها بقيت جميعها من

¹ - محمّد محمّد العمري، الأسس الإستيمولوجية للنظرية اللسانية البنوية والتوليدية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1 2012م، ص45.

الفصل الأول: - اللسانيات العرفانية في حقل الدراسات اللسانية الغربية بين التأصيل

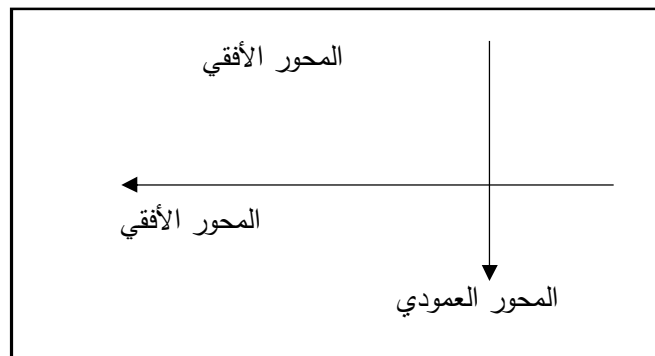
صلب المدرسة البنوية التي قوامها المنهج الوصفي الآني، هذا الاتجاه الذي دعا إليه دي سوسير لدراسة الألسن وهو البحث في النظام الشكلي للغة في زمن معين، وبالرغم من اتفاق العديد من الباحثين اللسانيين البنويين على الاتجاه الوصفي إلا أنهم اختلفوا في الأدوات الإجرائية لديهم نظرا لاختلاف وجهات نظرهم لدراسة اللغة¹.

مما أدى إلى تعدد المفاهيم، وبالتالي تعددت النماذج اللسانية، ففهم البنوية النظام على أساس أنه بنية ينبني على إثرها النظام اللغوي لأية لغة من اللغات على مفهوم العلاقات المترابطة والمتجانسة والمنسجمة والمتسقة بين الوحدات فأسس من خلالها النموذج اللساني وفق أفكار ودعائم ومفاهيم دي سوسير الرائدة في دراسة اللسان البشري بطريقة علمية دقيقة، إذ جعل من الوحدات الدالة؛ أي الكلمات تتركب فيما بينها على محورين:

- المحور الأفقي: Rapports Syntagmatique

- المحور العمودي: Rapports Paradigmatique

ويمكن لأي عنصر من العناصر اللغوية أن يستبدل بعنصر آخر من جنسه ويحمل السمات التمييزية التركيبية والدلالية نفسها على المحور العمودي وفق علاقات الغياب والحضور ويسمى هذا بالمحور الاستبدالي، وأما المحور العمودي فتشكل فيه العلاقات التي تربط العناصر القوية وفق السياق الكلامي، وهو المحور التركيبي².



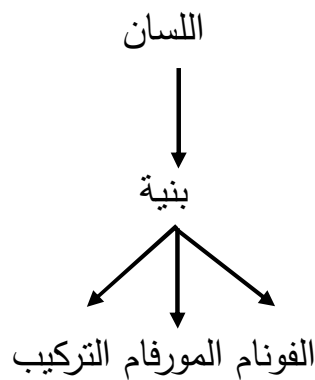
¹ - يُنظر: هبة خيار، خصائص الخطاب اللساني أعمال ميشال زكرياء نموذجاً، الوسام العربي الجزائر، منشورات زين، لبنان، بيروت ط1، 2011م، ص15.

² - يُنظر: خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000م، ص132/133.

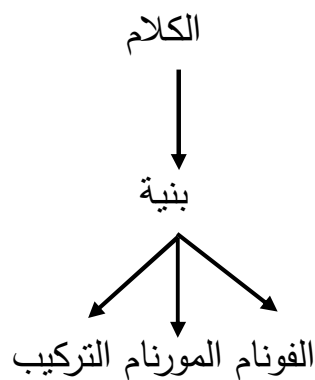
الفصل الأول: - اللسانيات العرفانية في حقل الدراسات اللسانية الغربية بين التأصيل

والبنية عند النظرية التوزيعية¹ بـ نى شكلية قابلة للوصف، وعليه اقترح بلومفيلد التحليل التوزيعي الذي يقوم على دراسة اللسان من جوانبه المختلفة، فهي ليست خاصة بالكلام أو الاستعمال اللغوي، بل قائمة على أسس علمية دقيقة لدراسة هذه الأشكال وتصنيفها إلى فونيمات ومورفيمات وتراكيب بدلا من التحليل النحوي السابق، وتوالت الاجتهادات اللسانية الخاصة بدراسة اللغة دراسة وصفية، إذ نجد كلا من ماركوف وهوكيت يدرسان اللغة من خلال إكسابها صبغة علمية وصيغة رياضية، مما انعكس على النظرية التوزيعية وعلى نموذجها اللساني كما سنشير إليه لاحقا.

رسم النموذج البنوي الوظيفي¹



رسم النموذج التوزيعي²



¹ - سعاد معمر شاوش، نمذجة مثل الكلام في النظريات اللسانية من نظام اللسان الى نظام الخطاب، مجلة اللسانيات، المجلد 26، ع01 جوان 2020م، ص295.

² - نفسه، ص295.

2.1.2. النموذج التوليدي التحويلي:

لقد مرّ النموذج التوليدي التحويلي بثلاثة مراحل معرفية أساسية، وهي:

- مرحلة التأسيس وهيمنة التركيب.

- مرحلة معالجة التركيب وتفعيل الدلالة.

- مرحل بروز براديغم المعيارية "النموذجية الموسعة".

أ- مرحلة التأسيس وهيمنة التركيب:

نشأت اللسانيات التوليدية التحويلية عام 1957م إلى يومنا هذا، فأحدثت طفرة النوعية وانقلاباً كلياً على مستوى الدرس اللساني؛ حيث أنها جاءت مجاوزة للسانيات البنوية وقد تأثر صاحبها نعوم تشومسكي بجملة منطلقات الفكرية والعلمية والفلسفية لكل من: ديكارت رونييه (1650م/1596م)، ونحاة بوررويال (النحو العالمي)، والمفكر الألماني فون ويليام هومبولدت (1835م/1767م)، جلّ هذه المنطلقات كانت بمثابة الأسس الإبستمولوجية لهذه النظرية، إذ وجد نعوم تشومسكي في الفلسفة العقلانية مرتكزا لتصوره حول طبيعة اللغة البشرية¹.

ولقد نقد تشومسكي التصور الوصفي البنوي وإجراءاته التصنيفية حينما وقعت في مأزق إبستمولوجي مرده أن اللسانيات البنوية التي تركز على الملاحظة اللغوية المضبوطة للسان المعين، والذي يقوم منهجها بتحديد المدونة اللغوية وجمع المعطيات وترتيبها وتصنيفها واستخلاص القوانين الحاكمة من تلك المعطيات التي وجدها تشومسكي غير نافعة لتحليل الجملة والبُنى التركيبية مؤسساً بذلك مرحلة جديدة تتجاوز مرحلة الوصف الاستقرائي، فتجاوزت اللسانيات البنوية من حيث التصور والمنهج، إذ قامت النظرية التوليدية التحويلية على منهج تفسيري استنباطي ينطلق من مجموعة الفرضيات التفسيرية ليصل إلى ظواهر جديدة عن طريق صياغة قواعد عامة مفادها معرفة الملكة اللغوية.

¹- يُنظر: مصطفى غلفان، مشا: امحمد الملاح، حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية، من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010م، ص06/05.

الفصل الأول: - اللسانيات العرفانية في حقل الدراسات اللسانية الغربية بين التأصيل

ولقد شهد النصف الثاني من القرن العشرين ثورة كبرى على مستوى الدرس اللساني وذلك من خلال ما أسسه نعوم تشومسكي من مبادئ قوية بمرتكزها المعرفي الثابت المتضمن لمجموعة من الفرضيات التفسيرية للسان البشري انبنت عليها نماذجه التي تحاكي كيفية إنتاج اللغة وتأويلها في ذهن البشري.

ومما تجدر الإشارة إليه أن مجموعة هذه المبادئ، قد جاءت مجاوزة للفكر اللساني البنوي الذي قام على العمليات اللسانية الوصفية من ملاحظة وجمع وتصنيف واستنتاج، وذلك لضرورة يراها تشومسكي في هذا الانتقال البراديغمي لا مناص منه، إذ يؤكد عليه في مقالاته: "...من الواضح أكثر أن هذه المجهودات تستجيب لشرط أولي لبرنامج ملموس: أبحاث مشجعة قادرة على تجاوز المشاكل القديمة، وكشفت بسرعة عن أخرى جديدة لم يكن معترفا بها من قبل؛ وكانت متمنعة عن الصياغة وأغنت بشكل كبير التحديات التجريبية للكفاية الوصفية والتفسيرية التي ينبغي مواجهتها"¹.

مما جعله يتبنى منهجه العقلي التفسيري الاستنباطي للملكة اللغوية لشروط مخصوصة يرى تشومسكي أنه لا بدّ منها، سيما وأن فكره اللغوي الجديد يقوم على أساس تصوري لساني تُعد فيه اللغة نتاجاً عقلياً وجب البحث في مساراته الذهنية، وكيفية إنتاجه وتأويله من خلال ما تطرق إليه من ثنائيات (القدرة، الأداء)، (البنية العميقة، والبنية السطحية)².

ولقد سعى تشومسكي من خلال نظريته "للوصول إلى نحو عام يدرس جميع اللغات العالمية بواسطة قواعد عامة تنتظم بنية التراكيب في جل اللغات"³، وفي حقيقة الأمر فإن هذا المسعى لم يتحقق إلا من خلال؛ أولاً تركيزه على جانب التركيب وأبعاده البنوية، والذي مفاده أن اللغة نظام من القواعد الاستبطانية الموجودة على مستوى الدماغ بطريقة فطرية تتولد وتتحوّل من خلال مجموعة القواعد الكلية المحدودة والمسؤولة عن إنتاج عدد لا نهائي من

¹ - من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنى: مفاهيم وأمثلة، ص 200.

² - البنية النحوية، ص 69.

³ - نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، 2003م، ص 146.

الفصل الأول: - اللسانيات العرفانية في حقل الدراسات اللسانية الغربية بين التأصيل

الجملة، إذن قواعد التوليد هي: "بمثابة جهاز يحتوي على أبجدية رموز هي بمثابة معجمه فمستخدم اللغة يستطيع أن يفهم جملا وتعبيرات لم يسبق له أن سمعها"¹.

ولعل أهم ما يميز مرحلته الأولى في نظريته التوليدية التحويلية "مرحلة البنى التركيبية" هو رهان تشومسكي الوحيد على مركزية التركيب، مستبعدا بذلك كل ما له علاقة بالدلالة أو المعنى واهتمامه بالإعراب ليحتل صدارة النموذج ليصبح بذلك القاعدة الأساس فيه، ثم فرق في دراسته للغة بين النحو والمعنى².

بيد أن هذا النهج لم يكن وليد اللحظة أو الفكرة؛ ولكن نظرا لما كان سائدا آنذاك من مناهج بنوية وصفية، سيما في ظل النماذج التي تأثر بها تشومسكي السالفة الذكر. لأن قضية عدم الخلط بين النحو والمعنى، ما هو إلا انعكاس للتيار البنوي الوصفي، الذي تأثر تشومسكي بنماذج السائدة آنذاك؛ سيما الاتجاه الأمريكي بمدارسه المختلفة، ولكن سرعان ما شق طريقه عنها وأتى بنموذج لساني جديد يراعى فيه المعنى وهذا ما سنوضحه لاحقا... وقد تأثر تشومسكي بالنماذج الثلاث السالفة الذكر التي تعد المدرسة اللسانية الأمريكية أولى مؤسسيها (المدرسة الاستغراقية)، ذات المنهج الوصفي لصاحبها ليونز بلومفيلد (مختص في اللغات الهندو الأوروبية)، أقام فيها نظرية لسانية جديدة عامة للسان، طوّرت ونظمت من طرف تلامذته، وقد سيطرت على الدرس اللغوي الأمريكي حتى سنة 1950م³.

¹ - ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع لبنان بيروت، ط2، 1406هـ/ 1986م، ص92.

² - يُنظر: مدارس لسانية معاصرة، ص144.

³ - Au moment où l'œuvre de censure commence à peine à être connue en Europe, l'américain l.Bloomfield spécialiste, à l'origine des langues indo-européennes, propose, de façon indépendante, une théorie générale du langage qui, systématisée par ses élèves sous le nom de distributionnalisme, a dominé l'linguistique américaine jusqu'à 1950, vu: Ducrot et Todorov: dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, Edition du seuil, p49 (في الوقت الذي كانت فيه أعمال الرقابة بالكاد تبدأ في الشهرة في أوروبا، اقترح المتخصص الأمريكي ل. بلومفيلد، في أصل اللغات الهندية الأوروبية، بشكل مستقل، نظرية عامة للغة، والتي تم تنظيمها من قبل طلابها في ظل اسم التوزيعية، سيطر على علم اللغة الأمريكي حتى عام 1950م ديكر و تودوروف: القاموس الموسوعي لعلوم اللغة)

الفصل الأول: - اللسانيات العرفانية في حقل الدراسات اللسانية الغربية بين التأصيل

كان بلومفيلد أول من تبنى مبدأ السلوكية في اللسانيات الحديثة حينما باشر في دراسة سلوك الإنسان وفق ثنائية (مثير واستجابة)، وقد سيطرت هذه المدرسة على الساحة اللسانية ردحا من الزمن حتى سنة 1950م كما أشرنا سابقا، حيث اقترح بلومفيلد نظرية لسانية مستقلة وعامة انطلق فيها من ملاحظة أشكال السلوك البدني أثناء إنتاج المنطوق، ومرد هذه الانطلاقة الاعتقاد من طرف العلماء في زمنه: أن المعنى أبعد الجوانب العلمية في الدراسة اللسانية، ولا يمكننا التأكد من صحة نتائجه أو التحقق من جدوى وعلمية فرضياته إلا إذا راعينا السلوك، وقد أوضح بلومفيلد ما يعنيه من هذا الطرح خلال ما عرضه في قصة جاك وجيل والتفاحة¹، ومفاد هذه النظرية أنَّ التأويل الدلالي يكون بواسطة (المثير والاستجابة)، حيث أنه "سلوك إنساني بما فيه العملية الكلامية يكون خاضعا لهذا القانون (السبب، والنتيجة)، من خلال المقام التواصلية"².

ولعلَّ أهم ما يميز نظريته اللسانية إهماله المعنى، وذلك لعدم تحقق الدقة في تحليله الوصفي الشكلي مهما بلغ حدا كبيرا من الدقة، إلا أنه يبقى عاجزا عن تحليله الوصفي للسان البشري³، وبالمقابل "فإن بلومفيلد يرجئ له التفسير الدلالي، إذ لا يلغيه مطلقا كما فهم خطأ من طرف أتباعه، ولكن بشرط توفر المعايير اللازمة لدراسة المعنى دراسة علمية مثالية"⁴، واستمر هذا النهج التوزيعي مع زليغ هاريس 1909م/1993م، وقد ركز هاريس في نظريته على فكرة حالات التتابع والتي يقصد بها تتابع المورفيمات داخل السلسلة الكلامية، إذ تحيل إلى العلاقات المنطقية بين الجمل، أو داخل الجمل، أو بين المكونات والروابط، فمثلا في اللغة الانجليزية نحول هذه الجمل عن طريق "adverbs: as well, Or, and"، وتمثل الروابط المنطقية⁵،

¹ - يُنظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، د. ط، 2002م، ص 197.

² - عبد العزيز محمد حسن، مدخل إلى علم اللغة، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1998م، ص 315.

³ - يُنظر: دروس في المدارس اللسانية الحديثة، التنظير المنهج والإجراء، ص 38.

⁴ - جورج موان، تر: بدر الدين القاسم، تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، مطبعة جامعة دمشق، دمشق،

1972م، ص 342.

⁵ - jean Dubois، mathée Giacomo et autres، dictionnaire de linguistique، et des sciences du langage، les grands dictionnaires Larousse، 2013، p50.

الفصل الأول: - اللسانيات العرفانية في حقل الدراسات اللسانية الغربية بين التأصيل

وقد قدم هاريس نموذجاً للتوزيع النحوي للجملة فعدّ العنصر المشترك فيه بين التحليل التوزيعي والنحو هو المكون النحوي على سبيل المثال: نجد في اللغة الفرنسية الجملة تتكون من: $N1+V+N2$ تحول إلى: $N2+V+N1$ وبتحويل فعلي الجملتين نتحصل على جملة مبنية للمجهول نحو:

Le garçon a mangé du poisson.

$N1 + V + N2$

الولد أكل السمك

Le poisson à manger le garçon.

$N2+ V + N1$

السمك أكل الولد

Le poisson a été mangé par le garçon.

جملة مبنية للمجهول: السمك أكل من طرف الولد¹.

إنّ التركيب يتضمن بناء الكلمات وأقسامها، في حين أنّ النحو يشتمل على بناء الجمل وبذلك فإن أصحاب الاتجاه التوزيعي يميزون بين علم الصرف وعلم التراكيب باعتبار أن الأول يتضمن تشكّل الكلمة وبنائها وأقسامها، بينما علم النحو يهتم ببناء الجمل وبناء العبارات². وقد اعتمد التوزيعيون طريقة شكلية في التحليل اللغوي تمثلت في التقطيع أو ما يُسمّى: التقسيم نموذج المؤلفات المباشرة للتركيب اللغوي، والمكونات النهائية المتمثلة في الوحدات التمييزية الصغرى، ومثل لهذا المفهوم في اللغة الإنجليزية كالاتي:

The policeman arrests the accused.

الشرطي يعتقل المتهم

Direct compositions: The policeman/ arrests the accused.

It consists of direct authors: The policeman/ arrests/ the accused.

Final compositions: The/policeman/ arrests/ the/accused.

¹ - Harris zelliges analyse discours traduit par Dubois-Charlier François. in langage, n: 13, Paris, 1969, p12.

² - Morphology includes the constructions of words and parts of words while syntax includes the constructions of phrases".vu =Leonardo Bloom-field. language, 1933, the university of Chicago press, Chicago and London, USA, 1984, p207.

الفصل الأول: - اللسانيات العرفانية في حقل الدراسات اللسانية الغربية بين التأصيل

إذ الجملة: الشرطي يعتقل المتهم هاهنا: تتألف من ثلاثة مكوّنات مباشرة تحيلنا إلى مكوّنات نهائية، فالمؤلفات المباشرة هنا: متكوّنة من مكوّن أولي: الشرطي، والمكوّن الثاني: يعتقل المتهم، وعليه فإنها تتفرّع إلى ثلاثة مكوّنات مباشرة: الشرطي/يعتقل/المتهم، ثم إلى مكوّنات نهائية على نحو: ال/شرطي/ي/عقل/ال/متهم.

وللتوضيح أكثر فقد جاء في كتابه اللغة على المثال الآتي:

Poor John ran away

فَرَّ جُونُ الْمُسْكِينِ

إذ تتألف الجملة، من مؤلّفين مباشرين: المكوّن المباشر الأول: poor John والمكوّن الثاني: ran away، ثم تفرّعت الجملة إلى أربعة مكوّنات:

Poor/ John/ ran /away

ويحلل المكوّن المباشر إلى مكوّن نهائي على نحو: away=a/way. لتصبح الجملة محللة إلى مؤلفاتها النهائية كالآتي:

Poor/ John/ ran /a/way

وبإسقاط هذا النموذج على اللغة العربية نجد: أن الجملة في الآية: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَاَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [سورة البقرة، آية: 233].

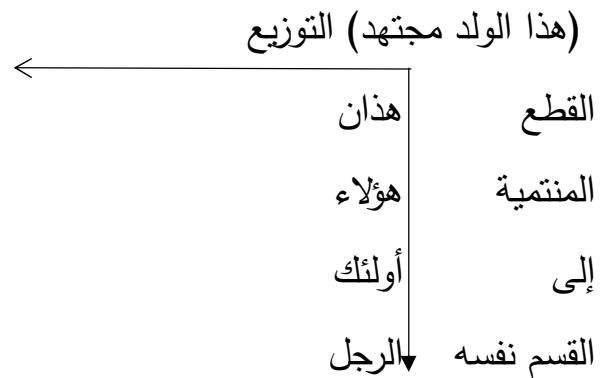
فإنها تنقسم إلى مؤلّفين مباشرين: مكوّن مباشر أول: والوالدات، والمكوّن الآخر: يرضعن أولادهن، ثم تتفرّع إلى ثلاثة مكوّنات: والوالدات / يرضعن / أولادهن. وتحلل هذه المكوّنات المباشرة إلى مؤلفات نهائية على نحو: و/ال/والدات/ي/رضع/ن/أولاد/هن.

والمستنتج من خلال هذا التحليل التوزيعي، أنه يقف عاجزا أمام تحليل أولاد إلى مكوّناتها النهائية باعتبارها لفظة ممتزجة بين المفرد والجمع: ولد/ أولاد، وسيفصل في هذه القضية لاحقا في العيوب التي طالت هذا النموذج.

الفصل الأول: - اللسانيات العرفانية في حقل الدراسات اللسانية الغربية بين التأصيل

وقد قام هذا النموذج التوزيعي على عمليات التوزيع، التي يستلزم فيها التقسيم التوزيعي السابق الذكر من مؤلفات مباشرة وأخرى نهائية ضرورة معرفة القسم التوزيعي، بحيث توّج الوحدات اللغوية المنتمية إلى قسم توزيعي معين بحسب ذلك القسم دون الخروج عنه، فمثلاً في اللغة العربية: إذا كانت الجملة: هذا الولد مجتهد، فإن مجموعة الاختيارات للوحدة الموزعة تكون بحسب القسم التوزيعي الذي تنتمي إليه، فالوحدة: هذا، تنتمي إلى قسم أسماء الإشارة¹. فالتوزيع: يكون على الشكل الآتي:

هذا الولد مجتهد، توزع بهذا النحو:



ويعتمد تحليل الجملة هنا على الطريقة التوزيعية؛ إذ ينطلق من تجزئة الجملة بحسب كل وحدة لغوية، وما تنتمي إليه من قسم توزيعي معين؛ وتتم هذه العملية على باقي الوحدات اللغوية الأخرى إلى غاية الوصول إلى أجزائها الصغرى غير قابلة للتحليل، ويكون بذلك قد انتهى إلى ضبط الأقسام التوزيعية لهذه الأجزاء الصغرى، مما يجعل هذا النموذج التوزيعي يتميز هنا بتحليل هيكلي تصنيفي يعمد إلى رسم هيكل تفصيلي للتركيب اللغوي أساسه المكونات الكبرى وقاعدته المؤلفات الصغرى.

وعليه، فإن الجملة في اللغة الإنجليزية: to be or not to be

كن أو لا تكن

¹ - Vu: mortese mahmoudian, «syntaxe et Linéarité» dans: Jeane à Martinet, de la théorie linguistique à l'enseignement du la langue, Presses Universitaires de France – PUF, 1 novembre 1974, p 27.

الفصل الأول: - اللسانيات العرفانية في حقل الدراسات اللسانية الغربية بين التأصيل

تتقسم إلى مؤلفين مباشرين: to be: كن/ و: أو لا تكن: not to be، وتتقسم بدورها إلى أقسام صغرى في قاعدتها: مؤلفات صغرى على نحو: to/be/or/not/to/be ولعل هذا الأمر يحيلنا إلى الإشكال الجوهرى حول المبدأ الأساسى الذى انطلق منه أصحاب الاتجاه التوزيعى حول: إهمال المعنى، فإذا كان المعنى مقصى من الدراسة التوزيعية فما مصغّر هذا التقسيم التوزيعى دون الالتفات إلى السياق الدلالي أو المعنى بوجه خاص، وهذا ما يعزّز قول جورج مونان: "أن التوزيعيين يستعينون دائما بمعرفتهم معنى الوحدات لتنظيمها في أقسام"¹.

وقد تطور المنوال التوزيعى وظهرت من خلاله نماذج لسانية أخرى، من أشهرها نموذج علبة هوكيت، ويحلل هذا النموذج الجملة من المكونات الصغرى وصولا إلى المكونات الكبرى عكس النموذج التوزيعى لبلومفيلد².

ونمثل لذلك في اللغة العربية: قال الله تعالى: (قل هو الله أحد) سورة الإخلاص الآية

رقم: 01.

↑	أحد	الله	هو	قل
	الله أحد		قل هو	
	(قل هو الله أحد)			

فقد قسمت هذه الآية إلى مؤلفين مباشرين:

قل هو = مركب فعلي syntagme verbal

الله أحد = مركب اسمي syntagme nominal

المؤلفات النهائية:

قل: فعل (verbe)

¹ - جورج مونان، تر: الطيب البكوش، مفاتيح الألسنية، تونس، منشورات سعيان، 1994م، ص11.

² - Charles f.hocket, a course of modern Linguistics, Macmillan London, Edition8th Printing, January 1, 1960, page151.

هو = أداة (article)

الله = اسم (nom)

أحد = اسم (nom)

قل = فعل + فاعل (verbe+ nom)

(هو = ضمير الشأن مبتدأ)، (الله لفظ الجلالة = مبتدأ)، (أحد = خبر)، (والله أحد = خبر لضمير الشأن)، (هو الله أحد = جملة مقول القول)، (قل هو الله أحد = جملة استئنافية)¹.
وبالرغم من هذا الطرح، بقي مبدأ التوزيعيين في إبعاد المعنى للتحليل اللغوي قائماً نظراً لصعوبة التحقق العلمي من ماهية الحقائق الدلالية للوحدات اللغوية.²

وفي ظل تطور البراديغم اللساني وحاجة الدرس اللساني لانفتاحه على عوالم الدلالة والمعنى لدراسة اللغة، نجد تشومسكي بنموذجه اللساني الذي يقوم على مبدأ مفاده أن الجمل تولد عن طريق سلسلة من الاختيارات تبدأ من اليسار إلى اليمين في بنية اللغة الأجنبية والعكس في ذلك للغة العربية، ويحتل صدارة الاختيار المكون الأول من الوحدات اللغوية في السلسلة الكلامية، إذ يتم تشخيص سلسلة الاختيارات على منواله، وذلك التشخيص ينبني من خلال السمات التمييزية التي ينتمي إليها كل اختيارنا بحسب الأسبقية الترتيب والموقع.³

ويمكننا أن نمثل لهذا من خلال الجملة الآتية: قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ

هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ...﴾

(this is the Book the Qur'an where of there is no doubt a guidance to those Who are Al Mutaqun...) .

abuse Believers of Islamic Monotheism = Almutaqûn who Fear Allâh much abstain from all kinds of sins and evil deeds which he has forbidden and love Allâh much perform All kinds of good deeds which he has ordained.*

¹ - يُنظر: حول هذا التقسيم إلى: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، ط3، 1429هـ/2008م، ص203.

² - اللسانيات التوليدية، من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، ص33.

³ - نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليون، ترجمة حلمي، خليل دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ط1، 1985م، ص103.

الإساءة لمؤمنى التوحيد الإسلامى = المتقون الذين يخافون الله كثيراً ويمتنعون عن جميع أنواع المعاصي والمنكرات التي نهى عنها ويحبون الله كثيراً ويفعلون جميع أنواع الخيرات التي أمر بها.

The Noble Quran in the English Language by Muhammad Taqi-uo-din al-Hulali, Muhammad Muhsin Khân, madinah,K,s,a,king Fahdcomplex for The Printing of the holy quràn,sûrah 2-al-baqarah, part1.

وفي ظل هذا الاتجاه اللساني الذي يفصل بين المعنى والنحو، جاء النموذج اللساني التوليدي لصاحبه نعوم تشومسكي الذي قام على خصائص نموذج المركبات والمكونات التركيبية المستند في تحليله للجمل والتراكيب للبنية النحوية الآلية بطرق رياضية وصورية على تحليل المؤلفات المباشرة التي قدمها الاتجاه التوزيعي الأمريكي كما ذكرنا آنفاً مستفيداً من نتائجها وآلياتها وإجراءاتها تنظيراً وتطبيقاً في دراستها للغة.

ونظراً للتطور البراديغمي للنماذج المعرفية، فإن تشومسكي حمل على عاتقه استدراك المزالق التي وقع فيها أصحاب النموذج التوزيع البنوي الأمريكي، سعياً منه لتغيير مسار اتجاه اللساني نحو رؤية لسانية مخصوصة قوامها ذلك الاتجاه التوليدي الواضح على صعيد بنية علم النحو رغم الأسباب القوية التي تربط البنية اللغوية باعتبارات النظام المتزامنة¹.

إذ دمج القواعد التحويلية في تحليله للجمل والبنى التركيبية وأبقى على ما يعرف في اللسانيات البنوية الوصفية على قواعد إعادة الكتابة لشقيقة العلوي مع اختلاف في غايتها، لأن قواعد إعادة الكتابة في اللسانيات البنوية الوصفية تحلل وتصف الجمل والبنى التركيبية في إطار بنية لغوية محددة، ومتن لغوي غير محدد بعينه (Corpus)، في حين أن قواعد إعادة الكتابة عند تشومسكي تصف الجمل والبنى التركيبية وتحللها وفق متن لغوي غير محدد، يلعب فيها الحدس (قدرة المتكلم الكامنة) دوراً أساسياً².

¹ يُنظر: جون بياجيه، البنوية، ترجمه: عارف وبشير اوبري، منشورات عويدات، لبنان، بيروت، ط3، 1982م، ص67.

² يُنظر: مصطفى غلفان، الأسنوية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت ط2، 1986م، ص97.

ومن خلال هذه القدرة الكامنة في ذهن (المتكلم والسامع) يمكن له إنتاج عدد لانتهائي من الجمل من خلال عدد محدود من القواعد، ما يمكنه من القدرة على الإبداع (Créativité)¹، هذا المسوّج جعل من هذه القواعد أكثر عمومية وشمولا ومنحها القدرة على تحليل هذا العدد غير المنتهي من الجمل.

فالإبداعية بمفهومها الخاص كونها قدرة بشرية خاصة ومميزة تتيح للمتكلم تأليف عدد لا حصر له من الجمل التي تعد في حقيقة الأمر إنتاجا لكلمات محددة (التي هي عبارة عن مجموعة من الأصوات اللغوية)، وقواعد محدودة، هذا الأمر يجعل منها وجها من أوجه القصور لدى الاتجاه البنوي الوصفي بشكل عام، إذ يقول تشومسكي: "إن اللسانيات البنوية ليست إلا مرحلة ولا غاية قصوى، فيجب على اللغوي أن يبتكر مناهج جديدة لتحليل المستوى التركيبي، بل اللسان كله، هذا وقد أغفلت البنوية الكلاسيكية ولم تولّ أية اهتمام لتلك الميزة البشرية الأساسية، المتمثلة في قدرة الإنسان على إحداث جمل غير متناهية العدد لم يسمعها ولم يتفوّه بها من قبل، وفي نفس الوقت قدرته على إدراك عدد لا متناه من الجمل، ما سمعها ولا تفوّه بها قط من قبل..."².

وعلى هذا الأساس؛ قامت نظرية تشومسكي "النظرية التوليدية التحويلية" على ثلاثة أشكال لتكوين البنى النحوية، من أجل الوصول إلى نموذج لساني من شأنه تدارك كل المعوقات الإبيستمولوجية والتعقيدات التي واجهت النظريات اللسانية السابقة، خاصة فيما تعلق بنماذجها المعرفية في تحليلها للغة، وعليه قدم تشومسكي نموذجا نظريا خوارزميا لإنتاج متتاليات رياضية وتحديد الصورة العامة للجملة وتحليلها وبيان طبيعتها وآلياتها وكيفية اشتغالها بكل ما تحمله من قدرة على التوليد سواء من بُنى نحوية، ومؤلفات كبرى وصغرى بصورة ابتكارية وإنتاجية وتمثلت أشكال البُنى النحوية كالآتي:

أ.1. نموذج نحو الحالات المحدودة (سلاسل ماركوف)

¹ - مبادئ في اللسانيات، ص104.

² - خصائص الخطاب اللساني اعمال ميشال زكرياء نموذجا، ص23-24.

أ.2. نموذج نحو المكونات التركيبية (المكونات المباشرة)

أ.3. النموذج التحويلي (الذي استمدته من النحو النسقي).

أ.1. نحو الحالات المحدودة (سلاسل ماركوف):

وينسب هذا النموذج لأندرية ماركوف (1856م/1922م)، وقد نجده بتسميات متعددة فهناك من يسميه: "نحو الحالات المتناهية" (المحدودة)، وآخر يسميه: النموذج المركبي (المكوني)، وهناك من يسميه: "نموذج المكونات".

وقد ترجمه ميشال زكريا "بنحو العبارات"، في حين نجد عبد القادر الفاسي الفهري يسميه: "النموذج المركبي"، ونشأ هذا النموذج الرياضي في رحاب الدراسات والبحوث الأمريكية، الذي أسسه المعطيات الحسابية الرياضية، حيث يسمح بوضع آليات تحلل اللغة من خلالها بطريقة تقنية آلية، وفق عمليات متوالية تنتج على أثرها لغات ذات حالات متناهية، هذه الآلة هي: "نحو الحالات المحدودة، إذ يبدأ الإنتاج فيها من الحالة الأولية (Initial) حتى تصل إلى الحالات النهائية (Final)"¹.

وتقوم هذه الآلة بترميز اللغة في كل نقطة من خلال هذا الجهاز (أي عبر الخورزميات) من الحالة الأولى تنقل بالرمز إلى الحالة النهائية، وأثناء هذا الانتقال فإنها تنتج في كل مرة رمز (كلمة)، وتجدر الإشارة إلى أن الآلة هاهنا ترسل رمزا واحدا فقط في كل نقلة التي تطابق في كل حالة إلى أخرى موقعا وترتيا ما داخل الجملة، فتصبح بذلك الجمل أو البنى التركيبية عبارة عن آلة تمر عبر سلسلة من الحالات المتناهية بشكل صوري رياضي ترميزي، ويكون في هذه الحالة توليد أو إنتاج الكلمة الثانية متعلقا بالوحدة اللغوية الأولى، فكل حالة تحد من إمكانية توليد الكلمات المتوالية، هذا التوليد ليس له ذاكرة لغوية، لهذا الأمر تتوالد من خلاله جمل لا علاقة لها بغيرها من الجمل².

¹ - الألسنية التوليدية والتحويلية، وقواعد اللغة العربية، ص127.

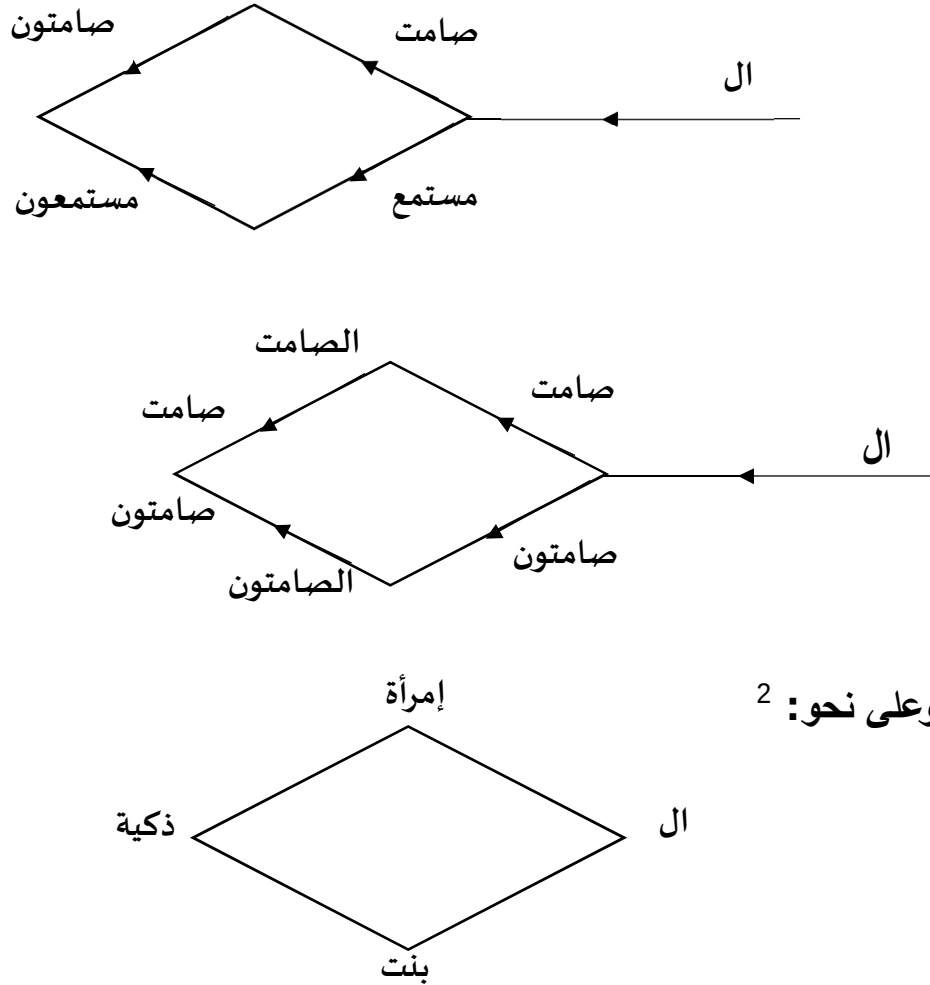
² - ينظر: اللسانيات التوليدية، من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنى، ص54.

الفصل الأول: - اللسانيات العرفانية في حقل الدراسات اللسانية الغربية بين التأصيل

إن سلسلة هذه الرموز الصورية هي المسؤول عن إنتاج الجمل وتكوين البنى النحوية وفقا لهذه الآلة واللغات التي يتم توليدها بهذه الكيفية تسمى: اللغات ذات الحالات المحدودة:

langages a états finis

ويمكن توضيح ذلك من خلال المخطط الآتي¹:



وعلى نحو: ²

حيث ننتقل من الحالات الأولى (ال) ويمر إلى الحالة الثانية، فنحصل على المورفيم (امرأة)، وهكذا بالتدرج حتى يصل إلى الحالة النهائية المجسدة من خلال المورفيم (ذكية). وتتولد لدينا - آنذاك - الجملة في شكلها التام: (المرأة ذكية/ البنت ذكية)، وإذا أريد توسيع هذه البنية السطحية أضيفت لها العديد من الصفات على نحو: المرأة جميلة، ذكية، مثقفة،

¹ - دروس في المدارس اللسانية الحديثة، التطوير، المنهج والإجراء، ص54.

² - اللسانيات التوليدية، من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنى، ص55.

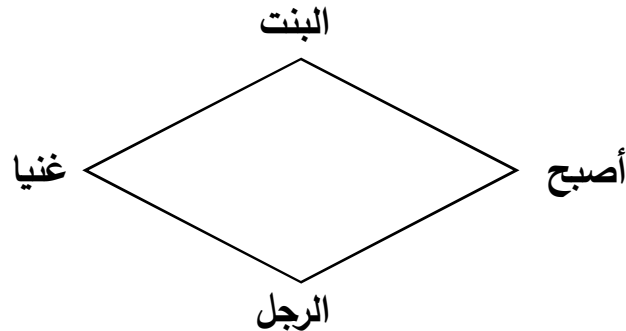
الفصل الأول: - اللسانيات العرفانية في حقل الدراسات اللسانية الغربية بين التأصيل

مهذبة، متخلقة.... الخ من الصفات، وقد تتولد عنها بعقدة من خلال الصلة أو شبه جملة مثل: المرأة التي كُرمت مثقفة، البنت في جمالها مذهلة¹.

هذا المخطط بمورفيمات أخرى، أضيفت عقد des boucles على النحو الآتي:

بالرغم من كفاءة هذا النموذج الذي له قدرة كبيرة على توليد ما لا حصر له من الجمل السليمة نحويا، إلا أنه يقف عاجزا أمام توليد بنى نحوية سليمة من حيث التركيب والدلالة لأنها لا تتماشى وحس متكلمي اللغة.

ففي اللغة العربية فإن توليد الجملة بحسب هذه السلاسل على النحو الآتي:



فالجملة الأولى المولدة: أصبح البنت غنيا، سليمة نحويا ومخالفة للدلالة، لأن الوحدة اللغوية التي يجب أن تتولد على إثرها غنية، وتوليد غنيا خاطئة لعدم امتثالها لحالة التبعية؛ أي أنها لا تقدم أي معلومات للبنية النحوية (جمل المشتقة)، ويتجلى عجزها كما أشير له بوضوح أمام ظاهرة الاتباع laccord، وهذا ما يؤكد حدس (المتكلم والسامع) كونها خاطئة من حيث المعنى، أما بالنسبة للجملة المولدة: أصبح الرجل غنيا، فهي سليمة نحويا ودلاليا، فوجه القصور هاهنا هو عدم مراعاته للتوافق الجنسي بين ذكية وذكيا، بالنسبة للعنصر اللغوي البنت أيضا عدم قدرة هذا النموذج على معالجة دلالتها لأن المبدأ الأساسي الذي اعتمده هو إهمال المعنى من الدراسة.

¹ - Vu: Chomsky=réflexions sur le langage, trad. Par Judith Milmer, librairie François Maspero, paris, 1977, p2.

الفصل الأول: - اللسانيات العرفانية في حقل الدراسات اللسانية الغربية بين التأصيل

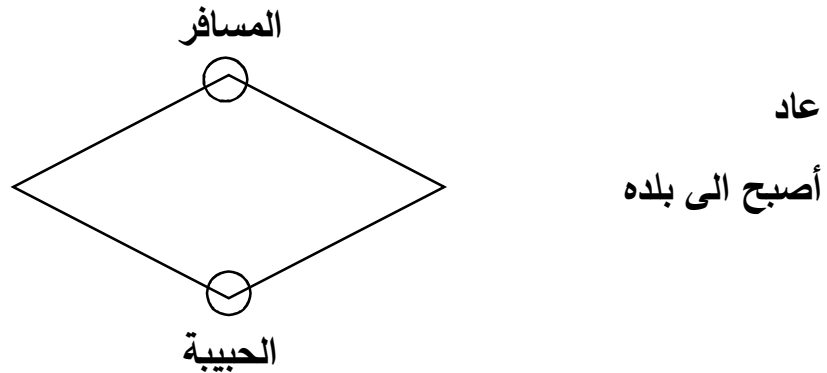
إضافة إلى هذا اللبس الذي وقع فيه النموذج، فإن توليده للجملة النحوية (الولد لطيف) والجملة الثانية (البنات لطيف)، فهي وإن كانت ذات معنى إلا أنها مجانية للنحو، لانعدام التوافق الجنسي بين المورفمين: (بنات / لطيف).

فلذلك يعاب على نموذج ماركوف أنه لا يراعي السمات التمييزية، إذ لا يفرق بين المذكر والمؤنث وما يستلزمه التركيب والضرورة النحوية، ومثال ذلك:

مخطط ماركوف: ¹

مثال: عاد المسافر الى بلده / وأصبح الحبيبة غريبة.

إذ يجب توليد قاعدتين من صيغتين مختلفتين، وهنا لا يحقق هذا الشرط، فنحو الحالات المنتهية، له قدرة توليدية ضعيفة غير مكثفة بتوليد الجمل وإنتاجها، وذلك لافتقارها لقوة التوليدية وعدم قدرتها على إعطاء وصف دقيق وواضح للجمل المولدة.



إلى جانب هذا انعدام حالة المطابقة في بعض الأحوال:

كمطابقة الفعل لفاعله $\Leftarrow$ أصبح البنات $\Leftarrow$ أصبحت البنات؛ أي مطابقة المؤنث للمؤنث في السلسلة الكلامية، لا مطابقة المؤنث للمذكر وفقا لقاعدة النحو والدلالة (التذكير والتأنيث)، إذ لا يستجيب لشرط في النحو فيقوم بتوليد الجمل النحوية السليمة والصحيحة نحويا الخاطئة تركيبيا ودلالة، وبالتالي عدم تمكنه من معالجة اللغات الطبيعية بمجملها، مما أدى إلى وقوع

¹ - دروس في المدارس اللسانية الحديثة، التنظير، المنهج والإجراء، 66/65.

هذا النموذج الألسني في طريق مسدود نتج عنه إنشاء نموذج لساني جديد كنماذج النظرية التوليدية التحويلة التي سنوضحها فيما بعد¹.

وبناء على ذلك؛ انتقد محمد الخولي نموذج ماركوف، حيث يرى أن هذا النموذج غير صالح للتطبيق على اللغة العربية بوجه خاص، فما ينطبق على اللغات الأخرى قد لا ينطبق على اللغة العربية، وهذا الأمر يتنافى مع غرض هذا النموذج اللساني الذي يسعى إلى وضع نموذج صالح لكل اللغات الطبيعية، ومثال ذلك: الكلمة في العربية لا تنطبق على مفهوم المورفيم باعتبار كلمة: اللاعبين: مكونة من: ال/ لاعب/ ون.

ورغم يسر هذه الآلة وبساطتها، وتمكّنها من إنتاج اللغة بكيفية غير محدودة- عن طريق إضافة عقد في أي مستوى منها- إلا أن صعوبتها تكمن في عجزها عن توليد بعض الأنواع من الجمل المتداخلة في غيرها²، مثل تركيب الصلة، الشرط، الإضافة،... الخ.

وبالرغم من أن نموذج ماركوف يستجيب لبعض السمات والخصائص التي تشترك في كل نموذج صوري، والذي يوضع من أجل إنتاج جمل غير محدودة من خلال قواعد محدودة إلا أنها باتت سلبية من سلبية هذا النموذج كونه نموذج غير اقتصادي³، إذ أنه لم يتحرّر الدقة العلمية، وما ينبغي أن يكون عليه أكثر استلزاماً في توليد الجمل تحديد عددها وتقليلها، مما يتيح فرص تدقيقها واقتربها نحو العلمية بشكل أدق، خاصة في ظل ضعف قدرتها التوليدية اكتفائها فقط بتوليد الجمل وإنتاجها دون وصف لها، ويرى تشومسكي أنها تفتق لقوة التوليدية ويعنى بها: توليد الجمل مع إعطاء وصف دقيق وواضح للجمل المولدة، وهذا ما لا يقوم به نحو الحالات المنتهية غير قادر لحل مشاكل بسيطة للقواعد⁴، وبالتالي فإن هذه المعوقات

¹ - ينظر: دروس في المدارس اللسانية الحديثة، التنظير، المنهج والإجراء، عيوب نحو الحالات، المخطط، 66/65.

² - يُنظر: نفسه، ص66.

³ - يُنظر: الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية، ص130/129.

⁴ - يُنظر: اللسانيات التوليدية، من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنى: مفاهيم وأمثلة، ص55.

التي وقع فيها نموذج ماركوف السالفة الذكر، تؤكد ضرورة البحث عن نموذج لساني يكون أكثر تجريداً وقوة لفك تلك التعقيدات:

أ.2. نموذج نحو المركبات:

حين تبين لتشومسكي حدود نموذج سلاسل ماركوف، اقترح نموذجاً جديداً للتوليد اللانهائي للجمل ليس ببعيد عن نحو شيخه هاريس الذي اقترح نموذج التحويلات؛ أي التحليل بالعودة إلى المكونات المباشرة، الذي أطلق عليه تسمية: النحو النسقي أو نموذج نحو المكونات التركيبي أو النموذج المكوني، ويقصد به ذلك النموذج الصوري المسؤول عن إنتاج عدد لا نهائي من الجمل عن طريق تحليل المكونات المباشرة للجملة بواسطة المبادئ الإجرائية التي تبنتها أفكار كل من بلومفيلد وزليغ هاريس (اللسانيات الأمريكية التوزيعية)؛ فهو نموذج مستمد من اللسانيات البنوية الوصفية التي قامت على منهج التحليل التوزيعي (الاستغراقي).

وكما فصلنا آنفاً في إجراءات التحليل التوزيعي لهما، فإنها في الحقيقة اعتمدتا على جملة من الآليات والمبادئ التوزيعية على نحو: التصنيف، والتجزئة، والتبديل، الاستبدال أو التعويض...، وما انتهجه هذا النموذج في تحليله للجملة باعتبارها أكبر وحدة لغوية قابلة للتحليل من قواعد وأنظمة داخلية وخارجية وفق تراتبية تصاعدية، جعلت من الوحدات الصرفية الصغرى تنتظم فيه بصورة ممنهجة، حيث تبدأ من أصغر عنصر لغوي وهو: المورفيم، ثم الوحدات الفرعية المركبة وصولاً للجملة، من خلال عمليات ضبط التوسع والتمدد والفصل والعزل التي تتيح تحليل المكونات المباشرة بطريقة دقيقة؛ ومعنى هذا الكلام أن الجملة تتوسع داخل تركيب معنٍ عبر سلم تسلسلي من أصغر وحدة صرفية (المورفيم = الكلمة) إلى أكبرها أو العكس عن طريق نظام لساني يخص لغة معينة على حده، فكل جملة تعرف نوعاً ما من التراتب والتداخل بين مكوناتها، حيث أن كل وحدة من تلك الوحدات تتعاقد وتتداخل مع

الفصل الأول: - اللسانيات العرفانية في حقل الدراسات اللسانية الغربية بين التأصيل

الأخرى وعليه فالمكونات الفرعية تُضم وتُضم كحلقة من حلقات العقد، فعملية عزل المكونات المباشرة مثلاً: كالمبتدأ والخبر نجد الخبر داخله مكونات فرعية أخرى على نحو الآتي¹:

ج = الجملة

ج = الزهرة تفوح عطرا، تحليلها كالاتي:

ج = م + إ + م ف

ج = تع + إ + م ف

ج = تع + إ + ف + إ

ج = تع + إ + ف + ز + إ

ج = أداة التعريف + الاسم + الفعل + زمن الفعل + الاسم.

الزهرة مكوّن مباشر = مبتدأ وتفوح عطرا = مكوّن مباشر، والخبر بداخله مكونات فرعية وهي خبر للمبتدأ: الزهرة، ورغم تقارب النموذجين، ما بين نموذج المؤلفات المباشرة والنهائية للتوزيعيين ونموذج تشومسكي، إلا أنه استطاع أن يتدارك نقائصه والإتيان بطريقة جديدة لوصف وتحليل الجملة مخالفة نموذج الطبقات لهاريس من خلال تجسيد نموذج التشجير، جعل فيها الجملة على رأس عقده على شكل شجرة " un Arber " تعكس لنا هذه المؤلفات المباشرة وكذا العلاقات القائمة بينها بشكل واضح مجرد ودقيق.

ويُدعى هذا التشجير المؤشر النسقي رأسه؛ أي (عقدته الأولى) الرمز (ج) وتتفرع عنه المؤلفات المباشرة حتى يتوصل بواسطة قواعد إعادة الكتابة إلى أصغر المورفيمات، وتقوم هذه القواعد بإعادة كتابة الرمز (ج) من اليمين إلى اليسار على شكل مجموعة من الرموز المتوالية هذا في اللغة العربية، أما في اللغة الأجنبية فإن إعادة كتابة الجملة يتم من اليسار إلى اليمين حتى يتم اشتقاق الجملة في صورتها النهائية وتحديد مختلف العلاقات القائمة بين عناصرها.

¹ يُنظر: شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ط1،

هذه العلاقات قد تحمل في مضمونها وظائف نحوية: كالفاعلية والمفعولية... إلخ ووظائف أخرى داخل الاختلافات التركيبية: كعلاقات السبق (علاقات الأفقية) وعلاقات العلو "الإشراف" (علاقات عمودية)؛ أي مقولة تشرف على المقولة التي من بعدها بعلاقة تعددية ومثال ذلك: إذا كان الكون أ يشرف عن المكون ب، والمكون ب يشرف عن المكون ج، فإن أ وب لا يمكن أن يعلو عن ج؛ أي أن الجملة: جاء الولد مسرعا ليست نفسها الجملة: الولد جاء مسرعا، فكل تغيير في الترتيب ينجم عنه تغيير في التركيب الشجري¹.

وقد يتخذ هذا النموذج أشكالا أخرى من التحليل كأقواس وايلز، أو كشكل معادلات هاريس الرياضية، أو كصناديق "علبة" هوكيت، وبالرغم من أن تشومسكي حاول أن يقدم صياغة جديدة لنموذج المركبات وحاول أن يعطي نوعا وصورة جديدة يمكن أن يدفع به إلى الواجهة، وأن يتقدم به في إطار صياغة نظريته واقتراحه للتشجير النسقي، ومهما كانت هذه القواعد أشد قوة وأكثر ملاءمة من القواعد المحدودة، إلا أنها لا تعكس بدقة حدس أبناء اللغة فيما يخص الحكم على استقامة الجمل أو استحالتها، إذ أنه لا يستطيع أن يولد كل التراكيب اللغوية الموجودة في اللغة، ولهذا الأمر لم يسلم هذا النموذج من العيوب كغيره من النماذج الأخرى، وفي هذا السياق يمكن رصد بعض المعوقات التي اعترضت مسار النموذج المركبي إذ نجد أنه ليس باستطاعته تركيب الجمل المركبة بالتبعية، حينما يقوم بتوليد جملة: الأم وطن وبتوليد الجملة: الوطن ملاذي، ولكنه لا يستطيع توليد جملة مركبة من خلال هذا المثال: الأم وطن، والوطن ملاذي، إلى جانب هذه المعوقات التي وقع فيها من خلال جملة التعقيدات التي لم يستطع تجاوزها من حيث التفسير، في الانتقال من الجمل المبنية للمعلوم إلى الجمل المبنية للمجهول، ومن المشاكل أيضا أدناه: عدم تقديم اقتراحات دقيقة لبعض الظواهر اللغوية وكذلك عدم التوافق لضبط التوافق بين الترتيبات الجديدة والترتيب الخطي ويقصد بهما: ترتيب البنوي: الترتيب للجملة والترتيب الخطي هو: الاجتماع السطحي للجملة والمثال ذ:à لا خلاف ذلك .

¹ يَـ نظر: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص69.

لا يمكن في النموذج المركب وصف الخلق النفي وصفا بنويا، سيما أنه يكتفي برصد نتائج التتابع السطحي لمكوني الن في مثل لهما بعنصرين: Pas, ne يحتلان موقعين في جملة تبعا لترتيبهما الخطي، في حين أن مقولة النفي في العمق قوة لواحدة عنها بدل بلفظتين الدال المتقطع في تحليل البنوي، الأمر نفسه نجده في اللغة الانجليزية: He Don't guilty. النفي: Do\Not مقولة واحدة تتكون من لفظتين؛ الدال المتقطعة والتحليل البنوي يتعامل معها كأنها دال متقطع إلا أنها مكونة من وحدتين¹؛ إذا لم تستطع حل هذا المشكل، وهذا الأمر نفسه في اللغة العربية على حد التقريب ترد الدوال متقطعة في النفي: لم، لن، أبدا، قط، ما...، تعد مقولة واحدة تدل على النفي، إلا أنها في عمقها مقولة واحدة، ولكن في استعمالها تأتي مؤلفة من قطعتين: ما قرأت الرسالة قط؛ وعليه دلالة النفي من خلال المكونين: ما/ قد للنفي.

إذا؛ المعالجة المركبية لهذه الظواهر الملاحظة عند تشومسكي تقوم على الافتراض أيضا وقع في الالتباس في الجملة القابلة للتأويلين، فجملة: ضرب عيسى موسى لا تعرف إلا بموجب قواعد التحويل، وجملة: نقد تشومسكي، هل المقصود منها أن تشومسكي هو الناقد أو المنتقد في هذه الجملة مثلا؟، وعمر وزيد الكريم، على من تعود؟ قُلُّ القاتل هل قُتِلَ أم قُتِل؟ ومساعدة أولياء الأمور: على من تعود المساعدة، كل هذه المزالق يقف التحليل المركبي عاجزا أمامها، إذ لا يستطيع تفسيرها أو تحليلها أو دراسة اللبس الموجود فيها، لعل المراد من ذلك إبعاد الجانب الدلالي عن عمليات التحليل².

كل هذه المعوقات التي واجهت النموذج المركبي أدت بتشومسكي إلى طرح نموذج ثالث ألا وهو:

3. القواعد التحويلية (النحو التوليدي):

¹ يَ نظر: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 69/68.

² يَ نظر: دروس في المدارس اللسانية الحديثة، التنظير - المنهج والإجراء، ص 56.

وقد أدرك هذا اللساني قصور النموذج الثاني، وسرعان ما طوره ليكون قادرا على توليد كل الجمل السليمة النحوية، التي تصدر عن (المتكلم، السامع) المثالي، وهكذا جاء بالنموذج الثالث الذي أحدث به ثورة في مجال اللسانيات الحديثة، وهو ما أكسبه شهرة عالمية لها وزن وباع في مسار الدرس اللغوي الحديث، فصار على أساسه عنوانا لنظريته اللسانية التوليدية التحويلية، تدارك تشومسكي فيه مزالق النموذج التركيبي وتجنب قصوره، وذلك من خلال مراعاة حدس أصحاب اللغة وانعكاسه على البنى التركيبية وتولدها بعدد لا حصر له من الجمل، أيضا العناية بالمعنى أكثر من اعتناؤه بالقواعد التركيبية لغاية مفادها إيجاد حلول للالتباس الذي وقع فيه النموذج السابق، تجسدت بالاستناد إلى تحليل البنية العميقة للجملة بواسطة تطبيق القواعد في مستوياتها الصوتية والصرفية والتركيبية، ثم تطبيق القواعد التحويلية في المقام الأول على تطبيق قواعد تركيب أركان الجملة، ومن ثمة إجراء اختيارات إجبارية أو اختيارية عنها، والتي تعرف في التراث العربي بالجواز والوجوب وذلك لتحقيق السلامة النحوية، فالوجوبية هاهنا قواعد النوع في الجنس كالذكر والتأنيث، وقواعد المطابقة، والاختيارية على نحو: الجمل المركبة من النفي والاستفهام، والمبني للمجهول، والتقديم والتأخير، والمعنى من ذلك أن هذا النموذج الذي يمثل هذه القواعد القادرة على وصف اللغة وتفسير معطياتها، يرمي إلى هدف رئيس يتجلى في تحليل البنية العميقة وما ينجر عنها من البنية السطحية التي نستعملها أثناء الكلام، وتبيين كيفية الانتقال من المستوى المجرد للبنية العميقة إلى مستوى آخر هو الشكل النهائي للجملة في البنية السطحية، وهذا ما يفسر تنوع البنى السطحية وتعددتها، قياسا إلى العدد المحدود للبنى العميقة، وللتحولات أكثر من نموذج: تحويل بالقلب، بال حذف، بالتبديل بالجمع، وهي في مجموعها نوعان: قواعد تحويلية اختيارية وقواعد تحويلية إجبارية. وانتهى تشومسكي إلى أن عملية إنتاج الجملة تتمثل في البراديغم الآتي:

عنصر أولي ⇐ مكون تركيبى ⇐ مكون تحويلي ⇐ مكون صوتي صرفي ⇐ التمثيل الصوتي للجملة

وبالتالي؛ يمكن التفريق بين الجملة النواة "الأساسية" والجملة التفريعية "المنقرعة عنها".

وفي إطار ما حققه هذا النموذج من عمليات تحليلية جادة للبنى النحوية التي تراهن فيه على مبدأ الابتكارية " الإبداعية"، بهذه الطريقة التي سرعان ما اعترتها بعض النقائص، إذ ما لبث اهتمامه المبالغ بالمستوى التركيبي¹، وقواعده الاستبطانية بعيدا عن جانب الدلالة بشكل قاطع حتى وجد نفسه أمام طريق مسدود يتغيا الدلالة لكي يحقق الاستقامة الفعلية للجمل والبنى التركيبية المولدة بطريقة تجديدية²، مردّ هذه المعوقات إنتاج جمل نحويا غير مقبولة دلاليا على نحو: كتب التلميذ الدرس بوصفها (سليمة نحويا ومقبولة دلاليا)، تتولد عنها الجملة: كتب الكراس الدرس (سليمة نحويا وغير مقبولة دلاليا)، عدم امتثال النموذج للجانب الدلالي وتعزيزه مبدأ النزعة البنوية في رفض ربط النحو مع الدلالة أسفر عن هذا النقص³، بالرغم من عدم إنكار تشومسكي العلاقة الموجودة بين البنية التركيبية وجانبها الدلالي لإيمانه أنّ الجانب التركيبي يمكن له التحكم في الدلالة بطريقة غير مباشرة⁴، والملاحظ من خلال تطور النماذج النظرية التوليدية التحويلية لدى تشومسكي أنه في كل عمل لساني للنموذج، كان دائما ما يطوره إذا تعرض للانتقاد أو الأخطاء أو المزالق ليستدركها في النماذج التي تلي كلّ براديجم على حده، ولهذا الغرض طوّر تشومسكي نموذجيه نحو غاية الربط بين البنية التركيبية والدلالة في التحليل النحوي.

ب- مرحلة معالجة التركيب وتفعيل الدلالة:

أدت الضرورة الملحة لانفتاح التحليل النحوي لتشومسكي على الدلالة إلى انتقاله من مرحلة نموذج البنيات التركيبية التي تعتمد على البنية المركبة بالدرجة الأولى إلى نموذج المعيارية، أو ما تُسمى: المرحلة النموذجية التي راعى فيها الجانب الدلالي، وقد تجسدت أفكاره الرائدة التي تضمنتها نظريته اللسانية بكتابه "مظاهر النظرية التركيبية" من خلال هذه المرحلة - النموذجية - المشتملة على تطوير كلّ من المفاهيم التأسيسية التي قامت عليها نظريته التوليدية

¹ - يُنظر: البنى النحوية، ص 137.

² - نفسه، 123.

³ - نفسه، ص 131.

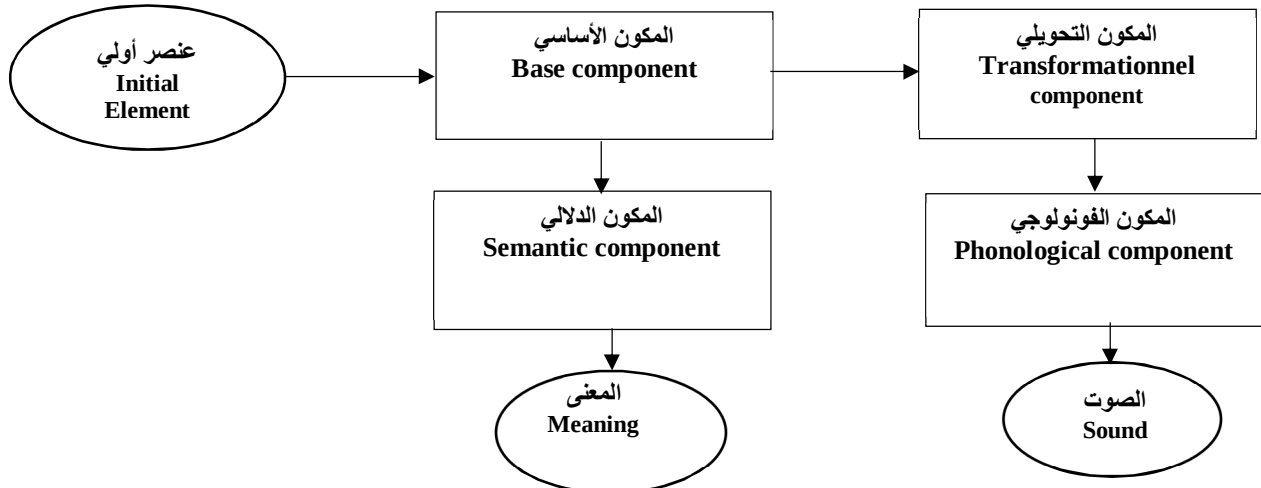
⁴ - يُنظر: نفسه، ص 132.

الفصل الأول: - اللسانيات العرفانية في حقل الدراسات اللسانية الغربية بين التأصيل

التحويلية، من التمييز بين الكفاءة اللغوية والأداء الكلامي، وتحديد الفروقات بين مفهوم البنية العميقة والبنية السطحية، وما ينتج عنها من جمل نحوية وجمل غير نحوية، مع محاولة التدقيق والفصل في مقبولية الجملة النحوية المولدة وعدمها من حيث دلالتها¹.

وفي الحقيقة مردّ هذا التطوير كان في الأساس راجعا لما قدمه اللسانيون عام 1964 "ككاتز" و"فودور" اللذين سعيا إلى ضرورة إضافة القواعد الدلالية للمكون التركيبي، أضف إلى ذلك ضم معجم يحتوي على كافة العناصر، والصفات والحقول الدلالية، والنحوية التي تيسر عملية التفسير الدلالي للجملة، وقد تبنّى تشومسكي هذه الاقتراحات الجديدة وانطلق منها في محاولة لتوسيع نموذج السابق نحو نموذج معياري، فأدرج له المكون الدلالي والمعجمي بواسطة صندوق (Box) للقواعد تتم عبره مجموعة التفسيرات، وهنا يكمن الفرق بين النموذجين المركبي والنموذجي، وقد أطلق على الصندوق اسم المكون الدلالي، ولمزيد من التفصيل سيمثل لهذا التغير النموذجي والرسم البياني للبراديغم النموذجي الآتي يوضح هذا التغير - تطوير النموذج - الطارئ على مستوى النموذج اللساني المركبي²:

شكل يوضح النموذج اللساني المركبي³



وتعليقا على الشكال السابق؛ فإن القواعد الأساسية لهذا النموذج قامت على أربعة مكونات، بدءاً بالمكون الأساسي المتضمن قواعد إعادة الكتابة التي تسخر له إمكانية إنتاج

¹ - يُنظر: دروس في المدارس اللسانية، التنظير - المنهج والإجراء، ص 57.

² - vu: Noam Chomsky, revised edition by: john Lyons, penguin modern masters, edited frank kermode, p79

³ - vu: Noam Chomsky, op. cit, p79

الفصل الأول: - اللسانيات العرفانية في حقل الدراسات اللسانية الغربية بين التأصيل

عدد لا نهاية له من البُنى التركيبية التحتية، ومن هذا المفهوم فإن هذا المكون يعمل عمل المكون المركبي السالف الذكر في المرحلة السابقة، ناهيك عن احتواء النموذج مداخل معجمية من شأنها تزويده السمات التمييزية للعناصر اللغوية على نحو:

إنسان: حي، محسوس، مذكر، متحرك، معرف،...، تتم هذه العملية على مستوى الدماغ من خلال هذه القواعد الباطنية، ويتيح إدراج العناصر المعجمية الحصول على البنية العميقة للجملة التي تمر آليا إلى المكون التحويلي غرض توليد جمل محولة بواسطة قواعد تحويلية معينة كعمليات الحذف، الإضافة، التقديم والتأخير -إعادة الترتيب-، التوسع، الاختصار وغيرها على السلسلة الأخيرة من القواعد التوليدية المركبية، تمكن من تحويل البنية العميقة إلى بنية سطحية من خلال تلك العمليات، إلى جانب هذا أضيف المكون الدلالي الذي يعد عنصرا أساسيا أهملته اللسانيات البنوية التوزيعية وتشومسكي بدوره في المراحل السابقة ويُدعى هذا المكون باشتقاق الجمل على مستوى البنية العميقة عن طريق قواعد التفسير الدلالي، ويطبق هذا المكون ضمن مجالين:

- مجال المعجم: وهو مجموعة العلامات اللسانية التي يعطي لها معنى أوليا.
- مجال قواعد الإسقاط: وهي القواعد التي تربط بين العلامات اللسانية (الكلمات) والبنى التركيبية المولدة فيتوصل إلى مدلول الجملة.

مثل: قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [سورة البقرة الآية 31]

فجملة عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ تحلل من خلال هذا الطرح بهذا الشكل:

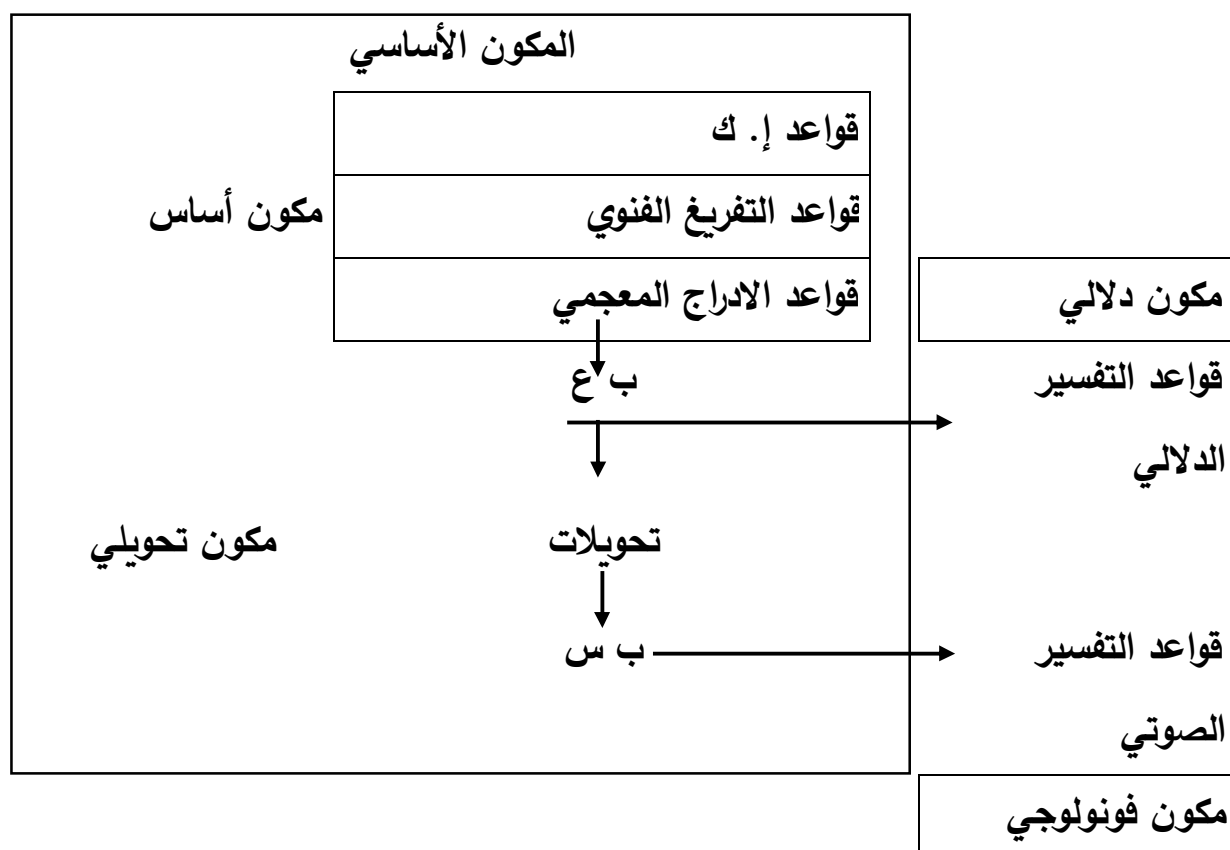
عَلَّمَ	فعل	تام	متعد	فاعل	حي
آدَمَ	تعريف	محدد	مفرد	مذكر	حي
ال	تعريف	محدد	مفرد أو جمع	مذكر أو مؤنث	حي
أَسْمَاءَ	اسم	محدد	جمع	مؤنث مجازي	حي

يتعين مما سبق؛ أن تشومسكي تدارك النقائص التي شابت النماذج السابقة من خلال عدوله عن رفض الربط بين البنية المركبية والنحوية الدلالية، حيث قام بتقديم إجراء مهم غير

الفصل الأول: - اللسانيات العرفانية في حقل الدراسات اللسانية الغربية بين التأصيل

مسار الدرس اللساني بإدراج القواعد الدلالية التي بدورها تعطي تفسيراً للجمل المنتجة من طرف المتكلم بلغته المعينة بعد أن تخضع لقواعد الإسقاط في المكون الدلالي، فيتحقق بذلك إنتاج جمل نهائية ذات معنى نهائي، يصل بها إلى المكون الفونولوجي الذي يشتمل على مجموعة من القواعد الفونولوجية التي تقوم باشتقاق التفسير الصوتي لكل جملة، انطلاقاً من بنيتها السطحية، ثم كتابتها برموز صوتية عالمية، ويمكن تلخيص كل ما تم قوله حول شكل مكونات النحو المتعلقة بالمرحلة المعيارية¹، من خلال المخطط الآتي²:

المكون التركيبي



والمستنتج من هذا المخطط أن تشومسكي، ظل متمسكاً بالتركيب، كونه يرى أن الجملة هاهنا تضم بنيتين؛ بنية عميقة وأخرى سطحية، يتم الربط بينهما من خلال القواعد التحويلية. هذه الأخيرة مبرر تمسك تشومسكي بالتركيب وسيادته، غير أنه أبقى على الدلالة على

¹ - يُنظر: عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، دار توبقال، المغرب، ط1، 1985م، ص68-69.

² - Chomsky: questions sémantiques (1975)، p12-13 et Charlier du bois: éléments de linguistique anglaise: syntaxe، librairie Larousse، paris، 1970، p11-13et nique (1974)، p129.

سبيل التأويل، فالمكون الدلالي في هذا النموذج يرتبط بالبنية العميقة ويعد المكون التأويلي الأول، إلى جانب هذا فإن المكون الصوتي والفونولوجي يرتبط بالأساس بالبنية السطحية، وبذلك يمثل المكون التأويلي الثاني، بحيث البنية السطحية المولدة من المكون التحويلي هي بمثابة مدخلاً للمكون الصوتي¹.

وفي سياق هذه الآليات الإجرائية المتتبعة من طرف تشومسكي، فإن الدلالة في النموذج المعياري لم تستقل عن إطار السيادة التركيبية، حيث بقيت لصيقة بالتركيب ومولدة منه بارتباطها بالبنية العميقة بطريقة تأويلية².

وبالنظر في أعقاب هذه الحلقة التوالدية التي تسعى من أجل ذلك الربط بين النحو والدلالة وتصويب الأخطاء التي طالما وقعت فيها النماذج اللسانية السابقة، نجد كلا من تشومسكي والباحثين الآخرين اللذين لهم الفضل في هذا الحقل اللساني تحديدا في سياق تطوير النموذج المعياري، الذي لم يعد في مقدوره توليد كل التراكم اللغوية بطريقة مرضية وفعالة لأجل هذا الأمر برز نموذج آخر يتجه نحو الدلالة من خلال مجموعة الآليات الإجرائية عمدت إلى تطويره وتنقيحه وإعادة النظر في المكون الدلالي بوجه خاص، إذ أصبح نموذجا متضمنا لمكونات جديدة يراعى فيها شق السلامة النحوية والدلالية والمعاني المقصودة من ذلك الإنتاج اللامحدود من الجمل، ويطلق على هذا المنوال اللساني: "النموذجية الموسعة" أو ما يسميه البعض الآخر: "المعيارية الموسعة"³.

إن المرتكز المعرفي المنهجي لتشومسكي في نظريته التوليدية التحويلية، هو نموذج الصوري الرياضي الذي يقوم على جهاز نظامي نحوي دقيق أساسه ذلك النسق القواعدي، الذي يشتمل على نسق من الأنظمة التركيبية المسؤولة عن انتظام قواعد إعادة الكتابة المنتجة للبنية العميقة، والآخر نسق القواعد التحويلة التي تحول البنية العميقة بواسطته إلى السطحية.

¹ - يُنظر: اللسانيات التوليدية، من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، ص111.

² - يُنظر: نفسه، ص123.

³ - يُنظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، 2002م، ص232.

هذا الأساس المنهجي جعل من الدلالة مكوناً محكوماً بالتركيب، إذ أنه لا يتمتع بالاستقلالية التامة، هذا ما أدى بالكثير من منتقديه إلى العمل على نموذج جديد قوامه الدلالة التوليدية¹، ومخالفة آراء تشومسكي اللسانية في نمودجه السابق الذي يسعى فيه لاستحداث التغيرات الدلالية المناسبة عن طريق قواعد إسقاط المعنى على البنى المركبية (قواعد الإسقاط)²، مطالبين بإعادة الاعتبار للمعنى وضرورة انفصاله عن المستوى التركيبي، إذ يقرون أن البنية العميقة هي المسؤولة وحدها عن التفسير الدلالي للجمل المنطوقة والمكتوبة، وأن العمليات التحويلية لا تغير المعنى مادامت عالمية ومشاركة³.

ولّى أبرز من مثّل هذا الاتجاه (علم الدلالة التوليدي): روس، وجاكندوف، وماكاولي وجورج لاكوف، وشارل فيلمور، مناقضين للاتجاه التوليدي التحويلي بوجه عام وللنظرية المعيارية بوجه خاص، إذ قنّموا تصوّراً لسانياً جديداً قاعدته الأساسية التمثيل الدلالي، فلا حاجة لذلك الربط الوهمي الذي جاء به تشومسكي ومفاده ربط البنى المركبية بالدلالة، وعليه فإن البنية العميقة هي التمثيل الدلالي للجملة عكس النموذج المعياري الذي يعدها تمثيلاً نحوياً تركيبياً، وتظل قواعد التحويل تعمل عليها إلى أن تصل بها إلى البنية السطحية⁴. ومنه، أعيدت صياغة النموذج اللساني صياغة جديدة على النحو الآتي⁵:

تمثيلات دلالية	↓
المعجم	↓
القواعد المعجمية والنحوية	

¹ يُنظر: ألاء علي عبد الله العنكي، البنية العميقة في الدرس اللساني العربي، المقولة والإجراء، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، ط1، 2014م، ص213.

² يُنظر: جون ليونز، تر: حمزة بن قبلان المزيني، دار تويقال للنشر، المغرب، 1990م، ص73-78.

³ يُنظر: عادل فاخوري، اللسانية التوليدية التحويلية، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، ط2، 1988م، ص61.

⁴ يُنظر: مرتضى جواد باقر، مقدمة في النظرية القواعد التوليدية، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، 2002م، ص65.

⁵ يُنظر: اللسانيات التوليدية، من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنى: مفاهيم وأمثلة، ص124؟.

الفصل الأول: - اللسانيات العرفانية في حقل الدراسات اللسانية الغربية بين التأصيل

بنيات	↓	سطحية
قواعد فنولوجية	←	تمثيلات صوتية

لم يقف هذا النموذج عند هذا الحد، بل سرعان ما طوره اللساني راي جاكندوف (1964م)، بأفكاره اللسانية الهامة مشكّلاً رد فعل لاذع للنظرية التوليدية التحويلية التي قلبت موازينها، وهذا ما سنتطرق إليه لاحقاً.

هذه الانتقادات كانت بمثابة المصوغات الأساسية التي دفعت تشومسكي إلى تعديل نموذج المعيار، وتطويره بنموذج مستحدث أطلق عليه تسمية "النظرية النموذجية الموسعة".

ج- مرحلة بروز براديغم المعيارية "النموذجية الموسعة" 1970م:

شكلت هذه المرحلة في الدرس اللساني نقطة تحول جوهريّة في مجال الحقل اللساني بجملة التغيرات التي أحدثها تشومسكي في نموذج الثاني (1965م) بدءاً من عام 1970م وذلك تماشياً مع ما يقتضيه الاتجاه الدلالي الجديد، وتمثل في "النظرية الدلالية التفسيرية" لكاتز وفودور، وفي النظرية الدلالية التوليدية للايكوف، ومكاولي، وروس، وبوستال ثم غروبر، بعدما تبين عجز النظرية المعيارية في معالجة بعض المسائل المعجمية، كالبؤرة والافتراض والأفعال المساعدة.

ويهدف تشومسكي في هذا النموذج إلى إقامة نظرية معجمية تأويلية، بالتركيز بصورة أساسية في مكانة البنية العميقة، وتقليص عدد القواعد التحويلية وإدراج القواعد المعجمية أكثر فأكثر، ومن أهم القضايا التي أكدت لتشومسكي هذا المنحى وجعلته يفكر في توسيع نظريته النموذجية، حاجة النموذج السابق إلى النظر في جزئية البؤرة والافتراض، فالمقصود بالبؤرة (le focus) كل جملة ينطق بها تتضمن أمرين، وهما العنصر البارز من الكلام الحامل للقصدية والأمر الثاني نبره لأهمية إفادته بالخبر، فالكلمة التي تحمل الخبر (الفائدة)، هي مركز اهتمام المتكلم من خلال نبرها (النبر: l'intonation)¹، أما الافتراض: "فهو ما لم يصرح

¹ - دروس في المدارس اللسانية الحديثة، التنظير المنهج والإجراء، ص 64.

به المتكلم بالألفاظ؛ بل يؤخذ به ضمنا حينما يعبر عن أمر ما¹، فهو التعبير المتحصل عليه بتعويض البؤرة بمتغير آخر "على سبيل المثال، إذا قال المتكلم: زيد ضرب عيسى فإن النبر يكون على كلمة زيد، وبذلك يصبح هو البؤرة والافتراض لسؤال أحدهم: من ضرب عيسى؟ في حين لو قال: زيد ضرب عيسى والنبر كان على كلمة ضرب فتعد البؤرة هنا هي فعل الضرب والافتراض في السؤال: ماذا فعل زيد لعيسى، قد تأتي كلمة زيد محذوفة في هذا المقام للإيجاز فعامل النبر هاهنا عامل صوتي وتغييرها يؤدي إلى تغير المعنى، مما يؤدي بالضرورة إلى تغير الافتراض، وهذا ما جعل تشومسكي يؤكد على دورها في هذا النموذج في تحديد المعنى، ولهذا أصبحت عنده البنية السطحية تسهم في تحديد الدلالة التفسيرية للجملة.

ج.1. المكلمات والنفي: ويعنى بالمكلمات العناصر اللغوية التي تسهم مساهمة فعالة في تغيير المعنى وتحريك موقع وترتيب المكلم يؤدي بالضرورة لانزياح الدلالة على نحو المكلم (كل)، ومقابله الأجنبي الإنجليزي (all, even, only) (tout, meme) بالفرنسية²، وعليه فهي متضمنة في قسم الظروف التي قد نقابلها بقسم المصادر فيما يخص اللغة العربية على الشكل الآتي: مثل، كثيرا، قليلا، والتوكيد المعنوي، فقول: دخل كل الطلبة، فائدة الإخبار هاهنا هو: دخول جميع الطلبة، أما في المثال الثاني عند قول: قرأت كل الكتاب فالغاية منها الإخبار عن قراءة جميع صفحاته؛ أي تمت قراءة الكتاب، أما قولنا: دخل الطلبة كلهم، فهو التأكيد على دخول الطلبة جميعهم، أما في المثال الثاني: قرأت الكتاب كله تأكيد لخبر قراءة جميع صفحات الكتاب، فهناك فرق في المعنى يتمثل في الإخبار وتأكيد الخبر³.

أما بالنسبة لعنصر النفي الذي انتبه إليه تشومسكي، هو تلك الإبانة والتأكيد القاطع، إذ أنه يوضح جليا المعنى التأكيدي للمقولة، فكلما تغيرت أداة النفي تغيرت قوة التأكيد والمراد إيصاله من طرف المتكلم⁴، فإذا ما نظرنا في المثال الآتي:

¹ - عادل الفاخوري، اللسانيات التوليدية والتحويلية، دار الطليعة للنشر، بيروت، لبنان، 1988م، ص78.

² - دروس في المدارس اللسانية الحديثة، ص65.

³ - Vu: N.chomsky: structures syntaxique, traduit par michel braudeau, edition du seuil , paris, a 1969 p87.

⁴ -يُ نظر: نظرية تشومسكي اللغوية، ص190.

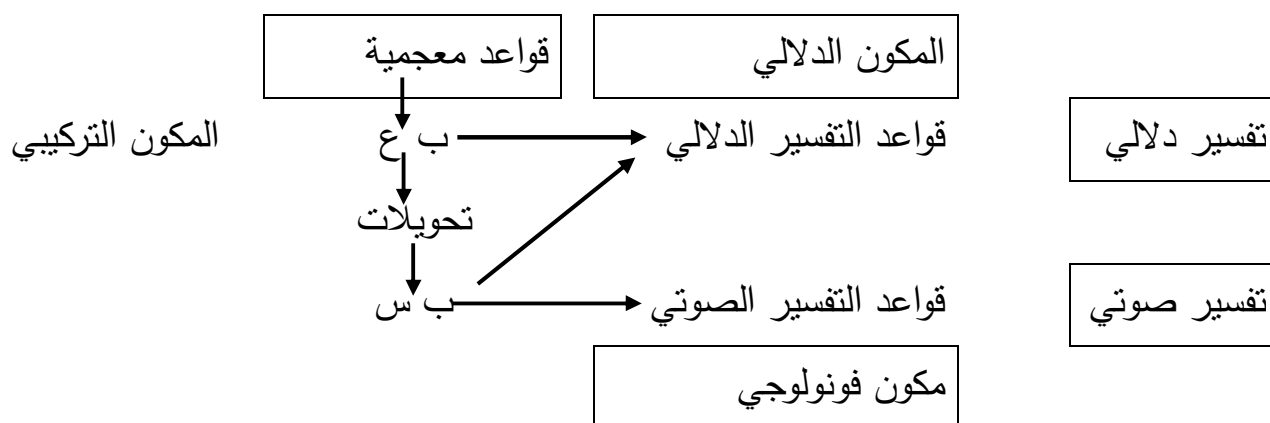
قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ...﴾ [سورة البينة الآية 06]

فإنه يبحث في نفي؛ إذ يوضح ويؤكد هذه الحقيقة تأكيداً قوياً، وهي نفي قاطع للذين كفروا أن يكونوا من أهل المسلمين، أما في المثال الثاني في جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم للملك جبريل عليه السلام في سؤاله له: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)﴾ [سورة العلق، الآية 01 - 05]، فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما أنا بقارئ) فهذا نفي جزئي ونسبي؛ فهو لم ينكر فعل القراءة ككل، ولكنه يؤكد على عدم تمكنه من القراءة¹، أما بالنسبة للأمثلة: لم يدخل الطلبة، فهي تأكيد قطعي على عدم دخولهم جميعاً، والمثال: لم أقرأ الكتاب، تأكيد نفي على عدم قراءته بالكامل، أما في الحالة الثانية للنفي: ما دخل الطلبة: قد يوجد أشخاص آخرون دخلوا غير الطلبة، وما قرأت الكتاب: يوجد كتب أخرى قرأتها، يلاحظ أنه كلما تباينت أداة النفي أو رتبته أدى ذلك لاختلاف في معنى الجملة، مما يثبت أن للبنية السطحية دوراً في تفسير المعنى، وبهذا فإن تشومسكي أدرج المكون الدلالي في البنية السطحية أيضاً، وبالتالي أصبح النموذج المعياري الموسع يقدم تفسيراً دلالياً للبنية العميقة وآخر للبنية السطحية على شكل المنوال اللسانية الممثل للنظرية النموذجية الموسعة:

قواعد إ. ك
قواعد التفريغ الفني

¹ يُنظر: حسين صالح طاهر، ميثم أحمد عبد حمزة، دلالة لفظة اقرأ في قوله تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، جامعة الإمام الصادق، ع31، 2017م، ص454.

الفصل الأول: - اللسانيات العرفانية في حقل الدراسات اللسانية الغربية بين التأصيل



قواعد التأليف (الصياغة)
تمثيل دلالي
تحويلات قبل إدخال المعجم
+
تحويلات معجمية
تحويلات نحوية أخرى
ب س

وعليه؛ فإن المفاهيم الآتية التي أضيفت للنموذج من: (البؤرة، الافتراض، النبر، الكمات النفي...) جعلت النظرية التحويلية الموسعة تتطور من جديد، وفعليا ابتداء من سنة 1975م وأضحى يُنظر إلى نحو اللغة أنه بنية معرفية ذات شكل منطقي، وهي حصيلة عمل المكونات الثلاثة التركيبية، الدلالية، الفونولوجية على البنية السطحية والعميقة معا، ومن ثم بدأ يبحث عن الأسس الكفيلة لجعل النحو عالميا يعكس جوهر اللغات البشرية باختلاف أنواعها، أما عن الحدث العلمي الأبرز الذي ميز هذه المرحلة فهو اعتراف تشومسكي أن البنية السطحية هي المسؤولة عن التغير الدلالي لهذا الشكل التركيبي المنطقي، أما البنية العميقة فدورها يكمن في تحقيق العلاقات المحورية النحوية بين عناصر التركيب اللغوي.

ولكن بعد اكتشافه لنظرية الأثر، وهو ما يقابله مفهوم اللفظة العدمية في تراثنا العربي حيث صارت البنية السطحية وحدها المسؤولة عن التفسير الدلالي والعلاقات المحورية للشكل المنطقي، إضافة إلى موقف تشومسكي من العنصر المعدوم من الوجهة الصوتية، وقد أشار في هذا المقام إلى الموقع الأصلي الذي كان يحتله في البنية العميقة، وذلك بأنه عنصر معين

الفصل الأول: - اللسانيات العرفانية في حقل الدراسات اللسانية الغربية بين التأصيل

كان قد تم حذفه وإزاحته بواسطة تحويل معين¹، وهو ما أطلق عليه اسم الأثر (عنصر فارغ صوتيا ومعجميا يحمل وظيفة نحوية للكلمة يشير إليها بعد حذفها) مثل:

رأيت	عمر
الموضوع فاعل	الهدف
من رأيت؟ + Ø	الفاعل الموضوع

فالعناصر بقيت كما هي إلا أن عمرا حذف من السطح بسبب أداة الاستفهام التي حلت محله تاركة أثرا يدل عليه؛ فبالرغم من أن الأثر صوتي معدوم إلا أنه نحوي له موضعه الذي يدل عنه، ويسهم في تحديد معنى وشكل الجمل.

اقترح تشومسكي نموذجا آخر نتيجة التطور الحاصل على مستوى هذه النماذج اللسانية يتم بواسطته توليد البنية المنطقية للجملة وتفسيرها، بحيث تقوم قواعد الأساس فيه بتوليد المؤشر النسقي الأولي أي: (isi) تتم من خلاله عمليات تحويلية المعجمية والنحوية لإنتاج البنية السطحية تحتوي على عدد كبير من الآثار فتمر على قواعد التفسير الدلالي مولدة بذلك البنية المنطقية تمر بدورها على قواعد التفسيرية الدلالية فتصل إلى دلالتها النهائية التي تعطيها القواعد الفونولوجية التفسير الوظيفي للصوت (الفنولوجي)، ويكون بذلك النموذج المقترح كالآتي:

2

← تفسيرات دلالية 1.

القاعدة ← مؤشر نسقي أولي (ب ع) ← تحويلات ← ب س).

← بنية منطقية FL.

← تفسيرات دلالية 2.

كانت هذه أهم المحطات المختصرة والسريعة بصورة ملّمة نوعا ما للجوانب المعرفية بصفة عامة، والنظرية النحوية التوليدية التحويلية بصفة خاصة، وقد خلصنا فيها إلى أن ما

¹ يَ نظر: جون سيرل، تشومسكي والثورة اللغوية، مجلة الفكر العربي، 1979م، ص141/142.

² يَ نظر: دروس في المدارس اللسانية الحديثة، ص68.

الفصل الأول: - اللسانيات العرفانية في حقل الدراسات اللسانية الغربية بين التأصيل

قد يميز النظرية التوليدية التحويلية لتشومسكي - إن جاز لنا القول - هو سعيها قبل كل شيء إلى نحو عالمي يجمع بين القوانين الألسنية العالمية والخصائص والقواعد المشتركة بين جميع لغات العالم، أضف إلى ذلك اعتماده الآليات الإجرائية اللسانية بطريقة وصفية توليدية تحويلية تعمل على إنتاج عدد لا نهائي من الجمل بواسطة عدد من القواعد الباطنية المحددة، في الحقيقة بعد تتبع مسار تطور أفكار تشومسكي اللسانية من خلال نماذجه هذه، قد نلاحظ اتبّاعه المبدأ الوصفي والمعياري معاً، ثم تغير مبدؤه لغرض تعديل نموذج الأول نتيجة الأخطاء التي وقع فيها، وجملة الانتقادات الموجهة له، بإتيانه نموذجاً جديداً يراعى فيه التركيب بالدرجة الأولى، ثم الدلالة بصفة تلازمية للتركيب.

وبالرجوع إلى مراحل النظرية التوليدية التحويلية السابقة، يمكننا القول إن تشومسكي قد تأثر أساساً بالنماذج اللسانية التي كانت سائدة آنذاك والمذكورة آنفاً، والتي تعد شكلاً من أشكال القواعد التوليدية التحويلية المبنية على مقولة لغوية جوهرية وهي القواعد التوليدية التي تسمح بتوليد الجمل النحوية في أية لغة من اللغات، ولكنها تختلف عن القواعد المعيارية الكلاسيكية كونها لا تهتم بوصف اللغة كما هي كائنة عليه، بل ما ينبغي أن تكون عليه، وتتباين عن القواعد الوصفية الأوروبية في عدم وصفها للغة المستعملة فقط؛ أي أنها تضبط القواعد الكلية للغة المنجزة، بل تتعدها لتصفها بقواعد أطلق عليها تشومسكي قواعد إعادة الكتابة كما سبق ذكره.

ولهذا؛ مثلت سيرورة النماذج اللسانية التشومسكية نقطة محورية بسيادة التركيب باستخلاص جملة القواعد النسقية التحويلية وفق مبدأ الإبداعية، باعتبار أن اللغة من سماتها الابتكارية والتجددية بقوانين نحوية سليمة للمتكلم/ السامع المثالي، وعليه فإن النموذج التوليدي التحويلي يقوم بالأساس على قدرته على دراسة العقل البشري ذي الخاصية الإبداعية.

وبالنظر إلى الهدف المنوط، بغية الوصول إلى نحو عالمي فإننا نجد نوعاً من الالتباس والمعوقات التي تقف في وجه الدراسات اللسانية التوليدية التحويلية التي انكبت الدراسات البحثية اللسانية فيها على اللغة الإنجليزية واللغات القريبة منها بالتحديد دون غيرها من اللغات الطبيعية

الأخرى، وهذا ما لاحظناه في عدم توافق قواعدها مع اللغة العربية، في حين تعدّ هذه الأخيرة لغة طبيعية مثلها مثل اللغات العالمية الأخرى، مما يحول دون تحقيق هدفه، ناهيك عن المعوقات الإستمولوجية التي اعترضت مسار تطور النموذج التشومسكي، والتي حاول كلّ مرة تجاوزها وصولاً لآخر ما توصل إليه نعوم تشومسكي في عرضه نموذج البرنامج الأدنى والذي كان بمثابة نقطة تحول الدرس اللساني جذرياً وتطوره إلى مصاف الدراسات اللسانية العرفانية ولكي نخرج على هذه النظرية المستجدة لهذا العلم الفتى "اللسانيات العرفانية" لا بدّ من التطرق لنموذج البرنامج الأدنى:

ج.2. براديجم البرنامج الأدنى: يبدو أنّ التوليدية التحويلية لم تكن نظرية واحدة، بل مجموعة من النظريات والبرامج التي طوّرها تشومسكي بمعية علماء آخرين أمثال رأي جاكندوف وفيلمر وغيرهم من العلماء، فكانت هذه النظرية المركبة تتخلّى عن بعض الأفكار في نماذج سابقة وتطور تصورات أخرى.

فالنحو التوليدي عرف تغييرات في نوع الأسئلة المطروحة، ومنه تغييراً في النسيج النظري ككل، حيث نجد انتقاله من نحو القوائم إلى النحو القالبي الذي تتفاعل فيه المبادئ والوسائط إلى تصور أدنى للنحو، ويمكن القول أنّ النموذج التوليدي التحويلي يتعرض لتعديلات مستمرة على برامجها، ولذلك سنكتفي بعرض البرنامج الأدنى كآخر تصور لعمل نظام الملكة اللغوية، إذ يُعد البرنامج الأدنى أحدث ما أنتجته النظرية التوليدية التحويلية من براديجمات مختلفة، وقد بدأ في التبلور منذ بداية التسعينيات من القرن المنصرم 1993م-1995م¹، من خلال كتاب تشومسكي الموسوم بالبرنامج الأدنى، الذي هدف من خلاله إلى تقديم تفسير عام للظواهر المدروسة بواسطة آليات استنباطية صورية تستند إلى مجموعة من الفرضيات التي بوسعها أن تحصى أكبر عدد من المعطيات والوقائع. يعدّ هذا البرنامج اللغة نسقاً معرفياً يخزن المعلومات ويعالجها بضم كل ما يتعلق ببيانات الصوت والمعنى، وينطلق من محاولة يركز فيها على أن النسق اللغوي الداخلي مصمم على نحو يستجيب للقيود الوجيهية التي تمتثل للأنساق الخارجية، إذ يقوم بعملية تبسيط سواء على مستوى الصياغة الصورية أو في عدد مستويات التمثيل

¹ - يُنظر: مجيد خير الله راهي، فدوى العذاري وآخرون، قضايا في الخطاب والبلاغة المعرفية، المفاهيم وحدود الإجراء، بحث محكمة كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2023م، ص457.

الفصل الأول: - اللسانيات العرفانية في حقل الدراسات اللسانية الغربية بين التأصيل

الدلالي بصورة اقتصادية والاشتغال عليها بعدد أقل ومحدد كحد أدنى من عمليات الاشتقاق والتمثيلات، كالبساطة والتقليص والتقتير الاقتصاد والفعالية والتناظر¹.

ومن المساعي الرئيسة التي يرمي إليها هذا البرنامج، أولاً وقبل كل شيء بافتراض أن اللغة نظام في غاية الكمال ذو هندسة من أفضل ما يكون²، ثم تتطرق إلى تحقيق هدف مهم وهو مدى نجاح الملازمة في التفسير والوصف والإجراء في مختلف اللغات البشرية، ومن شروط هذه الملازمة دراسة أنظمة التمثيل الإدراكي-الذهنوي والحوسبي للغة، وبالرغم من الهدف التوليدي التحويلي المنوط باستنباط القواعد العامة من الأنظمة المعقدة المنتجة للغات الخاصة، إلا أنه في ظل افتراضه للغة فإنه يسعى لاستنباط القواعد البسيطة التي تحكم إلى مبادئ النحو الكلي³.

ويُعد البرنامج الأدنى امتداداً لنظرية العمل والربط التي يتشكل النظام النحوي العام فيها من أربعة مستويات تمثيلية؛ البنية العميقة للوظائف النحوية المحورية، ويقوم المستوى التمثيلي ينبغي ملء جميع المواقع المحورية، بالنسبة للمواقع اللامحورية فتترك فارغة باعتبار البنية العميقة هاهنا نقطة انطلاق الاشتقاق⁴، فهي تمثل دخلاً لكل مسارات التكوين التي تقضي إلى الصورة المنطقية أو الصورة الصوتية، وعند نقطة انشطار الاشتقاق يأتي مستوى تمثيلي آخر البنية السطحية ترسل نسخة من الاشتقاق التركيبي إلى الصورة الصوتية للتأويل الصوتي والأخرى ترسل إلى التأويل الدلالي عند الصورة المنطقية وفق قوالب نحوية، ومن هنا يتم في هذه البنية تصفية الاشتقاقات غير المرغوب فيها⁵، من خلال البحث في الكشف عن الخصائص العامة للملكة اللغوية ومعرفة آلية اشتغالها وإنتاجها والمبادئ العامة التي تقوم عليها، فبعدما كان الرهان في نظرية العمل والربط إعادة صياغة مجموعة من المبادئ والقيود

¹ - يُنظر: عبد القادر الفاسي الفهري، المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي، دار توبقال، الدار البيضاء، 1998م، ص18/17.

² - vu: chomskyN2000minimalist inquiries the framewo ;in stp by step: essay on minimalist syntax, in honour of howird lasnik, mit press, p21

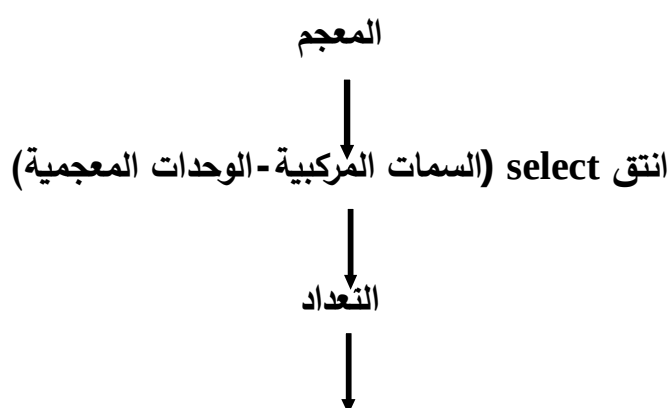
³ - يُنظر: قضايا في الخطاب والبلاغة المعرفية، ص458.

⁴ - يُنظر: اللسانيات التوليدية من النموذج المعياري إلى البرنامج الأدنى، ص389.

⁵ - اللسانيات التوليدية من النموذج المعياري إلى البرنامج الأدنى، ص390.

والوسائط التي تشغل بموجبها الملكة اللغوية والتي يوظفها النسق الحاسوبي ويصوغ بواسطتها التمثيلات والمبادئ المجردة اللسانية الموحدة في كل الألسن البشرية، أصبح الرهان في البرنامج الأدنوي على الحد الأدنى من الآليات والإجراءات والتمثيلات الحاسوبية التي تقوم بها الملكة اللغوية¹.

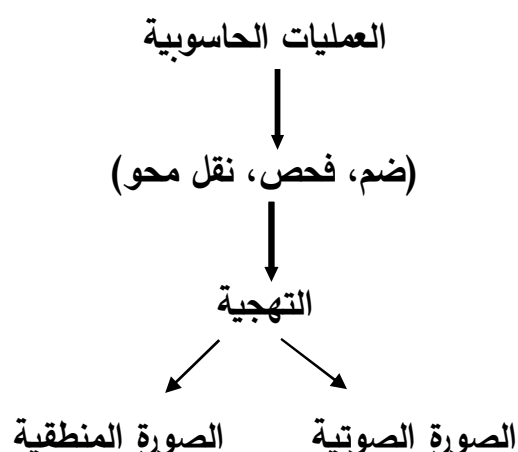
ويتعين مما سبق، أن البرنامج الأدنوي يميز الملكة اللغوية بسمتها الاقتصادية والتبسيطية لهذا يعمل على تقليص التعقيد الحاسوبي بواسطة إخضاع عمليات الحوسبة التركيبية لقيود اقتصادية وتدقيق الخصائص الصورية لها، وبالتالي أصبح البحث في هذا البرنامج يقوم على تخصيص نظام لغة بشكل مترابط مع بقية الملكات الذهنية لتحديد العناصر التي تميز النظام الداخلي للغة عن عناصر ملكات معرفية أخرى والعناصر المشتركة بينهما، ناهيك عن الإجابة عن أسئلة معرفية مطروحة، كتطور الملكة اللغوية في تاريخ النوع البشري². وعليه أصبحت بنية النحو تمتثل للمقاربة الأدنوية، كما هو مدرج في المخطط الآتي³:



¹ يُنظر: حافظ إسماعيلي علوي، امحمد الملاح، البرنامج الأدنوي، الأسس والثوابت، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 31 ديسمبر 2017م، ص172.

² - نفسه، ص173.

³ يُنظر: محمد رحالي، بعض الخصائص الحاسوبية للغة، مجلة أبحاث، المجلد 13، ع2/1، 2008م، ص65.



وقد عُدَّ النسق الحاسوبي حاسوبيا لأنه يوظف أثناء العمليات الاشتقاقية التركيبية عمليات حوسبية صغرى كالضم(الجمع بين مقولتين لتكون مقولة أكبر)، والتعداد(مجموعة تضم الوحدات المعجمية المنتقاة من المعجم مع عدّ التكرار رياضيا - عدديا - إذ يربط بين المعجم والنسق الحاسوبي¹، وفي إطار العلاقة بين المعجم والنسق الحاسوبي يميز النحو التوليدي في إطار المقاربة الأدنوية بين نوعين من السمات²، هذه الأخيرة منها الملازمة كالعدد والجنس وكلها تدرج داخل المعجم، ومنها ما هي إضافية كالسمات الإعرابية التي تدرج ضمن النسق الحاسوبي لا في المعجم، على نحو أي وحدة معجمية، ككلمة الحياة مثلا يمكن إدراجها معجميا في المعجم، ولكن لا يمكن تحديد سمتها الإعرابية إلاّ بعد ما يتم إدراجها في النسق الحاسوبي عن طريق عمليات حوسبية لتصل إلى التعداد فيقوم بدور الربط بين المعجم والنسق الحاسوبي الذي لا يبلغ المعجم مباشرة، وإنما يستعمل العناصر المعجمية التي يوفرها له التعداد لاشتغاله³. وتتم هذه العمليات تحت المراقبة والتأكد، وهذا ما يسمى: "الفحص بوصفه آلية حوسبية"⁴ "إذ يمثل ناقلا مرتبطا بتلك السمات التي يتم اختيارها من المعجم للتأكد من توافقها مع السمات

¹ يَظُنُّ: عبد القادر الفاسي الفهري، المقارنة والتخطيط في البحث اللساني الغربي، المغرب، دار توبقال للنشر البيضاء، 1998م، ص8.

² يَظُنُّ: اللسانيات التوليدية من النموذج المعيار إلى البرنامج الأدنوي، ص367.

³ - vu: chomsky N(2000)، minimalist inquiries, p100-101

⁴ -سمية المكي، ضمير الشأن في اللغة العربية إقحام معجمي أم توليد إعرابي، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والفنون والإنسانية بمنوبة، العدد 56، 2011م، ص112.

ذاتها؛ أي التي تحملها الرؤوس الوظيفية في البنية والفحص مرتبط أساساً بعملية التأويل التام وهو من مبادئ الاقتصاد التي تضبط عمل النسق الحاسوبي للحد من القدرة التأليفية الكبيرة التي طالت النماذج التوليدية السابقة، إلى جانبه يوجد مبدأ الحل الأخير، ومبدأ الإرجاء ثم مبدأ الجشع¹.

ويُعد مبدأ التأويل التام أهم المبادئ التي يركز عليها البرنامج، إذ يقف حائلاً ضد العناصر الزائدة التي لا تقبل التأويل لكي لا يختل التأويل في الصورتين الوجهيتين (الصوتية والمنطقية) حينما تعترضها ويسعى من أجل أن يقصّيها، لأن كل عنصر يملك دوراً دلالياً أو تركيبياً أو صوتياً تحتاج في المقاربة الأدنوية إشباعها دون نقصان أو زيادة وإلا تعرض الاشتقاق للانتهيار²، ولتقييد عملية فحص السمات اقترح تشومسكي مبدأ الجشع³ يُعد من المبادئ المهمة التي أتى بها تشومسكي، وذلك كونها تضبط آلية اشتغال النسق الحاسوبي وتؤكد أن المقولات لا تتقل إلا لإشباع حاجاتها الصرافية الخاصة، فصعود مركب إلى موقع معين لا يتم إلا إذا سبق أن فحصت سماته في موقع آخر استناداً إلى القاعدة الصورية، وفق مبدأ تعمل به: (لا تصعد (أ) ولا تنقلها إلا إذا كانت الخصائص الصرافية ل (أ) لن تلبي في مكان آخر داخل الاشتقاق³، وبالتالي أصبح البرنامج ضمن هذه المقاربة الأدنوية وفقاً لمبدأ الجشع وما اقترحه تشومسكي في هذا المقام (1995م) المركب الهدف هو الذي يجذب المكون إليه بموجب سمة قوية، والتي تستلزم نقل المكونات الفاحصة لمحوها بشكل ظاهر ومكشوف بواسطة مبدأ عام قائم على اجتذاب السمة وتميزها ما بين القوية والضعيفة، فهذا التمييز عامل

¹ - الحسين السعيد، المقولات الوظيفية في الجملة العربية، منشورات كلية الآداب واللغات، سايس-فاس، ط1، 2005م، ص23.

² - الانتهيار وصف يطلق على البنية التي تحمل سمة أو أكثر غير قابلة للفحص في إحدى الوجهيتين: الصوتية، أو الصورة المنطقية.

³ - يُنظر: قضايا في الخطاب والبلاغة المعرفية المفاهيم وحدود الإجراء، ص472.

أساسي للتحكم في اجتذاب العنصر المنقول من عدم اجتذابه والتي تمتثل لمبدأ الإرجاء، إذ ترجى عملية الفحص إلى ما بعد التهجية¹.

من خلال ما سبق ذكره عن هذه السمات الأساسية التي تلعب دورا هاما جدا في تحديد للمقولات تركيبيا ودلاليا وصوتيا عند توليد تراكيب لغوية ثم تقديم تفسيرات لسلوكها، وفي حقيقة الأمر فإن طبيعة السمات من حيث القوة والضعف هي بمثابة معيار يصف الكيانات اللغوية ويفرق بين لغة ولغة أخرى، وذلك من خلال خضوعها لمجموعة العمليات الحوسبية السالفة الذكر، وهذا ما يجعل هناك تنوعا بين تراكيب الألسن الطبيعية النقل الذي يتم على بعض مكونات الجملة حين تحدد قوتها من ضعفها.

ومن هنا عرف البحث العلمي اللساني تطورات مهمة على مستوى المنطلقات الفكرية والمعرفية والعلمية، لهذا تولدت عن هذه النظرية التوليدية التحويلية نظرية أخرى منافسة لها تسمى: نظرية الدلالة التوليدية قوامها أسبقية الدلالة على التركيب دون التخلي عن الكثير من المفاهيم التأسيسية والمنهج والمصطلحات التي انبنت عنها النظرية السابقة. وبالرغم من تبني النظرية التوليدية مقارنة علم النفس المعرفي، إلا أنها ظلت متشبثة بمبدأ بنوي والمتعلق بعدم إعطاء الأهمية لكل ما هو خارج عن اللغة؛ أي لما هو تداولي².

3- تجاوز اللسانيات التوليدية وبروز اللسانيات العرفانية:

لتحديد طبيعة العلاقة بين اللسانيات الشكلية، وبين ما وصلت إليه اللسانيات التوليدية التحويلية، وعلاقة هذا كله بما أرادت أن تتبناه اللسانيات العرفانية لاحقا، قد يحلينا هذا الطرح إلى التساؤل: ترى، ما حدود التماس أو الحدود الفاصلة إلى ما وصل إليه تشومسكي بنموذجه التوليدي التحويلي، وبين ما أخذته اللسانيات العرفانية من منطلقات ونظرة جديدة لمقاربة اللغة.

¹ - vu: chomsky، aminimalist program for linguistic theory, p41

² - تطور التفكير اللغوي من النحو إلى اللسانيات إلى التواصل، عبد السلام عشير، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، ط 1 2010م، ص 93.

ولمّا الإجابة عن هذا الطرح، إنّما لما جيء باللغة من غاية، في إعرابها عما نقول وإعادة صياغة العالم بشكل واعٍ؛ بمعنى أنّ اللغة تقول العالم بشكل منطقي واعٍ، أي أنها تلك الظاهرة العقلية التي تضيف دلالة عن الأشياء بشكل واعٍ؛ والّا لن تصبح لغة لها فائدة، وذلك كون اللغة هي الحياة والأصل فيها أنّها تحقق التواصل والاستمرارية، فحينما نقر بهذه الوظيفة الأساسية -التواصل- لا يمكن له أن يتحقق في معزل عن الفهم والإدراك¹؛ أي في ظل تبادل الفهم والإدراك؛ فبنو البشر لا يستطيعون التواصل بلغة باهتة غير دالة وغير موحية؛ ولذلك يُقال هذا حديث طرشان لأنّه كلام استحالت فيه عملية الإدراك والفهم، وبالتالي استخدام اللغة بشكل غير دالّ يصعب عملية التواصل، بل من شأنه إخراج اللغة من طبيعتها الأصلية ووظيفتها الحقيقية وعزلها عن اشتغال عملية الفهم التي تعدّ بدورها نشاطاً ذهنياً في أساسها، وعن المعرفة التي تتكون من خلال التصورات النظرية عن اللغة في حد ذاتها² حيث يُعدّ ما وصل إليه تشومسكي بناءً على هذا في دراسته للغة حينما ركّز على جانب مهم وهو أنّ اللغة مجرد مجموعة من القوانين تحكم تواجدها ونشأتها وتطورها، هذا القانون بنظره عقلي باطني، ولكن من جانب آخر تشومسكي لم يكشف لنا عن الميكانيزم الذي تشتغل به دلالة اللغة³.

وهذا ما أوقعه في مأزق نحو تفسير الجمل المنتجة على الشكل الآتي: أكل الخشب الولد والخشب أكل الولد؛ يعني هذا أن تشومسكي في دراسته للغة حاول أن يمنطقها وأن يرجعها إلى مصدر عقلي غافلاً مسألة ارتباط اللغة بالدلالة، وهذا ما شكل نقطة ضعف في طرحه هذه النظرية اللسانية التوليدية التحويلية.

¹ يُنظر: حسان الباهي، الذكاء الاصطناعي وتحديات مجتمع المعرفة، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2012، ص36.

* حديث طرشان: جاء في معجم المعاني الجامع حوار طرشان؛ تباحث بين مخاطبين لا يفهم بعضهم بعضاً. والطرشان جمع أطرش وهو صفة مشبهة تدل على الثبوت من طرش لا يسمع أصم.

² يُنظر: نظريات لسانية عرفانية، ص13.

³ يُنظر: اللسانيات والأدب ودراسات أخرى، ص18.

وبالرجوع إلى المثال السابق، فإننا نلاحظ أن المتتاليات والسلاسل الكلامية التي توصل إليها تشومسكي أسقطت الصفة الواعية في ممارسة اللغة، فهو درسها من منظور شكلني رياضي ومرد ذلك تأثره بالفلسفة العقلية والرياضيات كما ذكرنا سابقا، في الحقيقة إن اعتماد تشومسكي في طرحه المعرفي اللساني هذا على العقل والمنطق الرياضي أكسب الدرس اللساني الكثير من النتائج المهمة، كنتعديه مسألة توالد اللغة من خلال إيجاده مجموعة الحلول المتعلقة بالتساؤلات الإبستمية: كيف تنشأ اللغة؟ وكيف تنتج وتتكاثر اللغة؟ كيف تتم عملية إنتاج وابتكار الوحدات اللغوية، والكلمات في مساق واحد؟ ولكن وصوله لهذه النتائج لا يعني ذلك أنه سلم من المعوقات الإبستمية، فمشكلة الدلالة اعترضت طرحه وباتت تشكل عائقا كبيرا؛ هذا الأمر جعل اللسانيين العرفانيين يتبعون مسألة الدلالة قاعدة أساسا ومنطلقا رئيسا، وذلك انطلاقا من وعيهم بأهمية المعنى والدلالة في مساق السلسلة الكلامية، وما تؤديه من دور هام في عملية تفعيل اللغة وإعطائها الصفة الواعية في نقل وشرح وتفسير الأشياء حول العالم من خلال القوانين الثابتة المنطقية داخل الدماغ البشري، التي تعرب عنهم بلغة تقول الأشياء من حولنا.

على هذا الأساس؛ فإن اللغة تقول العالم بشكل دال ودوال مفهومة وواعية، إذ لا بد من العودة إلى ضرورة فهم جملة الميكانيزمات ومجموعة الملبسات التي تمكن اللغة من أداء هذه المهمة (الصفة الواعية) وتقديم العالم بكل تناقضاته فلولا اللغة لما كان بمقدورنا تصور استقامة علاقة الإنسان بهذا العالم -مقدرة الإنسان على استيعاب العالم-، وأن تكون جادة ومفيدة وأداة معبرة عنه.

هذه الميكانيزمات مصدرها الأساس الدماغ؛ لأن كل العوامل النفسية والسلوكية والإدراكية والمنطقية كلها مصادر نابعة من العقل البشري، ومعنى ذلك أن اللغة لا يمكن لها أن تؤدي وظيفة واعية إلا في ظل مجموعة الأسيقة التي يتمازج فيها كل ما هو فلسفي (الخبرة) وما هو إدراكي (ذهني)، وما هو فيزيائي (صوتي وسمعي محض)، يتمازج فيها حتى ما هو اجتماعي

(الثابت، والمتغير) وما هو عصبي ونفسي (سلوكي...)...، هذه المستويات الإدراكية لا تقع متفرقة إنما تنشأ دفعة واحدة أمام العملية الكلامية بشكل متزامن مع كل منطوق.

من هذا المنطلق الفكري كان لا بُدَّ من بروز علم جديد يُسمَّى: علم العرفانية الذي يتكئ على اللغة، لا بوصفها شكلاً فيزيائياً أو شكلاً فلسفياً قوامه الطروحات المجردة، ولا على الواقع الاجتماعي باعتباره عاملاً مباشراً، بل يتكئ على كل هذه المعطيات مجتمعة كونها معطى منطوقاً منتجاً للوعي بكل دلالة يقترحها كل منطوق محتمل، أو أي شكل لغوي يستجبه سياق ما.

إذ كلاً ما تمَّ تحليل هذه المعطيات الفلسفية والمنطقية والاجتماعية والفيزيائية والإدراكية والذاتية؛ جاز لنا حينئذ أن نفهم الكيفية التي تؤدي من خلالها اللغة وظيفتها الواعية في هذا العالم.

ومن هنا، يمكننا القول: إن جاز التعبير أن الحدود الفاصلة بين العرفانية والتوليدية، معالجة هذه الأخيرة اللغة من منظور منطقي؛ أي أنها حاولت تفسير الظاهرة اللغوية من حيث نشأتها ووظيفتها بالمنظور المنطقي الفلسفي الذي يستند إلى مجموعة القوانين الضمنية الباطنية العقلية فقط، والاهتمام بالكيفية التي تتوالد بها الجمل والوحدات اللغوية داخل البنية الخطابية عن طريق الدماغ البشري، في حين العرفانية ركزت على جملة الملابس والعوامل التي تجعل من هذه السلاسل اللغوية تُعرب من خلالها اللغة عن العالم بصورة واعية ومنطقية، ومرد هذا الطرح هو محاولة إجابتهم عن الإشكال الذي وقع فيه تشومسكي حينما لم يجد تفسيراً يحل به الجملة المنتجة والمفسرة على سبيل التأويل بصورة شكلية رياضية محضة لا تؤدي دلالة فعلية داخل السياق على نحو: أكل السمك الصياد، والصياد أكل السمك، إذ توصل العرفانيون إلى أن ما ينقص جملة أكل السمك الصياد حتى تحول إلى جملة واعية تؤدي دلالة مفهومة، تحتاج جملة العوامل السالفة الذكر المستمرة دائماً والتي مصدرها البنية العقلية، إذ تضيف سمة المعقولة والمقبولية والسلامة النحوية والدلالية.

وبالتالي؛ يرون أنّ أية سلسلة لغوية لكي تكون سليمة دلاليا يجب أن تكون منسجمة مع مجموعة العوامل والأبعاد الفلسفية، والمنطقية، والاجتماعية... كل هذه المتطلبات تشتغل دفعة واحدة دون استقلال الواحدة منها عن الأخرى، بل منسجمة داخل البنية الخطابية، لأنها مجموعة من الرسائل العصبية على مستوى الدماغ تجتمع بينها أثناء عملية الكلام؛ وهي التي تقتضي وفق علاقات معينة أن تكون الجملة بهذا الشكل، لا بشكل آخر لكي تؤدي وظيفتها ولتقول الوضعية والعالم.

والمستنتج من هذا أنّ العرفانيين حينما جاءوا بطرح لساني جديد مفاده أنّ اللغة في الأصل ناتجة من مجموعة ملابسات مختلفة ومجتمعة ومستمرة داخل الدماغ البشري، تعرب من خلالها عن العالم وتقول الأشياء بشكل واضح، فإنهم لم ينكروا جملة وتفصيلا ما أتى به تشومسكي من طروحات علمية لسانية جادة، وإنما أكدوا أنه استغرقها في كل ما هو شكلي، رياضي بحث ببقائه حبيس التركيب، وكأن به قد قارب العقل البشري بالآلة، وقد يقبل منه طرحه بحسب رأيهم لو كان المستهدف بالدراسة هو الآلة لجاز التسليم بمنطق تشومسكي، ولكن المستهدف بالدراسة إنما هو الإنسان لذلك كان لزاما أن يمتد البحث والنظر إلى ملابسات وعوامل أخرى يحتكم إليها إنتاج اللغة وتقوم عليها دلالتها، ولا شك أن جملة هذه الملابسات البالغة التعقيد إنما هي نابعة من طبيعة الإنسان بوصفه ذاتاً متسائلة فله بُعد فلسفي في ذلك، وذاتاً نفسية نظرا لسلوكياته وأهوائه وخياله وذوقه، والإنسان ذات عاقلة لهذا له جانب عقلي وذات اجتماعية لأنه متغير وعامل مباشر فاعل داخل المجتمع؛ وبالتالي فإن كل ما يتلفظ به الإنسان ذو صلة ضمنا أو صراحة بكل العوامل المنسجمة فيما بينها والمستمرة في عوالم الأشياء.

ثانيا: اللسانيات العرفانية تأصيلا وتأسيسا:

1 - موضوعها، نشأتها، مفهومها لغة واصطلاحا:

1-1 موضوع اللسانيات العرفانية:

أدى التطور الحاصل على مستوى الدراسات اللسانية الحديثة إلى تغير مس منهجها المتبع وإلى انتقال نوعي أحدث رجّة عنيفة حولت مسار الدرس اللساني المعاصر من مدار

الفصل الأول: - اللسانيات العرفانية في حقل الدراسات اللسانية الغربية بين التأصيل

الدراسات الوصفية والتي تزعمتها أفكار دي سوسير؛ الذي يرى أن اللغة نظام من العلامات، إلى مدار الدراسات العقلية بزعامة نعوم تشومسكي، والذي يعدّ اللغة ضمن نظريته نظاماً من القواعد، وصولاً إلى مدار الدراسات الذهنية التي تعدّ اللغة نظاماً من العمليات الذهنية البانية للتركييب النحوية المختلفة¹، ومن هنا كان لدراسة اللغة مجال أوسع انفتحت رحابه على البنية الكامنة في ذهن الإنسان، هذا ما مكّن التحليل اللساني أن يتجاوز حدود البنية المغلقة إلى ما يمكن أن يُدرس في نطاق بحثي معرفي تجتمع فيه جملة من العلوم والاختصاصات تتّجه بخطى ثابتة صوب: "التأويل العقلي في دراسة اللغة"²، لهذا أصبحت الدراسات العقلية تتبوأ مركز الصدارة لإسهامها في إعادة الاعتبار للمعنى، ممّا أدى إلى جعل اللسانيات الحديثة تهتم وبشكل كبير في معالجة كثير من المسائل والإشكالات التي "تطرحها بنية ذهن البشري وطبيعة المعرفة"³.

وفي خضمّ هذه المساعي، جاءت اللسانيات المعرفية لتفعل دراسة المعنى من جديد، وتوليه أهمية بالغة في دراسة اللغة لتضفر بالرهان المؤكد على اللغة بحمولتها الدلالية، لا يمكن لها أن تدرس بمعزل عن معناها، إذ لا يمكن فصل المستويات اللغوية عن بعضها في بناء المعنى، باعتبار هذا الأخير إنما جاءت اللغة لخدمتها أو بعبارة أخرى: "وأنّ معنى عبارة لغوية... رهين مضمون العبارة الدلالي التصوري، والطريقة التي اعتمدت في بناء ذلك المضمون وصياغته"⁴، فانفتاح الدرس اللساني الحديث على العلوم الإنسانية الأخرى عزز من الهدف الذي دعا إليه الاتجاه العرفني الجديد، من ضرورة إعادة النظر في المنهج والتصور والإجراء

¹ - اللسانيات والأدب ودراسات أخرى، ص21.

² - حسام البهنساوي، نظرية النحو الكلي والتركيب اللغوية العربية، دراسات تطبيقية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 2004م ص22.

³ - اللسانيات والأدب ودراسات أخرى، ص22.

⁴ - عبد الجبار بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني، مسكلياني للنشر، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، تونس، ط1، 2010م، ص18/17.

في دراسته اللغة، ف: "العالم يتطلع إلى تعبير جديد عن معنى الحياة... وأنا بحاجة إلى فلسفة جديدة يمكن أن تهب المعنى للحياة والواقع"¹.

وتساوقاً مع ما ذكر آنفاً، تشكل العلوم العرفانية بوصفها نسقاً علمياً معرفياً جديداً يتخذ الأدب واللسانيات موضوعاً للدراسة والبحث علماً قائماً بذاته، موضوعه البحث في العلاقة القائمة بين الذهن والعقل والجسد للكشف عن اللغة بوصفها ظاهرة في غاية التعقيد تحتاج التحليل والتفسير والنظر إلى الكيفية التي تنتج من خلالها لتسهيل بذلك عملية فهمها وإدراكها، إلى جانب هذا تدرس اللسانيات العرفانية الذهن والذكاء دراسة أساسها التحام مجموعة من العلوم المعرفية الأخرى²، وقد يتخذ هذا العلم من الأدب واللسانيات موضوعاً للدراسة والبحث ويعمل على ما قد يمكن أن يقدم لهما من جديد علمي معرفي بالنظر إلى الجهود التي قدمها أعلامه المؤسسون في أمريكا، أمثال: (راي جاكندوف، وجورج لايكوف، ومارك جونسون، وتورنر فكويني وغيرهم من الباحثين...)، وقد تميزوا بنظرتهم المغايرة للغة باعتبارها نشاطاً ذهنياً متساوقاً مع حركية العقل البشري في تعاطيه مع مختلف نظم المعرفة، ولهذا عنت اللسانيات العرفانية دراسة تختص بالنظر في العلاقة بين اللغة والعقل³.

ولا شك أن المتتبع لجملة المفاهيم المنسوبة للسانيات العرفانية، يصل إلى أنها مجال وحقل معرفي بالدرجة الأولى يحاكي الدماغ من ناحية عمله ووظيفته وخصائصه وفي تعامله مع اللغة، فقط نشير إلى أن اللغة بشكلها التعبيري اللفظي يلجأ إليها المستعمل لتفسير وشرح ما يحمله المتكلم من وحدات معجمية، ودلالية، وإدراكية ما هي إلا علامة على الوعي الإدراكي للإنساني والوعي اللغوي ونتاج للمعنى المرجو⁴.

¹ - كيان أحمد حازم يحيى، معنى المعنى، دراسة لأثر اللغة في الفكر ولعلم الرمزية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2015م، ص277.

² - يُنظر: نظريات لسانية عرفانية، ص15.

³ - يُنظر: اللسانيات والأدب ودراسات أخرى، ص4.

⁴ - يُنظر: عبد الرحمن محمد طعمة محمد، البناء الذهني للمفاهيم، بحث في تكامل علوم اللسان آليات العرفان، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2019م، ص105.

الفصل الأول: - اللسانيات العرفانية في حقل الدراسات اللسانية الغربية بين التأصيل

وفي ذات السياق يطلق "لايكوف" على كل العلوم التي تجعل من الذهن موضوعا لدراستها قوله: "علم العرفنة حقل جديد يجمع ما يعرف عن الذهن في اختصاصات أكاديمية عديدة: علم النفس، واللسانيات، والأنثروبولوجيا والحاسوبية، تسعى لمحاولة فهم المظاهر الذهنية والحسية المتعلقة بالإنسان لتكشف عن مكوناته وكيفية اشتغالها حتى وإن اختلفت هذه العلوم في توجهاتها ومنطلقاتها ومنهجها، فإنّ الذهن وما يحمله من أسرار يبقى الهدف الرئيس الذي ترمي إليه كل الجهود المبذولة في كل اختصاص من هذه الاختصاصات"¹، وقد يساعد هذا المسعى في حل بعض المسائل المبهمة، والدليل في ذلك ما هدف إليه الاتجاه العرفني الجديد، من تأسيس مقولة مهمة في الدرس اللغوي الحديث مفادها: "إن الهدف أن نحدث تكاملا بين اللسانيات والعلوم المعرفية الأخرى، لا أن نضرب صفحا عن النتائج التي توصّلت إليها هذه العلوم ونتذكر لها؛ فلكي نفهم اللغة، ونسبر أغوار الدماغ نحتاج إلى كل علم أن يأتي بما يستطيع؛ لكي تكتمل الصورة وتستوي"².

وفي سياق آخر، نجد كلاً من فراندبارغ (J. Friendenberger)، وجوردن سيلفرمان (Gordon Silverman) قد عرفا اللسانيات العرفنية بأنها: "الدراسة العلمية متداخلة الاختصاصات للعقل"³، وقد يفهم من هذا السياق حسب محي الدين محسب أن العلوم العرفنية (الإدراكية) علم ثري كونه دراسة علمية للعقول والأدمغة، سواء كانت عقولا حقيقية أو عقولا اصطناعية... "إذ تهدف إلى: "إعادة تشكيل العقل"⁴، يعني هذا أن العلوم المعرفية تسعى إلى إعادة تشكيل العقل البشري، ودراسة السيورورات المعرفية والعمليات الذهنية التي تنقلنا من

¹ - حمو الحاج ذهبية، مقّمة في الآسانيات المعرفية، مجلّة تحليل الخطاب، عدد خاص بأعمال الملتقى التّولي حول واقع البحوث المعرفية وتحليل الخطاب أيام 11-12-13، ع14، مارس2013م، ص15.

² - منية لعبيدي، التمثيل الدلالي للجملة، منوال جاكندوف1983م، منشورات علامات، المغرب، ط1، 2013م، ص48.

³ - محي الدين محسب، الإدراكيّات أبعاد إبستمولوجية وجهات تطبيقية، كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2017م، ص23.

⁴ - حسن الباهي، الذكاء الاصطناعي وتحديات مجتمع المعرفة، حكمة الآلة أمام حكمة العقل 'إفريقيا الشرق، المغرب، 2012م، ص40.

الفصل الأول: - اللسانيات العرفانية في حقل الدراسات اللسانية الغربية بين التأصيل

التمثل إلى الفعل، متعلقة بالبناء الذهني للعقل الإنساني وما يؤديه من وظائف ذهنية مترابطة مثل: الذاكرة، الانتباه، الذكاء، التخيل، التمثل، الإدراك، والتصور.

أما بخصوص التعريف الآخر الذي قدمه دنيال أندلار D.Andeler، وينصّ على "العلوم المعرفية تضم مجموعة متنوعة من العلوم والمقاربات بهدف تفسير علمي متكامل للعقل، حالاته، عملياته، ووظائفه"¹.

من جهة أخرى، رأى محي الدين محاسب أن العلوم المعرفية علم غني ومعقد لا يقبل التعريفات البسيطة، واقترح التعريف الآتي باعتباره أشمل: "العلم الإدراكي (العلوم العرفانية) هو الدراسة العلمية للعقول والأدمغة، سواء كانت حقيقية أم اصطناعية، إنسانية أم حيوانية"². من خلال هذا التعريف نجد أن العلوم العرفانية تتقاطع مع علم النفس المعرفي لما يجمع بينهما من هدف أساسي وهو دراسة العلاقة بين العقل واللغة والبحث عن أسرارهما وكيفية عملهما³.

يتعين مما ذكر من موضوع اللسانيات العرفانية وما ترمي إليه للوصول إلى نظرية شاملة للإدراك الذهني تشتمل على العديد من القدرات الذهنية الخاصة بالكائن البشري، جعل العديد من الباحثين العرفانيين يركزون على ضرورة البحث في البنيات الوظيفية للعقل الإنساني بعدّه الأداة الموصلة إلى فك شيفرات المعارف والتمثلات الذهنية، والعمل على ما تتطلبه الدراسة في الكشف عن الآليات التي يمثل بها الإنسان المعرفة، وكل الطرق المؤدية إلى ذلك بواسطة الأنشطة الذهنية التي يمتلكها الدماغ البشري المشابهة لبنية البرمجة المعلوماتية والإجراءات الحاسوبية، يقول جاكندوف: (Jackendoff) "لا بدّ من وجود مستويات من التمثيل الذهني التي تؤديها اللغة، متوافقة مع المعلومات القادمة من الأنظمة المحيطة مثل الرؤية، السمع غير

¹ - الإدراكات أبعاد إبستمولوجية وجهات تطبيقية، ص24.

² - نفسه، ص240.

³ - يُنظر: هند بنت سليمان الخليفة، نوال بنت إبراهيم الحلوة وآخرون، علم الدلالة والأنطولوجيا، من منظور حوسبة للغة العربية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ط1، 2017م، ص157.

اللغوي، والشعور بالحركة"¹، إذ ينبغي التوافق ما بين المعلومات اللسانية والمعلومات الحركية لتمكن الإنسان من تنفيذ الأوامر والتعليمات².

1-2 نشأة اللسانيات العرفانية:

يرجى الكثير من الباحثين اللغويين بؤادر نشأة العلوم المعرفية إلى عدة مسالك مختلفة، لى من بينها ما يمكن إرجاعها -حسب محي الدين محسب- إلى علماء النفس الألمان الجاشطالت (Gestalt) مع بداية القرن العشرين، الذين ترتبط دراساتهم أساساً بفكرة مفادها أن العقل ينبثق من مجموعة الخصائص الفيزيائية للعقل البشري، إلى جانب هذا يرتبط أيضا بكل ما هو متعلق بالإدراك بشكل عام، وما هو مدرك حسيا ومشاهد بصريا بشكل خاص³.

وفي سياق آخر، يمكن إرجاعها حسب "رولاند لانفاكر" (R. Langaker) - أحد المتخصصين في النحو العرفي-، إلى تلك العلاقة التي تربط الفلسفة الظاهرانية وعلوم المعرفة، حيث يحاول كلٌّ منهما الإجابة عن مفهوم نمط حضور الإنسان في العالم وكيفية وعيه بعده الأداة الموصلة إلى فهم الحقائق وقدرته على التفاعل بكل ما يحيط من حوله، ومن خلال كل هذا لاحظ رولاند في ذات السياق وجود تثلثات بين البنى اللغوية والإدراك الحسي البصري⁴؛ كانت انطلاقته من أجل بناء علم معرفي يحاكي العلاقة بين الفكر واللغة والعقل والجسد.

فيما يرى البعض الآخر من الباحثين أن العلوم المعرفية تمتد جذورها إلى التراث الفلسفي لكل من ديكارت رونيّه "1596م، 1650م"، وكانط "1724م، 1804م"، ومنهم من يذهب إلى أن مردّ نشأتها إلى الموجات الثلاث: موجة الخمسينيات، موجة السبعينيات، وموجة ما بعد السبعينيات، حيث أطاحت الموجة الأولى بالنظرية السلوكية بكسرها القيود التي فرضتها النظرية

¹ - جاكندوف، تر: عبد الرزاق بنور، علم الدلالة العرفاني، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010م، ص14.

² - نظر: اللسانيات والأدب ودراسات أخرى، ص7.

³ - الإدراكيات، أبعاد إبستمولوجية وجهات تطبيقية-إطالة تاريخية إبستمولوجية، 10/09.

⁴ - اللسانيات والأدب ودراسات أخرى، ص08.

ومما تجدر الإشارة إليه أن مرد عدم اهتمام النظرية السلوكية بالجانب الذهني والعقلي للإنسان هو وعي الباحثين بعدم قابليته للملاحظة والوصف، وهذا ما يتنافى مع دراستها مبدئياً في مجال بحثها¹، فاجتمعت الدراسات لهذه المرحلة الأولى في ثلاثة اختصاصات الذكاء الاصطناعي، وعلم الأعصاب، وعلم النفس، ويتلاقح هذه الأخيرة ظهرت بما يسمى: العلوم المعرفية²، وعلى إثر ذلك أسست حقلاً معرفي الجديد مركزة على "المعلومات"، أما بالنسبة لموجة السبعينيات فركّزت جل دراساتها على الدماغ البشري بعدّ المادة والشكل مركز الصدارة أما عن الموجة الثالثة فتنددت بالتغيير، وكان اهتمامها الفعلي في قضايا النمو³.

وقد أرجع الباحث صلاح الدين الشريف نشأتها من خلال تمييزه بين أمرين، حيث مّيز بين نظرية المعرفة وبين البحث في العلوم الطبيعية، إذ تعالج النظرية بحسبه الموضوعات ذات الأصول العقلانية والأبعاد الفلسفية والمنهجية، التي كانت بدايتها على يد الفيلسوف أفلاطون" ومن بعد "كانط" الذي طوّرها، ممّا أدى جرّاه لانبثاق عدة نظريات إبستمولوجية معاصرة، في حين أنّ البحث في العلوم الطبيعية مشروع علمي ناتج عن تماهي وتداخل مجموعة من العلوم الطبيعية كالبيولوجيا، وعلم وظائف الأعصاب، وانفتاح الدراسات البحثية على كيفية اشتغال الدماغ البشري وفهم أسرار وظائفه العليا: كالإدراك، والذاكرة، واللغة⁴.

ومع فترة أواخر الثمانينيات من القرن الماضي وبداية فترة التسعينيات، نشأ وتطور هذا العلم الحديث على يد تلامذة تشومسكي، أمثال: راي جاكندوف، جورج لاكوف، حيث تعود

¹- يُنظر: آسيا عمراني، دراسة الاستعارة في ضوء اللسانيات العرفانية، مجلة كلية الآداب، جامعة الكوفة، المجلد: 12، ع: 45، 2020م ص543.

²- يُنظر: سندس كرونة، اللسانيات وتطور العلوم العرفانية، حويات الجامعة التونسية، ع: 47، 2003م، ص278.

³- يُنظر: الإدراكيّات، إطلالة تاريخية إبستمولوجية، بدءاً من الصفحة 11/10.

⁴- عبد الجبار بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني، مسكياتي للنشر والتوزيع، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، تونس، ط1، 2010م ص8-9.

الفصل الأول: - اللسانيات العرفانية في حقل الدراسات اللسانية الغربية بين التأصيل

بعض الدراسات مهدت لحركة انفصال النظرية التوليدية التحويلية عن العلوم العرفانية، نذكر البعض منها¹:

1. دراسة تشارلز فيلمور "بديل لنظريات القوائم في المعنى".

2. دراسة روزش "التمثيلات المعرفية المقولات الدلالية".

3. دراسة جورج لايكوف وthumbسون "مقدمة للنحو المعرفي".

وفي سنة 1981م صدر كُتب "الاستعارات التي نحيا بها" للمؤلفين "جورج لايكوف" و"مارك جونسون"، وعُدَّ هذا المؤلف اللبنة الأساسية في بناء الرؤية العرفانية للاتجاه المعرفي لللسانيات²، والذي مثَّل فيه انقلاباً جوهرياً في تحوُّل الاستعارة من مفهومها التقليدي إلى مفهومها العرفي الحديث، وقد سميَّ بتيار الدلالة المعرفية³، أمَّا عن النشأة الفعلية لللسانيات العرفانية فكانت مع بداية سنة 1987م، وذلك مع صدور كتاب "لايكوف ولانفاكر"، ومقال "طالمي" 1988م، وقد تزامن هذا التأسيس مع صدور جمعية اللسانيات العرفانية سنة 1989م ومجلَّتها اللسانية العرفانية، وتأسيس جمعية العلوم العرفانية بأمريكا⁴، وقد سعى الباحثون إلى نقض التيارات اللسانية السابقة نقضاً منهجياً وتصورياً في دراستهم اللُّغة، فكان الخروج من مدار الدراسات البنوية الوصفية، ومن المنهج الشكلي للنحو التوليدي التحويلي إلى مدار العلوم اللسانية العرفانية، فعلى الرغم من أن تلامذة نعوم تشومسكي كانوا من مناصريه في الفترة الممتدة ما بين الستينيات والسبعينيات، إلا أنهم شقوا الطريق من بعده، أولاً من خلال الاهتمام بتوسيع ما جاء به أستاذهم، ثم سعوا إلى تطوير هذه النظرية لفهم أعمق للمعنى والإمساك به⁵ بواسطة إعمال الجانب النفسي والمعرفي والذهني؛ أي إرجاع الاعتبارات العرفانية والعمل من

¹ - الإدراكيات، أبعاد إطلالة تاريخية إستمولوجية، ص151.

² - الاستعارات التي نحيا بها، ص5.

³ - يُنظر: عمر بن دحمان، قراءة في كتاب الاستعارات التي نحيا بها، الخطاب منشورات مخبر تحليل الخطاب، ع6، 2010م، ص97.

⁴ - يُنظر: نظريات لسانية عرفانية، ص30.

⁵ - نفسه، ص28.

خلالها في فهم اللغة وكيفية عمل الدماغ البشري وعلاقته بها والكشف عن قدرته في التعامل معها، وتفاعله مع العالم الخارجي¹، وبالرغم من هذا النقض إلا أن دور تشومسكي كان فعالاً في بروز هذا العلم الفتي، وهذا ما أقره التوجه الزاعم أن نشأة اللسانيات العرفانية قامت على أنقاض النظرية التوليدية التحويلية التي كان يتزعمها نعوم تشومسكي، والذي سرعان ما وجد نفسه أمام طريق مسدود ومنحصر على الدلالة التركيبية وسلامتها من حيث الشكل فقط، مما دعا تلامذته إلى ضرورة تجاوز هذه الحدود والانتقال إلى دراسة الدلالة المعرفية²، ومن بين هذه الجهود الرامية نجد ما قام به العرفاني "راي جاكندوف من دمج النظرية التوليدية مع النظريات المعرفية، وهذا ما اتضح جلياً من خلال مؤلفه: "اللغة والوعي والثقافة: بحوث في بنية الذهن"³، والذي يقر فيه أن طبيعة الأبنية الذهنية من شأنها أن تشكل التجربة الإنسانية وتحدد سلوكه البشري، ويعدّ هذا المنجز حركة مفصلية في تطور الدرس اللغوي الحديث خاصة من الناحية المعرفية⁴.

ومن هنا تأتي موضوع الدراسة التي ترمي إليه اللسانيات العرفانية وهو دراسة الذهن البشري بجميع خصائصه ووظائفه ومظاهره، والتركيز على الذكاء والأنظمة الذكية ومحاولة الاستفادة من كل ما هو متعلق بالذكاء الاصطناعي والحاسوب⁵، كما أن اللسانيات العرفانية كتصور لساني جديد يهدف إلى نقل وتطوير نظريات الذهن الحديثة لتسهم بذلك في فهم العمليات العقلية والذهنية بصورة أعمق، وأشمل⁶.

¹ - يُنظر: مدخل إلى النحو العرفاني، ص31.

² - يُنظر: اللسانيات والأدب ودراسات أخرى، ص09.

³ - راي جاكندوف، تر: عبد الرزاق بنور، علم الدلالة العرفاني، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010، ص23-24.

⁴ - يُنظر: اللسانيات والأدب ودراسات أخرى، ص09.

⁵ - يُنظر: ميها يو أنطوفيتش، تر: حليمة بو الريش، مكانة علم العرفاني، مجلة فصول، خاص بالإدراكات الهيئية المصرية العامة للكتاب، المجلد 4/25، ع 100، مصر، 2017، ص97.

⁶ - يُنظر: اللسانيات والأدب ودراسات أخرى، ص10/09.

إن كل ما ذكرناه من رؤى وتصورات جديدة، والتي أدت إلى بروز هذا العلم الفتي وما يسعى إليه من معالجة قضايا لسانية وإنسانية مهمة جعلت منه علما معرفيا له مكانة بالغة الأهمية، موضوعه دراسة العمليات الذهنية المتعلقة باللغة، وقد تمّزت هذه الدراسة بنظرتها المخالفة للغة بعدها أداة رئيسة لفهم كيفية معالجة ذهن البشري للمعلومات وتكوينه المعاني وأنها ليست فقط مجرد وسيلة للتواصل، وأن تحققها يتم من خلال تضافر مجموعة من العلوم المعرفية الأخرى، هذه الأخيرة أكثر ما يميزها في حقيقة الأمر اهتمامها بالأنشطة الذهنية¹، عن طريق العمل على تحليل البنى اللغوية وكيفية استعمالها في التواصل، لهذا نجد اللسانيات العرفانية تقدم رؤى وتصورات مهمة عن الاستراتيجيات التي يعمل من خلالها الدماغ البشري في تنظيم المعلومات وتوظيفه عمليات التفكير والفهم والإدراك²، وهذا ما نجده على سبيل المثال لا الحصر مساهمة اللسانيات العرفانية في فهم كيفية اكتساب اللغة، وآلية تشكل القواعد اللغوية في ذهن ناهيك عن اشتغالها في كيفية استعمال اللغة في التعبير عن الأفكار والمشاعر³.

وبناءً على سيروية أسباب نشوء اللسانيات العرفانية والرؤى المختلفة حول حيثيات بروزها كما ذكرنا سابقا يمكننا القول إن جاز لنا، أن اللسانيات العرفانية علم معرفي مهم يتداخل ويتكامل مع مجموعة العلوم الأخرى التي تسهم في دراسة خصائص ووظائف العقل الإنساني بتوظيفها جملة المناهج والأدوات المتعددة التخصصات، إلى جانب هذا يعزز هذا التكامل بين التخصصات القدرة على تطوير نماذج نظرية وإجرائية يمكن الاستفادة منها في العملية التعليمية والذكاء الاصطناعي، والعلاج النفسي،... وغيرها من التخصصات التي تسعى إلى الفهم الدقيق للأنشطة الذهنية واللغوية⁴.

¹ يُنظر: حسان الباهي، الذكاء الاصطناعي وتحديات مجتمع المعرفة، دار إفريقيا الشرق، المغرب، الدار البيضاء، 2012م، ص36.

² يُنظر: نظريات لسانية عرفانية، ص13

³ يُنظر: محمد غاليم، اللسانيات والأدب بحثان معرفيان، مجلة البلاغة والنقد الأدبي، ع3، 2015م، ص179.

⁴ - محمد غاليم، اللسانيات والأدب بحثان معرفيان، ص179.

1-3 مفهومها لغة واصطلاحاً:

تُعد اللسانيات من حيث مفهومها اللغوي جمعا للمفردة "اللسانية"، واللسانية اسم مؤنث منسوب إلى اللسان، وقد ورد اللسان في كتاب الله تعالى بمعنى اللغة¹، ومن ذلك قوله جل وعز: ﴿وَلَقَدْ نَعَّمْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُدِمْهُمُ بَشَرٌ لِّسَانُ آلَيْنِ يُلْحَدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِيَّ فَهَذَا لِسَانُ عَوِيٍّ مُبِينٌ﴾ [سورة النحل الآية 103]، وقوله: ﴿بَلِّسَانٍ عَوِيٍّ مُبِينٍ﴾ [سورة الشعراء الآية 105]، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بَلِّسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [سورة إبراهيم الآية 04]. وكلمة لسانيات كلمة عربية يقابلها باللاتينية Linguistique، وهي كلمة مشتقة من اللسان الذي هو الأصل في: جراحة الكلام وآلته، فهو العضو اللحمي المعروف وفي الفم، وأطلق مصطلح اللسان على مفهوم اللغة المنطوقة من قبل إطلاق السبب أو الآلة على المسبب، أو ما يحدث بتلك الآلة²، وأضيفت اللاحقة "أت" من قبيل العلمية كالرياضيات والأسلوبيات... إلخ² واللسانيات في الاصطلاح: "الدراسة العلمية للغة الإنسانية، ويمكن تعريفها أيضا بأنها ذلك الفرع من المعرفة الذي يدرس اللغات من أي مجتمع إنساني، وكل المجتمعات الإنسانية دراسة علمية"³، وبالرجوع لكلمة العرفان من حيث مفهومها فإنها تتداخل مع مجموعة من المفاهيم المتداخلة فيما بينها، فقد يخلط الكثير من الدارسين بين مفهوم العرفان والمفاهيم الأخرى كالمعرفة والتصور وغيرها من المفاهيم، ولكن في حقيقة الأمر هناك اختلافات بينهما. أ. العرفان لغة: "العرفان من الجذر أو المادة (عرف)ة وقد جاء في معجم الوسيط" (عَرَفَ) فلان على القوم حرافة: دبر أمرهم وقام بسياستهم، عَوَانَا، وعَرَفْنَا، ومعرفة: أدركه بحاسة من حواسه. فهو عارف، وعريف، وهي عروف"⁴.

¹ - مكين بن حوفان القرني، اللسانيات قضايا وتطبيقات، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، ط1، 2019م، ص11.

² - نظر: شامية أحمد، في اللغة، دراسة تمهيدية منهجية متخصصة في مستويات البنية اللغوية، دار البلاغ، الجزائر، ط1 1423هـ/2002م، ص10.

³ - فوزي حسن الشايب، محاضرات في اللسانيات، عالم الكتاب الحديث، أريد، ط2، 2016م، ص11.

⁴ - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2005م، ص595.

وورد في لسان العرب "عرف: العرفان: العلم، قال ابن سيده: وينفصلان بتحديد لا يليق بهذا المكان، عرفه، يعرفه، وعرفانا ومعرفة واعترفه"¹.

ب. العرفان اصطلاحاً: كما يحدده جورج لاكوف هو: "مجال جديد يجمع مع ما يعرف على الذهن في اختصاصات أكاديمية عديدة: علم النفس واللسانيات والأنثروبولوجيا وعلم الحاسوب. وهو ينشد أجوبة مفصلة عن هذه الأسئلة: ما التفكير العقلي؟ كيف نعطي معنى لتجربتنا؟ ما النسق التصوري، وكيف يتم تنظيمه؟ هل يستعمل الناس جميعهم النسق التصوري نفسه؟ إن كان الأمر كذلك، فما هذا النسق؟ وإن لم يكن كذلك، ما الشيء المشترك بالتحديد بين البشر في طريقة تفكيرهم؟ هذه الأسئلة ليس جديدة، ولكن نوع الأجوبة الراهنة هي كذلك"².

وبالنظر إلى الاختلافات الموجودة بينه وبين المفاهيم الأخرى، نذكر منها:

1.3.1. العرفان والمعرفة:

إن مفهوم المعرفة يحيل على مجموعة التصورات الصحيحة عن العالم، لكن بالمقابل سنجد أن العرفان يُعنى بالتصورات الصحيحة، وقد يشتمل على التصورات الخاطئة والتقريبية، إضافة إلى هذا يحيل مفهومه إلى مجموعة الخبرات والمعتقدات، وعلى العمليات الفردية التي ينتجها الإنسان بطريقة واعية أو لا واعية³.

2.3.1. العرفان والتصور:

عَدَّ العرفان بداية الخمسينيات من القرن الماضي: "منظومة معالجة المعلومات التي تخلق تصورات ذهنية وتعالجها..."⁴، وتأكيداً على ذلك أرجع الكثير من الباحثين اللسانيين أن العرفان منظومة معالجة المعلومات، ولعلَّ مردِّ ذلك هو التطور التكنولوجي والإعلامي الذي

¹ - ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، المجلد 7، دار إحياء التراث العربي، ط3، بيروت، لبنان، ص236.

² - George Lakoff، Women، Fire، and Dangerous Things، What Categories Reveal about the mind. The University of Chicago Press، Chicago and London، 1987، p، xi (preface).

³ يُنظر: عبد الرزاق عمار، العرفانية وبناء المعرفة، دار سحر للنشر، مركز النشر الجامعي، تونس، 2014م، ص21.

⁴ - نفسه، ص22.

الفصل الأول: - اللسانيات العرفانية في حقل الدراسات اللسانية الغربية بين التأصيل

صاحب هذا النوع من الدراسات، في حين أن التصور الذهني بناء على المدرسة الألسنية لمعهد المساشيوتس التكنولوجي فإنه: "رموز تحيل على عالم الدلالي القابل للتقييم"¹، وبالنظر إلى هذين المفهومين يتعين أن العرفان بمثابة تقنية تعمل بطريقة حسابية بواسطة مكنة شكلية تسمح بتصوير العالم² وقد تسمى هذه الكيفية التي تسمح بوصف العرفان من خلال منظومة رمزية لمجموعة التصورات بالنظرية التصويرية للفكر Théorie Représentationnelle De L'esprit³، وقد انطلقت العلوم العرفانية - العرفان - خلال الحركة الإعلامية، سيما في ظل تطور علوم الحاسوب فعدت بذلك مبحثاً شاملاً عن علوم مختلفة كالفلسفة، وعلوم الأعصاب علم النفس، المنطق، اللسانيات تتضافر كلها من أجل الكشف عن عمل الذكاء البشري، والنظر في عمل العقل الإنساني ومحاولة محاكاته الذكاء الاصطناعي، ولما كان هذا هو هدفها المنشود كانت اللغة بوصفها أهم المظاهر الإنسانية كشفت عن طبيعة هذا الذكاء، وميدانها مهما وموضوعاً للدراسات والأبحاث العرفانية⁴، ومن هنا عرفت العلوم العرفانية في هذا الصدد أنها: "الوظيفة التي تحقق المعرفة"، وأنها "عبارة عن مجموعة الأنشطة والمواد التي تتضافر لإنتاج المعرفة"⁵، وقد عرف مفهوم اللسانيات العرفانية تطوراً حسب تطور نشأتها من مرحلة إلى أخرى حيث عرفت اللسانيات العرفانية بكونها: "توجّه في البحث متعدد الاختصاصات ظهر مع أواخر سنة خمسين وتسع مائة وألف (1950م) في الولايات المتحدة. ويهتم هذا التوجه بالنظر في طبيعة العمليات الذهنية في اكتساب المعارف واللغة وطرائق استعمالها. وكانت الغاية من هذا البحث الكشف عن طبيعة البنية الذهنية وكيفية اشتغالها وانتظامها داخل الدماغ البشري

¹ - نفسه، ص22.

² يُنظر: العرفانية وبناء المعرفة، ص22.

³ - Cognition Psychologie cognitive connaissance et représentation fiche 19: Tome 1 Adulte Jean-Yves Baudouin et Guy Tiberghien, p49-50.

⁴ يُنظر: محمد المقدميني، التحليل الدلالي في المقاربة العرفانية، من كتاب دراسات في اللسانيات العرفانية، عبد الرحمن طعمة وآخرون مركز الملك عبد الله بن العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ط1 الرياض، السعودية، 2019م، ص95.

⁵ - Tiberghien, G: dictionnaire des sciences cognitives, paris, Armand colin, p71.

الفصل الأول: - اللسانيات العرفانية في حقل الدراسات اللسانية الغربية بين التأصيل

من خلال الاعتماد على نمط تفكير وتخزين العقل الإنساني للمعلومات وطريقة فهمه لها في إنتاجه ومعالجته لها.¹

ثم تغير مفهومها بحسب تطورها ليصبح في حدود سنة سبعين وتسع مائة وألف ذا صبغة جديدة تضع الجسد والمادة موضعاً مهماً في تشكيل العرفانية بعدما كان مبحثاً منطوياً تحت تأثير العلوم الحاسوبية، ومن هنا أصبح الذهن في هذه المرحلة الثانية من تطور اللسانيات العرفانية يشكل دوراً أساسياً في تحديد مفهوم العرفنة، حيث ظهر ما يُسمى: العرفان المجسّد أو ما يُعرف بمفهوم الجسدنة، ويقصد به حسب رأي لايفوف في نظريته الرؤية المفهومية المشكلة من مجموعة النظريات أو المناويل²، التي تهدف إلى معالجة اللغة باعتبارها مكوناً غير مستقل بذاته، بل هو مكون ضمن المكونات الذهنية³، وتعتمد في وصف وتحليل هذه الظاهرة على عدم التسليم الكلي للشكلية مثلما كان سائداً آنذاك، ومن خلال كل ما سبق يمكن القول أن اللسانيات العرفانية دراسة اللغة من حيث هي مبحث يتكامل مع ما هو معروف عن الذهن البشري، حيث تعدّ اللغة انعكاساً للذهن البشري⁴.

2- اللسانيات العرفانية امتداداتها المعرفية والنظرية

2-1 اللسانيات العرفانية وانفتاحها على السياق المعرفي:

تعدّ اللسانيات العرفانية مجالا متعدد التخصصات المتداخلة فيما بينها، والتي تعتمد مجموعة من العلوم الأخرى، مما أثر وبشكل مباشر في تشكل اللسانيات العرفانية كما أشرنا سابقاً، إذ انفتحت على السياق المعرفي مما أدى إلى بروز علاقة بينهما، استفادت منها الدراسات اللسانية العرفانية في معالجتها عمل الدماغ واللغة، ولفهم العلاقة القائمة بينها وبين هذه العلوم الأخرى، يمكننا أن نعرّج على بعض أهم التخصصات التي تسهم في تقديم نظريات

¹ - يُنظر: عبد الرحمن طعمة، الحبيب المقدميني وآخرون، دراسات في اللسانيات العرفانية، مركز الملك عبد الله بن العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، السعودية، ط1، 2019م، ص96.

² - vu: Lakoff, G: A review of The MIT Encyclopedia of the Cognitive Sciences. Published by Elsevier Science B.v.1.

³ - يُنظر: نظريات لسانية عرفانية، ص95.

⁴ - يُنظر: دراسات في اللسانيات العرفانية، ص97.

مفسرة لعمل الدماغ وعملية التشكل اللغوي في هذا المجال على نحو: الذكاء الاصطناعي وعلم النفس المعرفي والحاسوبيات وعلم الأعصاب وغيرها من العلوم التي تهتم بدراسة آلية اشتغال الدماغ البشري¹، وبالرجوع إلى ما تسعى إليه هذه العلوم من دراسات فإنها تتلاقى مع دراسة اللغة بما فيها العمليات الذهنية التي تتطلب الاستفادة من تلك العلوم الأخرى من خلال اللغة بغية فهمها، مما يسمح بفهم عميق لكيفية عمل اللغة داخل العقل الانساني²، وفي حقيقة الأمر فإن سعي اللسانيات كعلم قائم بذاته للوصول إلى قوانين شاملة تدرس اللسان البشري لتصفو نحويا كليا من خلال البحث في وظيفتها المتوخاة من التواصل والتبليغ وغيرها من الوظائف لن تجد خلاصا لها إلا في ظل ارتباطها بالعلوم الأخرى وما تفرزه من أبحاث ضمن علاقة التأثير والتأثير، وهذا ما انتبه إليه الباحثون العرفانيون، ولذلك نجد أن علم النفس بواسطة ما يقدمه من دراسات حول العمليات الذهنية المختلفة مثل: التذكر، الانتباه، الإدراك، والتفكير... إلخ، والنظر في كيفية اكتساب ومعالجة واسترجاع البيانات والمعلومات، وكذلك هو الأمر بالنسبة لعلم الأعصاب الذي يبحث في الجانب البيولوجي للعمليات الذهنية المعالجة عن طريق آلياتها التي تتيح فهم ومعرفة القدرات اللغوية والإدراكية من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذا العلم قد يساعد على معرفة الكيفية التي يعالج بها الدماغ البشري اللغة وعمليات ارتباط الأجهزة العصبية باللغة، وإذا ما نظرنا إلى مفهوم الذكاء الاصطناعي كونه محاكاة لذكاء الإنسان وفهم طبيعته بواسطة العمل على نمذجة برامج الحاسوب تكون قادرة على محاكاة السلوك البشري، والذي يتميز بالذكاء بصفة عامة³، ومن هنا فإن الذكاء الاصطناعي يتواشج مع مساعي اللسانيات العرفانية التي موضوعها دراسة العلاقة بين الدماغ واللغة والجسد، وهذا ما يوفره هذا الاختصاص الذي يهتم بتطوير الأنظمة المنفذة للمهام التي يتطلبها الذكاء الاصطناعي، كما أن مجموعة تقنيات الذكاء الاصطناعي المنمذجة للعمليات الذهنية التي

¹ يُنظر: آسيا عمران، دراسة الاستعارة في ضوء اللسانيات العرفانية، مجلة آداب الكوفة، ع 45/2، أكتوبر، 2020م، ص 542.

² يُنظر: نظريات لسانية عرفانية، ص 13.

³ يُنظر: نورة محمد عبد الله العزام، دور الذكاء الاصطناعي في رفع كفاءة النظم الإدارية لإدارة الموارد البشرية بجامعة تبوك، المجلة التربوية، جامعة سوهاج، ج 01، ع 84، 2021م، ص 478.

تساعد وبشكل مباشر في معالجة اللغة حاسوبيا، وبالتالي يسعى الذكاء الاصطناعي إلى تنزيل اللغة حوَّ الآلة، مما يساعد على فهم كيفية اشتغال الدماغ البشري، وبالرغم من هذا الجانب التقني الآلي، إلا أنَّ الدراسات الإنسانية كالفلسفة والأنثروبولوجيا، كان لها دور فاعل في توفير فهم أعمق للغة والعقل والمعرفة في حد ذاتها، سيما وأن اللسانيات العرفانية تدرس اللغة ضمن حدود هذه العلاقة، فالفلسفة تمد اللسانيات العرفانية بتفسيرات نظرية معمقة عن طبيعة اللغة والمعرفة والعقل والفلسفة اللغوية، مما يوفر الفهم النظري للعمليات الذهنية نحو تشكيلها اللغة، وذلك من خلال تقديمها تحليلات مهمة لمختلف المفاهيم كالمعنى والدلالة والتفسير...، في حين تسعى الأنثروبولوجيا كعلم قائم بذاته يسعى إلى دراسة ثقافة الشعوب والأنسنة وعلاقتها باللغة دراسة مجانية لمبدأ المحايثة، إذ تدرس علاقة اللغة بالسياقات الخارجية، اجتماعية كانت أم ثقافية أم تاريخية...، مما يساعد على إضافة بعد اجتماعي وثقافي للدراسات العرفانية من خلال فهم وتحليل اللغة في ظل هذه العوامل.

انطلاقاً من علاقة اللسانيات العرفانية بالعلوم الأخرى المتلاحمة، قد نلاحظ أنه وبالرغم من أن اللسانيات العرفانية كعلم قائم بذاته له خصوصياته وملابساته الخاصة والمختلفة في نشأته، إلا أن علاقته بالعلوم الأخرى علاقة ترابطية تتفاعل فيما بينها من خلال عملية التأثير والتأثر.

3- اللسانيات العرفانية وأهم أسئلتها:

كانت اللغة وما تزال اللغة موضوع الدراسة اللسانية الملازمة لكل التطورات التي طرأت على الدرس اللغوي عبر مساراته المختلفة، فعلى سبيل المثال إذا كانت النظرية التوليدية قد قامت على أساس ضرورة دراسة اللغة بغية الوصول إلى نحو كلي، ليكون الدليل على تلك الملكة الفطرية، وعلامة تمكّن الإنسان من عملية اكتساب اللغة بناء على معطيات متحققة في لغة معينة من خلال مجموعة التتويجات الممكنة، باعتبار أن النحو الكلي خصيصة متمركزة في الأذهان، والذي يتميز بنظامه الخاص داخل الدماغ، والمتمثل في كيان اللغة¹، فإن

¹- يُنظر: الأزهر الزناد، النص والخطاب، مباحث لسانية عرفانية، مركز النشر الجامعي، دار محمد علي للنشر، تونس،

الفصل الأول: - اللسانيات العرفانية في حقل الدراسات اللسانية الغربية بين التأصيل

اللسانيات العرفانية على نقيض من كل ما سبق، حيث ترى المدرسة اللسانية العرفانية أن المبادئ الكلية في الأصل مركز الملكة العرفانية العامة؛ أي "أن اللغة ليست متحققة في عضو ذهني داخل الدماغ البشري فقط، وإنما تُعدّ اللغة بحسب ما جاء به هذا الاتجاه نشاط رمزي أساسه النشاط الدماغي (كعضو مادي)"¹، وبالتالي "فإن اللغة بحسب هذا التيار وليدة مجموعة العمليات الذهنية المعقدة وجزء لا يتجزأ من النظام العرفني"؛ فاللغة بمثابة "الصورة العاكسة لمجموعة التمثيلات الذهنية"².

وبالرجوع إلى مفهوم اللسانيات العرفانية وما تسعى إليه من دراسة، فإنها تدرس العلاقة القائمة بين اللغة والدماغ والجسد من خلال التجربة الإنسانية؛ إذ أن المتكلم يتفاعل مع ما يحيط به من عوالم وأشياء بوساطة جسده وموقعيته ضمن زمكانية معينة تنتج من خلالها لغة تحمل في طياتها معان وتصورات تبين وتفهم عبر تجربته الجسدية، ومن ثم تتبني تلك التصورات بحسب ما يعيشه من تفاعل بين جسده وبين مفاهيم متعددة، كال حجم، الوزن، الثقل الانتقال، الاحتكاك، الارتطام...، وغيرها من المفاهيم المؤسسة بحسب تجربته الجسدية ضمن هذا العالم وما يجري من حوله من أحداث ووقائع³، ولعلّ من القضايا التي تهتم بها اللسانيات العرفانية "النحو"، وذلك بعدّه ذا طبيعة مفهومية، وأنه جزء من التصورات الذهنية والملكة العرفانية.

وكمفهوم مختلف للنحو عما ورد فيه في النظرية التوليدية التحويلية كونه مكون تركيبي شكليا منفصلا تمام الانفصال عن الدلالة والجهاز العرفني يدرس على سبيل التمثيل المجازي للبنية التركيبية دون سواها، فإن النحو على عكس ما جاء في هذه النظرية؛ ففي اللسانيات العرفانية يدرس النحو ضمن حدود الدلالة، ويعدّ المعنى فيه ناتجا عن تفاعل الأبنية المفهومية

¹ - يُنظر: النص والخطاب، مباحث لسانية عرفانية، ص21.

² - نفسه، ص22.

³ - يُنظر: النص والخطاب، مباحث لسانية عرفانية، ص24.

الفصل الأول: - اللسانيات العرفانية في حقل الدراسات اللسانية الغربية بين التأصيل

وبالتالي فإن مجموعة البُنى التركيبية هي نتاج المعاني المرادة ولمتشكلة عن طريق معرفة ما يدور حولنا من أشياء بمختلف السياقات¹.

ومن هنا؛ يمكننا القول إن اللسانيات العرفانية جاءت لإحياء جدلية علاقة اللغة بالفكر وذلك كونها تدرس العلاقة بين اللغة والعقل، وما ينتجه من عمليات ذهنية دقيقة ومدى تفاعلها مع التجربة الإنسانية، إلى جانب ذلك كونها لا تفصل النحو عن المعنى، بل تقر وتراهن على العلاقة القائمة بين النحو والتداول، وما بين النظام اللغوي والاستعمال.

وفي السياق ذاته، يقوم التيار العرفني على الدلالة العرفنية والنحو العرفني، حيث تهتم الدلالة العرفنية بدراسة العلاقة بين الأبنية المفهومية والتجربة وبنية التشكل اللغوي للمفاهيم والدلالة اللغوية، فأما النحو العرفني فيعتمد على المقاربة العرفنية التي ترمي إلى صياغة براديجم أو نظام نموذجي يضم كيفية عمل الجهاز النحوي العرفني الذهني ببعده الدلالي، وقد تنفي الدراسة اللسانية العرفنية وجود معجم ذهني مستقل في النحو يكون حاملاً جملة الأنظمة اللغوية المشتركة بين بني البشر، وبهذا يكون التيار النحوي العرفني قد أقر بأن النحو خلو من المعجم²، وبالتالي تستعمل الوحدة المعجمية فيه كمدخل دال على مجموعة المعارف المتعلقة بالثقافة والمحيط لنتج لغة رمزية تصاغ من خلالها التصورات اللغوية، وعليه فإن الدلالة العرفنية تتألف من أساسين: "تمثيل المعرفة وبنية المعنى، في حين أن النحو العرفني بمثابة نموذج نظري يشرح عمل النظام المفهومي في إطار التفاعل مع الملابس الخارجية للنظام اللغوي؛ أي في بعده ومظهره الدلالي"³.

وبالرجوع إلى النظرية اللسانية العرفنية وما تتضمنه من رؤى وتصورات جديدة عن البنية اللغوية التي تراها انعكاساً مباشراً لمفهوم العرفنة، إذ أن العنصر اللغوي يتحدد وفق سياق لغوي معين يؤدي تعبيراً مخصصاً بعينه بحسب نمط التداول، وقد يختلف نمط التعبير عن

¹ - نفسه، ص23.

² - يُنظر: النص والخطاب، مباحث لسانية عرفنية، ص24.

³ - نفسه، ص24.

الفصل الأول: - اللسانيات العرفانية في حقل الدراسات اللسانية الغربية بين التأصيل

وضع معيّن من خلال اختلاف زوايا التناول دون الخضوع إلى عمليات الاشتقاق والتحويل¹، وبالتالي انكّبت الدراسات اللسانية العرفانية في تقديم رؤى جديدة تركز في العلاقة بين اللغة والذهن مستفيدة من العلوم العرفانية والعلوم الأخرى لتقديم نظريات تفسيرية لكيفية عمل الدماغ البشري من جهة، وكيفية تشكيل اللغة من خلال تجربتنا الجسدية، وما يدور حولنا من وقائع خارجية وتفاعلها مع مفاهيمنا المختلفة.

¹ - نفسه، ص 28/27.

الفصل الثاني

السياق المعرفي والتاريخي لتلقي الباحثين

الجزائريين للسانيات العرفنية

أولا : تلقي اللسانيات العرفنية في البيئات البحثية العربية

ثانيا : عوامل تلقي الباحثين الجزائريين للسانيات العرفنية وأثرها على تطور

الدرس اللساني الجزائري

أولاً: تلقي اللسانيات العرفية في البيئات البحثية العربية:

1 - تلقي اللسانيات الغربية من طرف الباحثين العرب:

إن المتأمل في الواقع اللساني العربي سرعان ما يصل إلى أن الاهتمام أولاً بالظاهرة اللغوية بوصفها ظاهرة إنسانية معقدة دعت الضرورة للغوص في كنهها وفك شيفراتها بغية الوصول إلى آليات اشتغالها واكتسابها في الوقت نفسه.

المسألة التي دفعت العديد من الباحثين العرب مشاركة ومغاربة على حد سواء إلى دراستها تنظيراً وتطبيقاً، دون أن ننكر وجود معطيات معرفية وعلمية لغوية تراثية هامة لها موضوعاتها ومميزاتها وأسسها المنطقية، وإن غاب عنها التحديد المنهجي والمصطلحي.

وفي هذا السياق شهد الدرس اللغوي العربي الحديث، سيما في بلدان المشرق والمغرب الاهتمام المتزايد بالنظريات اللسانية الحديثة، وذلك من خلال علاقة التأثير والتأثر بينها وبين ما أنتجته الثقافة اللسانية الغربية الحديثة المعاصرة¹.

من خلال ما شكّله حملة نابليون بونابارت أوائل القرن التاسع عشر على مصر، بوصفها أولى معالم الدرس اللغوي العربي الحديث لانفتاحه على الثقافة الغربية، كما كانت إيذاناً بتحويلات جذرية مهدت للتخلص من الاحتلال العثماني²، اهتم من خلالها مجموعة من الباحثين العرب النهضويين بقضايا المعجم والترجمة وقضايا تعليم اللغة العربية، مما زاد اهتمامهم بقضايا التيسير وإطلاعهم على طرائق التأليف عند الغربيين، وكانت كتابات رفاة الطهطاوي المتأثر بهذا الوافد بداية اتصال فعلية هدف من خلالها إنشاء مجمع للغة العربية وتيسير النحو "وتجديده"³.

¹ يُنظر: مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية، حفريات النشأة والتكوين، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006م، ص135.

² يُنظر: حافظ إسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، لبنان، بنغازي، بيروت، ط1، 2009م، ص22.

³ يُنظر: زبيدة، إبراهيم عمر سليمان: حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث، دراسة تحليلية تقييمية، المكتب الوطني للبحث والتطوير، طرابلس، 2003م، ص42-43.

وتلاه بعد ذلك جورجى زيدان؛ وقد مثلت كتابات كل منهما ملمحا واضحا لتأثرهما بالمنجز الغربي، وقد أعقبت محاولتهما محاولات أخرى لم تخرج على نهجهما إلى يومنا هذا، ولعلّ أهم محاولة نجدها عند مهدي المخزومي بعد محاولة إبراهيم مصطفى، فهي بمثابة تكملة لما قام به هذا الأخير، بيد أنّ ما يميز محاولة المخزومي عن محاولة إبراهيم مصطفى كونه متأثر متأثرا واضحا وصريحا "بالدرس اللغوي الحديث"¹.

وقد كان المؤثر الفعلي للدراسات اللسانية العربية في أولى بداياتها المبكرة هو "الفيلولوجيا الغربية" عبر المستشرقين الألمان، حيث أنّ المتتبع لمسار الكتابات اللسانية العربية يجد أنّ بداياتها كانت عبارة عن محاولات تجريبية ونقل لهذا الوافد الغربي، وقد أشار عزّ الدين مجدوب في معرض حديثه عن الكتابة اللسانية الحديثة مسمّيا إياها: التجريبية التي اكتنفها الخلط المنهجي والمعرفي، وذلك لعدم الوعي الدقيق للمفاهيم الأساسية للنظرية اللغوية بصفة عامة والعلمية بصفة خاصة².

على سبيل المثال لا الحصر، تجربة إبراهيم مصطفى كما أسلفنا الذكر في كتابه: إحياء النحو الذي صدر 1937م-، إذ تميّزت بعدم فصله بين مقتضيات الدراسة النظرية والدراسة التطبيقية، أضف إلى ذلك إخفاقه في محاولته التجديدية والتيسيرية للنحو العربي من خلال تبني المفاهيم المعرفية الغربية دون العزوف عنها³.

وقد كان من المفروض - على حد قول حافظ اسماعيلي علوي- أن يتأثر إبراهيم مصطفى بالاتجاهات اللسانية السائدة آنذاك، كما يبدو جليا في تمهيده لآراء المستشرقين في مسألة أصل الإعراب، حيث يقول: "يجب أن نعرض الرأي في أصول الإعراب رآه المستشرقون واستعانوا فيه بدرسهم علم اللغات ومقارنتها"⁴.

¹ - اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص41.

² - يُنظر: المنوال النحوي العربي، قراءة لسانية جديدة، ص35.

³ - يُنظر: إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1937م، ص22، 41 وما بعدها.

⁴ - نفسه، ص42.

وبالتالي معرفته بالاتجاه المقارن إلا أنه لم ينبهر به، بل انتقد آراء المستشرقين في الإعراب نقدا موضوعيا، ومن خلال نقده استخدم منهجي الوصفي والمقارن والتاريخي، وذلك من خلال رصده نقاط التشابه والاختلاف بين اللغات الأجنبية والعربية، وقضايا الإعراب والتصريف بين اللغات¹. كقوله: "وكثير من اللغات لا إعراب فيها، ولا تبديل لآخر كلماتها".² وبالرغم من استخداماته هذه المناهج ودعوته إلى تيسير النحو ونقد النحو، إلا أنه في حقيقة الأمر لم ينبهر بالمنجز اللساني الغربي وظل متمسكا بالتراث اللغوي النحوي والتقاليد اللغوية القديمة، وذلك انطلاقا من إشارات المتكررة لآراء الأئمة النحاة والاستشهاد بهم.³ وعلى هذا الأساس تُعدّ محاولته مجرد مرحلة تجريبية في الكتابة اللسانية دون أن تتعدى حدود حركة الإصلاح والتيسير الذي تبعه فيها كل من مهدي المخزومي، والذي تميز بتأثره الواضح والصريح بالدراسات اللغوية الغربية، ولكنها تبقى محاولات من أجل تحديث التراث وجعله متوافقا مع ما أنتجته الدراسات الغربية الحديثة وإخراجه من عزلته، وقد تعزز ذلك بظهور الاتجاه الوصفي في الثقافة العربية وإعلان التأثير به بصراحة واضحة.⁴ من هنا؛ يمكننا القول إنّ المنهج التاريخي أول منهج يشق طريقه في الثقافة العربية⁵، التي تجسدت مع علي عبد الواحد وافي كأول من انتهجه عبر كتابه علم اللغة⁶، ولعل تجربة إبراهيم أنيس، سيما في الدراسات التاريخية والمقارنة أهم ما يميزها تبنيها للدراسات اللغوية الغربية الحديثة، إذ حاول تطبيق عدة مناهج غربية من بينها الوصفية والوظيفية لنماذج اللغة

¹ - يُنظر: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 40/39.

² - إحياء النحو، ص 3.

³ - نفسه، ص 52.

⁴ - يُنظر: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 41 / 42.

⁵ - يُنظر: اللسانيات في الثقافة العربية، حفرات النشأة والتكوين، ص 146.

⁶ - نفسه، ص 135.

العربية معتقداً أن هنالك تلاؤماً بين ما تملّيه المناهج الغربية ونظيرتها المناهج اللسانية العربية، مع إيمانه بجدارة الأبحاث اللسانية الغربية في تنمية اللسانيات العربية في جميع مناحيها¹. وفي ظلّ ما كان سائداً آنذاك من عجز بعض الباحثين من إيجاد حدود التماس بين الفكر اللغوي الغربي والدراسات اللغوية العربية القديمة، نجد البعض الآخر من الباحثين العرب المحدثين أمثال محمود السعران، محمود فهمي حجازي، قد تمكنوا من إيجاد الحدود الفاصلة بينهما وتحديد الفروقات

فعلى سبيل المثال لا الحصر، فإن محمود السعران دعا إلى توظيف المناهج الغربية مع ما يناسب اللغة العربية من خلال كتابه "علم اللغة مقدّمة إلى القارئ العربي" سنة 1962م- وذلك بتأثره البالغ بالدراسات البنوية، والدليل على ذلك قوله الصريح: "وأنا لم ألتزم في جملة ما عرضناه مذهباً بعينه في كلّ أصوله وفروعه، من هذا أهل الدرس اللغوي المتعددة، بل ركنت إلى التعريف بالأصول العامة التي ارتضيته، والتي قلّ أن يختلف فيها أهل هذا العلم، مع بيان مصدرها ومذاهب أصحابها في معظم الأحوال، مع الإشارة في الوقت نفسه إلى الآراء المخالفة الصادرة عن مذاهب أخرى، حتى يكون القارئ على بينة من المذاهب اللغوية المختلفة، وعلى دراية بالفلسفات التي قامت عليه وعلى علم بأهم المؤلفات فيها، فلا يضلّ الطريق في زحمتها عندما يتاح له الاتصال بشيء منها"².

وعليه، فإنّ محمود السعران قد نادى إلى ضرورة الفهم الواعي للمنجز الغربي خاصة عند نقله وشرحه وتفسيره وربما التطبيق على ما يناسب اللغة العربية³، وفي السياق هذا يحسب له أنه رجّح لفكرة البنوية في العديد من كتاباته. على هذا الأساس عدّ قارئاً جيداً للفكر اللساني الغربي من خلال كتاباته التمهيدية⁴، فضلاً عن ذلك فإنّه يعدّ أول من استعمل مصطلح البنوية

¹ يُنظر: محمد حسين ال ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب الى نهاية القرن الهجري، دار المكتبة الحياة، لبنان، بيروت، ط1، 1980م، ص494.

² محمود السعران، علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، ص3.

³ يُنظر: نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، الجزائر، ط1، 2009م، ص217.

⁴ يُنظر: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، ص102.

إضافة الى هذا تقديمه نموذجا منهجيا موحدا يجمع فيه بين اتجاهين لسانيين مختلفين بطريقة متجانسة، بمحاولة منه للمراهنة على أن النحو على الرغم من أنه يقف على الشكل والنظام إلا أنه لا يخلو من الوظيفة، وأن مستويات اللغة مجتمعة من صوت وصرف ونحو ودلالة تحقق وظيفة نحوية مرتبطة أساسا بها، ولا مناص أنه بذلك "قد زواج وجانس بين الاتجاه الشكلي القائم على المنهج البنوي، وفي الوقت نفسه قد استخدم التحليل الوظيفي وهما منهجان مختلفان، إذا ما رجعنا إلى الاتجاهات اللسانية الغربية لوجدناهما أولا فيما يخص التحليل الشكلي عند التوزيعيين تحديدا عند بلومفيلد، ثانيا بالنسبة للتحليل الوظيفي نجده عند النظرية السياقية لفيرث واللدان ينتميان للاتجاه البنوي"¹.

وعلى هذا المنوال، اهتم كمال بشر باللغة حينما تأثر بها أيما تأثر من خلال منجزاته اللسانية التي تبلورت في عدة دراسات تجريبية، تمثلت في كتابه "دراسات في علم اللغة" الصادر عام 1969م- الذي سعى من خلاله للتأصيل للنظرية اللسانية الحديثة من التراث اللغوي العربي²، مؤكدا على أن ما جاء به كل من ابن جني (ت 392هـ) والسكاكي (ت 626هـ) من مفاهيم تتطابق مع النظرية السياقية لصاحبها فيرث من خلال اتباعه دراسة وصفية وإجراءات التحليل لأعمالهما³، مستنتجا بذلك إدراكهما النسق وما يحكمه من علاقات داخلية وخارجية بين ذلك المركب المتجانس والمتراص من الأنظمة اللغوية القائمة على مستويات مختلفة ومترابطة ضمن نسق داخلي أولي وثنائي، من أصغر مستوى إلى أكبره الصوتي، والصرفي، والنحوي، والدلالي...، وبالرغم من هذا الطرح العلمي إلا أنه أعيب عليهما ووجه لهما نقدا مفاده لهما لم يوفقا إلى حد بعيد في إجراء التطبيق لهذا المفهوم⁴.

¹ - علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص 261/232.

² - ينظر: كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 1998م، ص 25.

³ - نفسه، ص 9، ص 79.

⁴ - ينظر: اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ص 218.

أما بالعودة إلى تجربة عبد الرحمن أيوب اللسانية في كتابه دراسات نقدية في النحو العربي 1957م- يجد القارئ العربي من خلال عنوانه أن هذه الدراسة نقدية للنحو العربي، في باطنها تصريح لنقص ما في الدرس النحوي العربي، وبالتالي استوجبت الحاجة للوقوف في وجه تلك الدراسات التراثية وتوجيه النقد لها، هذا من جهة ومن جهة أخرى يجد عبد الرحمن إقراره الفصيح حول النحو العربي الذي عدّه نحواً تقليدياً وكان مبرر إقراره اطلاعاً على النحو الحديث في الدراسات اللسانية الغربية، سيما في اتجاهها الوصفي مدعماً نقده أن النحو العربي القديم يشوبه النقص من حيث العلمية والموضوعية، وهذا ما تركز عليه الأبحاث اللسانية العربية بمجمل مناهجها خاصة الوصفية منها التي تقوم على الدراسة العلمية الدقيقة والواضحة¹.

ليس من الصعب إذا ما تمعّن القارئ العربي آراء عبد الرحمن أن يحدد اتجاهه خاصة في ظلّ منجزاته أو تصريحاته أو أقواله، لأنه يدعو بصراحة واضحة إلى إعادة قراءة التراث النحوي وفق مبادئ المنهج الوصفي كونه الأنسب والأفنع لاشتماله على الآليات والاستراتيجيات العلمية والموضوعية.

مما لا شكّ فيه، فإنّ هذه الأبحاث ذات المنهج الوصفي لها مصوغاتها وأسسها ودعائمها على اختلاف الرؤى والتصورات من مدارس ومناهج واتجاهات مختلفة، وإذا ما عدنا إلى المدارس اللسانية الغربية لوجدناها على اتجاهات متعدّدة لمنهج واحد تارة، ومناهج مختلفة في أحياناً أخرى، من أوروبية وأمريكية بداية من جنيف التي تحمل مبادئ سوسير إلى الوظيفية، ثمّ الغلوسيماتيكية، إلى السياقية، إلى النفسية والاجتماعية والأنثروبولوجية، إلى التوزيعية، والتوليدية، وغيرها من المدارس...، وقد ركّز عبد الرحمن على المدرسة التوزيعية؛ إذ يقول في هذا المقام: نحيل القارئ إلى كتاب هامّ للأستاذ زليغ هاريس².

¹ يُنظر: عبد الرحمن أيوب: دراسات نقدية في النحو العربي، مؤسسة الصباح، الكويت، د. ت، د. ط، المقدمة.

² - نفسه، نفسه، ص3.

وسعى من خلال التأثير بها لإعادة بناء أبواب النحو بحسب ما ترمي إليه مبادئ وأسس المدرسة التوزيعية، خاصة في تعاملها مع العناصر اللغوية وتركيبها داخل السلسلة الكلامية¹. وبالنظر الى منجزه، قدّم عبد الرحمن أيوب عدة انتقادات موجهة للنحو العربي القديم أقر فيها بعدم أصالة درس النحو العربي، والسبب في ذلك اعتمادهم النحو الإغريقي في كثير من جوانبه منذ النشأة، ودليل طرحه هذا مثلاً ما يجده الباحث العربي في قضية التقسيم الثلاثي للكلمة كدليل ثابت في حقّه لاعتماده المنطق الأرسطي، وأيضاً قضية الإعراب والبناء وتقسيم الجملة كلها مستمدة من المنطق الأرسطي الذي سبقه².

ولكن بالرغم من انتقاده اللاّذع النحو العربي، إلّا أنّ كتابته لا تعدو إلّا أنّ تكون كتابات تجريبية محدودة في سياقها النقدي، إذ لم يقدم بديلاً فعلياً لتلك القضايا اللغوية لظواهر اللغة التي رفضها وأراد العزوف عنها دون جدوى، فعلى الرغم من ذلك الرفض إلّا أنّه لم يشذّ عنها ولم يخرج عن حدود ذلك التقسيم التقليدي على حد قوله، ولا عن المفاهيم ذاتها في نشر أفكاره اللسانية الحديثة.

وفي حقيقة الأمر، باءت تجربته بالفشل، وذلك لعدم مراعاته جزئية هامة وهي السياق المخصوص الذي نشأت وارتبطت به الدراسات النحوية التراثية العربية، مرتبط بالقرآن الكريم ناهيك عن الخط المنهجي الذي قام به من خلال اعتماده النظرة الجزئية للنصوص التراثية مع أنّه ادّعى تبني المنهج الوصفي الذي يركز على العلمية والدقة والوضوح وعلى الدراسة الشمولية.

يتعين ممّا سبق أنّ هذه الكتابات اتّسمت بالتجريبية على حد قول العديد من الباحثين الذين انتقدوا هذه الكتابات اللسانية، ومردّهم في ذلك أنّهم لم يجدوا بديلاً فعلياً مطابقاً لما أنت به الأبحاث اللسانية الغربية الحديثة من مناهج وآليات واستراتيجيات ومبادئ علمية وموضوعية

¹ - دراسات نقدية في النحو العربي، ص2، وص11.

² يُنظر: مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2013م، ص198.

وما قدموه من قراءاتهم للتراث اللغوي¹، حيث استخدموا في دراستهم الكمية وكيفية المقروء ومنطلقاته دون مراعاة النوعية، إذ لا يزال تطورها محدودا²؛ أي أنّ الدراسات العربية مفيدة في طرحها للعلم والكم، ولكن من حيث النوع فهي بعيدة لبعدها عن الدقة والوضوح والعلمية. دون مراعاتهم فعلا المناهج اللسانية بشكل عام، والوصفي وإجراءاته بشكل خاص، وفي هذا السياق نجد من بين الباحثين عبد القادر الفاسي الفهري ينتقدونهم مؤكّدا إغفالهم الكثير من المناحي العلمية والبعد التفسيري لقضايا اللغة³.

في حين نجد البعض الآخر أمثال عز الدين مجدوب، بالرغم من نقده هذه الكتابات وتسميتها بالتجريبية كما ذكرنا سابقا، إلا أنّ نقده كان في حقيقة الأمر وسطيا ومعتدلا لأنه أنصف هذه الكتابات التمهيدية وما انجر عنه من محاولات تطبيقية على اللغة وما يناسبها، ممّا أكّد على عملية التأثير والتأثر أنها تقوم على جزئية من جزئيات الثقافة المتأثرة دون المساس بكل خصوصياتها، ومن الطبيعي أن يكون للتأثر بالدراسات الغربية اللسانية تأثير غير كلي وتام بين ما تملّيه الثقافة العربية والغربية على حد سواء⁴.

وقد شكلت هذه الدراسات منعطفا حاسما في تكوين الفكر العربي وإعادة النظر في أوضاع هذا الفكر لمواكبة التطور الحاصل في الغرب، وقد وضع هذا التغيير العرب أمام صنفين⁵:

1-1 الصنف الأول: رافض للسانيات رفضا تاما: وهم المتعصّبون للتراث والتمسكون به

ويُكنّى:

¹ يُنظر: خصائص الخطاب اللساني-أعمال ميشال زكريا نموذجا، ص48/47.

² نفسه، ص44.

³ يُنظر: عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، دار توفيق، المغرب، ط1، 1985م، ص58/1 و ص59.

⁴ يُنظر: المنوال النحوي، قراءة لسانية جديدة، ص358. وينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، موفم للنشر، الجزائر، 2007م، ص381/1.

⁵ يُنظر: مسعود شريط، ترجمة المصطلح اللساني الى اللغة العربية، ازمة تمثّل المفاهيم أم موضوعة الاختلاف، مجلة إشكالات في اللغة والادب، الجزائر، جامعة تمنراست، ع 12، ماي 2017م، ص104.

بالسلفي: يحاول أن يعيد ويقاد إنتاج الموروث الحضاري العربي الإسلامي بصيغته القديمة أو المعدلة.

2-1 الصنف الثاني: فقد تبنى اللسانيات جملة وتفصيلا: هؤلاء أحدثوا قطيعة معرفية مع التراث، وهذا الأخير أثر على الكتابات العربية بشكل سلبي نوعا ما من حيث أنها شكلت عائقا وقف أمام تطور الدرس اللغوي العربي ونوعية منتوجه، مما جعل مسألة التلقي مستعصية نوعا ما: "أن ما قدموا هذا الوافد الجديد للعرب المحدثين لم يقدموه في صورته الحقيقية من ناحية هدفه، قدموه كعلم جديد وهو ليس علما جديدا، إنما هو مناهج جديدة، وفي حالات أخرى قدموا النتائج ولم يقدموا المقدمات، وكانت صورة التقديم هذه سببا في إعراض الموروث القديم عن هضم الموروث الجديد وكانت صورة التقديم تزداد سوءا كلما تعددت العناوين واختلفت"¹، ويسمى: **الحذافي** الذي يحاول فيه الباحث أن يتبنى المسار الحضاري الغربي بكل تفاصيله مع إعلانه القطيعة مع الاتجاه الأول، وبالتالي اتجاه قام بقبول منجزات الدرس اللغوي الغربي الحديث والانبهار به، واتجاه رافض لكل المناهج الغربية الحديثة وما أفرزه البحث اللساني الغربي المعاصر مكتفيا بذاته وهويته العربية متمسكا بترائه².

معتقدا أن "التراث أتى على الأخضر واليابس من حيث الدراسات سواء: الصوتية الصرفية، النحوية، الدلالية، البلاغية وحتى المعجمية، وأنه اكتمل اكتمالا مثاليا في جميع مجالات الدراسات اللغوية، وذلك إيمانا منه أن اللغة العربية لغة خالدة مرتبطة بخالد وهو القرآن الحكيم"³

¹ - لطيفة حليم، الاتجاه البرغماتي، مجلة الفكر العربي، المجلد 17، ع1، نيسان/ إبريل-حزيران/يونيو 1986م - ص243.

² - ينظر: رشيد عبد الرحمن العبيدي: "الألسنية المعاصرة والعربي، مجلة الذخائر، لبنان، ط1، 2000م، ص31.

³ - عبد السلام المسدي، اللسانيات واسسها المعرفية، الدار الوطنية للنشر، تونس، 1997م، ص12.

وفي هذا السياق، يقول عبد السلام المسدي: "فمن هذا الواقع الحضاري المعرفي نشأت لدى العربي رؤية القداسة تجاه لغته النوعية، وتجاه علمنة اللغة ذاتها، كما نشأ سياج من المحظورات ترسخت بموجبه عقدة الاستغناء"¹.

ومن باب الإنصاف العلمي الذي مرتكزه الموضوعية والعلمية، يمكننا القول إنه لا يمكن إنكار أو تقزيم من هذه الحقيقة للبحث اللغوي العربي القديم بكل حمولته المعرفية والفكرية وإرثه اللغوي وذلك لمكانة اللغة العربية، كما وصفها الباحثون بأنها "لغة ذات عبقرية"² وهي: "سيدة لغات العالم القديم"³، فهل من المعقول أن يفرط العرب في هذا الإرث العظيم الذي صمد لمدة 17 قرناً دليل وبصمة حضارتها وعلامة وجوده، والرهان الوحيد الذي يراهن من أجله العربي للحفاظ على هويته وبقائه بعد أن خسر الكثير من المعارك⁴، ولعل هذا التمسك الشديد من الإشكالات التي أعاققت عملية تلقي اللسانيات بصفة عامة، إذ لا يمكن من جهة أخرى بالمقابل أيضاً إقصاء ما توصل إليه البحث اللساني الغربي معرفياً ومنهجياً القائم على التلازم الحواري الجدلي الذي يتقاطع مع مفهوم الحداثة بكل مستلزماتها، الأمر الذي يستدعي تقليص تلك الهوة المعرفية بين الدرس العربي القديم في تناوله الظاهرة اللغوية، وما آلت إليه الدراسات اللسانية الغربية معرفياً وإجرائياً، ولكن هذه المسألة لا تنقص من شأن علمية التراث اللغوي العربي والرأي الزاعم بأنها "دراسات إنسانية لا علمية"⁵، وهو "رأي تنقصه الدقة، بل إجحاف بحق العلماء العرب اللغويين القدامى فعملهم: علمي دقيق، يقوم على الملاحظة والتجريب

¹ - اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، ص 73.

² - إبراهيم السامرائي، اللغة والحضارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 1977م، ص 149.

³ - اللغة والحضارة، ص 149.

⁴ في نظر: شكري فيصل، قضايا اللغة العربية، بحث في الإطار العام للموضوع، مجلة اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، ع 26، 1987م، ص 18.

⁵ - مازن الوعر، دراسات لسانية تطبيقية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط 1، 1989م، ص 36.

والاستقراء... وهذا ما نستشفّه من جملة ما توصلوا إليه من دراسات صوتية وصرفية ونحوية ودلالية... وخصائص اللغة وغيرها من الدراسات¹.

وتجسدت هذه الآراء بأقطابها المختلفة من خلال المصنفات والبحوث والنظريات اللسانية العربية التي تبنت الفكر اللساني الغربي على مختلف توجّهاته تحمل على عاتقها ضرورة تقليص تلك الفجوة المعرفية التي شهدتها الدرس العربي أولاً، ثانياً تذليل تلك الصعوبات التي شابت الدرس العربي على حد قول تمام حسان: "لقد مّنت الدراسات العربية مدة طويلة بسمعة الصعوبة وأحياناً بسمعة التعقيد... ولعلّ نعت الدراسات العربية بهذه النعوت إنّما جاءها لعدم التجديد في مناهجها، فما ورثناه عن آبائنا من خلط في التفكير اللغوي لا يزال كما هو"²، لذا كان من اللازم إعادة النظر من جديد في الدرس العربي والخروج به إلى التيسير والتسهيل والتبسيط للمتلقي والقارئ بصفة عامة.

2 - إشكالية التلقي اللساني في الثقافة العربية المعاصرة:

تجسدت عدة دراسات لسانية جادة ساعية لإمطاة اللثام عن هذا الوافد اللساني الغربي بإعادة قراءة التراث اللغوي، والخروج بنظرية لسانية عربية تراعى فيها جميع خصائص اللغة العربية، أو ما يتمشى مع خصائصها دون لّي عنق اللغة العربية، حيث شهدت بذلك الساحة العربية مشهداً لسانياً متّجّ الاتجاهات والرؤى والتصورات، نقلت بها الدرس العربي بحسب الاتجاهات وما يساير التطور اللساني الغربي من النظام اللغوي الشكلي بمنهجه الوصفي إلى النظام اللغوي الذهني بمنهجه العقلي، مركّزة بذلك على آخر مستجدات المنجز الغربي اللساني وما وصل إليه من أبحاث جادة تبحث في كيفية اشتغال الذهن ودراسته دراسة علمية بواسطة تداخل مجموعة العلوم والتخصصات المختلفة لمعرفة أسرار اللغة وارتباطها بالذهن.

¹ - صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط 14، 2000م، ص 110.

² - تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو، القاهرة، د. ط، 1990م، ص 4.

يبد أن هذا الشأو الذي وصلت إليه الدراسات اللغوية كما ذكرنا آنفا لم يتسن لها إلا بعد مدّ وجزر بين مختلف الآراء في الساحة اللغوية العربية بين الرفض والقبول، وبين التوفيق لهذا المستجد اللغوي الغربي.

ولعل مردّ رفض هذا المنجز بسبب عدم تقبل المساس بالمورث اللغوي العربي عند البعض من الباحثين الذين يمجّدونه، وقد يرون في ذلك أن القدامى ما تركوا للخلف من شيء فعى سبيل المثال لا الحصر؛ "فإن الناظر إلى منزلة النحو يجد لا مناص بأنه أنقى العلوم العربية عروبة"¹، وكفى بسببويه دليلا على قيمة النحو وتعظيمه من طرف العرب، حينما أغلق باب النحو لاشتماله على كل كبيرة وصغيرة منحته شرف القدسية والاحترام، حتّى سمي "بقرآن النحو"²، وإذا ما نظر الباحث إلى الدرس البلاغي عند السكاكي فإنه يدرك بذلك بلوغ ذروة درسه إلى شبه الكمال الذي يزيل عجمة الداهش، وكل هذا ينطبق على كل علم من علوم اللغة دون استثناء.

مقرّين غير ناكرين غياب المصطلح والمنهج، وأن المعرفة اللسانية ومفاهيمها موجودة لا محالة في الدراسات العربية القديمة.

مما يستدعي حقيقة ضرورة الانتباه لهذا الرأي الذي لا يزال ينظر باستخفاف ونظرة أكوستيكية (الدونية) للدراسات اللغوية الغربية، ولا يرى منها جدوى ولا طائل وراءها، بل بالعكس يعدها شكلا من أشكال الإمبريالية التي أتت لتضرب الهوية العربية لأنّها: "تسعى جاهدة إلى تشجيع كل صوت يضرب على وتر الانسلاخ عن اللغة العربية الواحدة، والثقافة العربية الأصلية بشتى الأشكال الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والعلمية (اللسانية)"³، وهو في ذلك

¹ - عبدو الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، د ط، 1979م، ص9.

² - اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي واشكالاته، ص77.

³ - نظر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص379.

ربما يصدره عن جهالة لهذا العلم الحديث، سيما ما حققه من مقولات أساسية أتاحت آليات واستراتيجيات مهمة ساهمت في تحريك عجلة التنمية الفكرية والتقدم الحضاري والرقى العلمي. من خلال ما سبق تتجلى لنا إشكالات التلقي المتعددة من حيث المنهج وصراع الهويات بين الأنا والآخر، والأبعاد النفسية والمادية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ورؤية المتخيل الغربي في ذهنية القارئ العربي له كلها شكلت معيقات التبني والإنتاج لدى الباحث العربي إضافة الى هذه المعيقات إشكالية المصطلح، وهي إشكالية جدّ عامة اعترضت مسار البحث اللساني في البيئة العربية سنتطرق إليها فيما بعد بنوع من التفصيل.

وقد رأى بعض الباحثين اللسانيين العرب المحدثين الآخرين لما لهم من فطنة فكرية ونظرة استشرافية لأهمية ما توصلت إليه الأبحاث اللسانية الغربية الحديثة، ضرورة استيعاب هذه المفاهيم وتقبلها، وذلك من خلال النقل والشرح تارة، والتبني تارة أخرى.

ومن الباحثين الذين سجلت أبحاثهم نقلة نوعية على مستوى الدرس اللساني العربي الحديث، وكانت نقطة هامة في عملية تقليص الفجوة الإستمولوجية ما بين الدرس العربي اللغوي القديم والحديث، والتي شهدتها الفترة الأخيرة من البحث اللساني اللغوي العربي نجد: "تمام حسان" نظرية تضافر القرائن، و"مازن الوعر" النظرية التوليدية الجزئية، "أحمد المتوكل" نظرية النحو الوظيفي، وغيرهم من الباحثين.

ولكن في هذا الإطار، ويتوخينا الموضوعية يمكننا القول إنّ بعضهم قد قام بليّ عنق اللغة العربية محملا إياها ما لاتطبق من آليات وأسس تقوم عليها المناهج اللسانية الغربية، ولعل السبب في ذلك عدم الفهم الجيد لها.

ولهذا الغرض نجد رأيا آخر في مسألة تلقي اللسانيات الغربية، وهو محاولة الموازنة ما بين الموروث اللغوي العربي بجميع مفاهيمه والمستجد اللساني الغربي، وقد عرف هذا الموقف بالتوفيق.

وقد يُعنى بالتوفيق ذلك: "الاتجاه والموقف الذي يتبناه الباحث في رؤيته التصورية نحو موضوع ما، وإذا ما رجعنا إلى دلالة التوافق لغة، من وفق وتعني وائم لاعم بين الشيئين، ووفق الأمر فهمه، واتفق مع فلان: وافقه، والاثنتان تقاربا واتحداوي¹ قال: القوم وفقا؛ أي متوافقين"¹. وبالنسبة لدلالاته الاصطلاحية فهو: "الأخذ من القديم ما يتفق مع متطلبات العصر وإرجاع الجديد لمقاييس القديم، إذا يقصد به ذلك الموقف الشرعي من الناحية النظرية المراد منه أن يستوعب مزايا التراث والمعاصرة"².

من خلال النظر إلى الدلالة اللغوية والاصطلاحية يتعين لنا أن المقصود من الاتجاه التوافقي أنه: ذلك المذهب الذي يوائم بين أمرين مختلفين، سواء في القديم أو الحديث أو التراث والمعاصر، مرتكزا على مجموعة من الأسس الموضوعية والعلمية بعيدا عن أحكام القيمة والذاتية والتعصب للذات وإلغاء الآخر والعكس صحيح، وإنما وجب الموازنة والملاؤمة دون الوقوع في القصور فيما يخص النظرة العلمية.

ولمعرفة هذا الرأي وفهمه أكثر سيما في عملية تلقّي الدرس اللساني الغربي لا يمكننا المرور عليه إلا بعد أن نتحدث عن المتبني الأول لهذا الرأي.

إن محاولة البروفيسور عبد الرحمن الحاج صالح في تأصيله البحث في علوم اللسان، في ردم الهوة بين الدرس العربي القديم والحديث لما شاهده من قطيعة إبستمولوجية جراء الفترة الكولونيالية³، التي عايشها آنذاك، ونظرا لظهور التيارين السابق ذكرهما جاء رأي عبد الرحمن الحاج صالح، إذ يقول في هذا الصدد: ولكنّ الخطر كلّ الخطر أن يظهر مذهب في بلد ما فيستحسنه الإنسان العربي -وله الحق في ذلك - ثم يبقى متمسكا به على الصورة التي ظهر بها ويجهل أنّ هذا المذهب قد يكون تطوّر تطورا عميقا، بل نقض النقض الحاسم أو أقيم

¹ - المحكم: 584/6 (مادة وفق)، والمعجم الوسيط: 1047/1046/2.

² - حسن الحنفي، الى التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط4، 1991م،

ص31

³ يُنظر: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، التوطئة.

مقامه مذهب آخر يتجاوز تناقضاته الباطنية، وهناك أيضا من بقي متعلقا بالثقافة المتحجرة (تركة الخمسة قرون الأخيرة) فأهمل ثقافة العصور الإسلامية الأولى المتألثة¹. ويفهم من خلال رأي حاج الصالح أن ما أفرزته الحضارة العربية القديمة من حمولة معرفية وثقل مفاهيمي بالغ الأهمية، وما أنتجته الحضارة الغربية من مناهج واتجاهات لسانية حديثة أحدثت بها قفزة نوعية في مجال الدرس اللغوي من حيث المنهج والتتظير والتطبيق والإجراء لا يعالج تلقّيه بالفرض والقبول، ولكن بضرورة إعادة القراءة في الموروث والنظر فيما استجد في البحث اللساني الغربي الحديث والموازنة بينهما بعيدا عن الإهمال والتقليد والتحريف...

وبناء على هذا، فإنّ ما التزمه البروفيسور حاج صالح، وذلك حسب قوله: "إن ما التزمنا به منذ أمد بعيد، وما نصبو إليه هو التقريب بين هذه النزعات والتخفيف من وطأة الخلاف، معتمدين في ذلك على ربط التراث العربي الأصيل بأحدث ما ينتجه العلم الحديث... رأينا أن نتعرض أولا إلى ما يقوله الغربيون أنفسهم عن دور اللغة في نشوء المفاهيم والتصورات وتأثيرها في تولّد المعنى مع الالتفات لما يقوله العلماء العرب في هذا الصدد، ثم نتعرض إلى واقع البحث اللغوي في العالم العربي - والتطبيقي بصفة عامة - حتى نتبين لنا جيدا آفاقه ومشاكله..."².

ومما لا شك فيه أن عبد الرحمن حاج صالح يحسب له هذا التوجه، والذي لم يأت من فراغ، ولكن لتقطنه ووعيه بعلم الخليل والتوغل في الدراسات العربية القديمة، إذ خرج بالنظرية الخليلية بعدما استعان بآليات واستراتيجيات الدرس اللساني الغربي الحديث، أضف إلى ذلك مشروعه اللساني "مشروع الذخيرة اللغوية".

وتجدر الإشارة هاهنا إلى أنه، وبالرغم من أهمية هذه النظرية في إعادة تشكيل القواعد اللغوية العربية وحوسبتها إلا أنها وقعت في العديد من الهنات والمزالق، لعل أهمها عدم الخروج

¹ - يُنظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص123.

² - نفسه، ص124

بنظرية لسانية عربية تتوافق وخصائص اللغة العربية بقواعدها ونظامها وكل أسسها أيضا عدم تطبيقها على المنظومات التعليمية والحاسوبية وغيرها من الأنظمة بالشكل التي كانت بالفعل تطمح إليه هذه النظرية ويسعى له هذا المشروع، غير أن جل الدراسات العربية الحديثة لا تزال تسير على خطى حثيثة من أجل تحقيق هذا المسعى.

2-1 واقع المصطلح اللساني العربي واشكالاته:

إن كان ثمة ما يميز المعرفة المعاصرة، فهو كونها معرفة تراهن على المصطلح في المقام الأول، وذلك ضمانا للدقة وتوخيا للنقل السليم للفكرة وإضفاء لطابع العولمة على البحث لذلك فإن التحكم الدقيق في المصطلح والإحاطة بحمولته المعرفية بأيسر السبل إلى تحصيل وتلقي العلوم والمعارف من مصادرها الأولى، في حين يُعدّ الجهل بأصول المصطلح وإحالاته العلمية وقلة الإلمام بخلفيته الإستمولوجية عائقا أمام نقل المعارف وتلقيها.

لذلك، فإنّ من أهمّ الإشكالات التي تواجه الدرس اللساني العربي المعاصر هي إشكالية المصطلح، ما يجعلنا نتساءل عن حدود الإشكال المطروح في هذا الشأن على النحو الآتي: أولا: ما الإشكالات المرافقة لاستعارة المصطلح في الدرس اللساني العربي؟ ثانيا: ما الطرق المعتمدة في نقل المصطلح في الدرس اللساني العربي؟ ثالثا: ما حدود إمكانية صياغة مصطلح عربي يكون بديلا عن المصطلح الغربي، ويحقق الأهداف المرجوة سياق التلقي المعرفي؟

أ. المصطلح عند الباحثين العرب القدماء:

إن ما يميز بناء المصطلح عند العلماء العرب قديما أنه لم ينبني على حدود وأسس ومعايير، إلا أنهم في حقيقة الأمر أشاروا في كتبهم إلى بعض المنهجيات، وقد أشار مصطفى طاهر حيادرة إليها، والتي من الممكن ملاحظتها من طرف علمائنا العرب القدامى¹، وقد أشار أحمد مطلوب في السياق نفسه إلى: "جملة الأسس والمعايير التي اعتمدها الباحثون العرب

¹ يُنظر: حيادرة مصطفى طاهر، من قضايا المصطلح اللغوي العربي، عالم الكتب الحديث، اريد، ط1، 1424هـ، 2003م،

القدامى في اختيارهم المصطلح وتحديدته وبنائه¹، ودليلهما على ذلك أقوال العديد من علمائنا العرب القدامى، ومن بين هذه الأقوال:

أ. 1. قول ابن جني: "وقد يمكن أن تكون أسباب التسمية تخفى علينا لبعدها في الزمان عنا ألا ترى إلى قول سيبويه "أو لعلّ الأول وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر"²، يعني أن يكون الأول الحاضر شاهد الحال، فعرف السبب الذي له ومن أجله وقعت عليه التسمية والبعد عن الحال وبسببه لم تعرف التسمية، ألا ترى إلى قولهم للإنسان إذا رفع صوته: قد رفع عقيرته، فلو ذهبت تشتقّ هذا، بأن تجمع بين معنى الصوت، وبين معنى (ع ق ر) لبعد عنك وتعسفت وأوصله أنه رجل قطعت إحدى رجله، فرفعها ووضعها على الأخرى، ثم صرخ بأرفع صوته فقال الناس: رفع عقيرته، وهذا مما ألزمه أبو بكر أبا إسحاق فقبله منه ولم يردّه"³.

كما نجد ابن جني في موضع آخر يضع أسئلة معيّنة في كتابه ليصل إلى أسباب اختيار المصطلح، ومن ذلك قوله: "فإن قيل: كيف عبروا الاعتقادات والآراء بالقول، ولم يعبروا عنها بالكلام، ولو سؤوا بينهما، أو أقبلوا الاستعمال كان ماذا؟ فالجواب: أنهم إنما فعلوا ذلك من حيث كان القول بالاعتقاد أشبه منه بالكلام؛ ذلك أن الاعتقاد لا يفهم إلاّ بغيره، وهو العبارة عنه، كما أن القول لا يتم معناه إلاّ بغيره..."⁴.

من خلال ما سبق، يمكن القول إنّ علماءنا العرب القدماء لم يكن همهم المصطلح وآليات اختياره والمعايير والأسس التي يبنى عليها، ولكننا نستطيع القول: حتى وإن غاب المنهج المتبع في اختيار المصطلح وبنائه، فإنّ الدراسات العربية القديمة لم تخل من ذلك الثراء المعرفي، إضافة إلى هذا أنها تزخر بكم هائل من المفاهيم التي تطرقت إليها في الأبحاث اللسانية في البيئة العربية الحديثة، كما أنها تميزت بزخم مصطلحي في جميع مجالات الدراسة

¹ - أحمد مطلوب، بحوث لغوية، دار الفكر، عمّان، ط1، 1987م، ص168.

² - ابن جني أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، القاهرة، 1952م، ص66

³ - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ - نفسه، ص20.

اللغوية وإن جاز لنا التعبير، فإن هذه الميزة كانت من الإشكاليات التي واجهت الباحث والقارئ العربي الذي ضاع في زحمة المصطلحات وفوضى المفاهيم.

ب. المصطلح في العصر الحديث:

أحدثت لسانيات فرديناند دي سوسير في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ثورة علمية ونقلة نوعية في الدرس اللغوي، نتجت عنها العديد من الاتجاهات اللسانية والنظريات المختلفة من حيث المنهج والإجراء والتصور والهدف¹.

كل هذه الدراسات تمخضت عنها عدة قضايا مختلفة، كقضية اللفظ والمعنى، وقضية الدلالة والمجاز وغيرها، ولعل أهمها قضية المصطلح وإشكالاته المتعددة، حيث تعد قضية المصطلح من القضايا التي طرحت في الساحة اللسانية وبقوة، مما لفت انتباه العديد من الباحثين لضرورة الاشتغال عليها، وذلك انطلاقاً من إدراكهم بأهميتها في تحريك عجلة بناء صرح العلوم؛ "فالمصطلح جسر عبور للوصول إلى المفاهيم بطريقة يسيرة وبجهد أقل، فهو يوفّر نوعاً من التقارب بين العلماء ويقوّص عناء البحث ومجال الاختلاف بين الباحثين"².

فكل علم ناجح كان جهازه المصطلحي دقيقاً وواضحاً ومحدّداً ومضبوطاً، ورصيدنا المصطلحي في مجال اللسانيات يبدو ضرباً من الأهواء النابعة من الميول والابتكار الشخصي الذي لا يحكمه منهج بعينه ولا يقيدّه ضابط علمي دقيق.

وذلك لما شهده الدرس اللساني، سيما العربي من تعدد في المصطلحات لمفهوم واحد واتحاد المصطلح الواحد لمفاهيم مختلفة، ولعلّ مرد هذه المشكلات غياب المنهج السليم في اختيار المصطلحات أو اتباع منهجية علمية دقيقة أو عدم الاتفاق على المصطلح أو الموافقة على توحيدِهِ أو عيوب الترجمة والنقل أحياناً أو لعدم اتفاق الباحثين على مصطلح واحد لعدم انسجامهم في الرؤية أو التصور أو الثقافة التي ينتمي إليها³.

¹ - يُنظر: خصائص الخطاب اللساني، ص 17.

² - اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 82.

³ - يُنظر: عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984م، ص 11.

كما هو الحال في مصطلح اللسانيات الذي لقي ترجمات عديدة، ومرد ذلك مشكلة الترجمة وثقافة الناقل والمترجم والوسيط، ولا زال الدرس اللغوي العربي يعيش هذه الأزمة المصطلحية والمنهجية والمعرفية إلى يومنا هذا في كل ما يشهده من تطور في الأبحاث اللسانية الغربية وتبنيها من طرف الباحثين العرب ونقلها إلى البيئة اللسانية العربية بتسميات مختلفة ومفاهيم متعددة تجعل القارئ في حيرة من أمره عند التوصل بها لفهمها.

3- تلقي اللسانيات العرفية عند المشاركة والمغاربة (العرب):

يُعد الحديث عن اللسانيات العرفية في البيئة اللغوية العربية حديث العهد لجدة هذا العلم في بيئته الحاضرة له أول مرة، فهو علم مستحدث ومستجد في التفكير اللساني الغربي الحديث وبفعل علاقة التأثير والتأثر والتفاعل المعرفي ما بين العرب والغرب، قام العديد من الباحثين العرب بنقله إلى البلاد العربية عن طريق الترجمة أولاً، ثم الشرح بغرض تيسيره وإيصاله للقارئ العربي وغيره من الطرق، غير أن هذا النقل جاء متأخراً نوعاً ما مقارنة بنشأته وتطوره في بيئته اللغوية الأصلية، لعلّ السبب في ذلك مساهمة العديد من اللسانيين العرب في تكريس تأخر ركب البحث اللساني العربي وتعميق إشكالاته، ويتأتى ذلك من خلال صعوبة تقبل العلوم اللسانية الغربية في البيئة العربية لأسباب مخصوصة، من بينها المغالطات الكثيرة التي طالت الساحة اللسانية العربية¹.

إلى جانب هذا، ذلك الصراع النفسي والثقافي ما بين الباحثين أنفسهم حول قضية الأصالة والمعاصرة، إذ يقول مازن الوعر في هذا الصدد: "إن أساس الصراع بين الأصالة اللغوية والمعاصرة اللسانية ليس صراعاً بين الأعمال اللغوية التراثية التي وضعها العرب القدماء، وبين الأعمال اللسانية المعاصرة التي وضعها علماء اللسانيات المحدثون في الغرب. إنّ الصراع في جوهره يكمن بين الباحثين العرب أنفسهم، (كامتداد للأزمة النفسية الفردية، الذي يعاني منها الإنسان العربي) بين الباحثين اللذين يشدهم التاريخ القديم إلى أقصى مسافات اليمين،

¹ يُنظر: اللسانيات في الثقافة المعاصرة، ص 85.

الفصل الثاني: . السياق المعرفي والتاريخي لتلقي الباحثين الجزائريين للسانيات العرفية

وبين الباحثين الذين يشدهم التاريخ الحديث المعاصر إلى أقصى مسافات اليسار، وبهذا فإن المعادلة الثقافية ستكون عرضة للاهتزاز والتفكك، وستحقق معاناة التوازن بين الأصالة والمعاصرة¹.

إضافة إلى هذا الجهود الفردية دون الاكتراث للنقد والتقييم الموجه لهم، سيما وأن تطور النماذج اللسانية مرهون بسد الثغرات التي يقع فيها الباحث في نمودجه أو في تجديده أو طرحه لتصور جديد يخالف النموذج اللساني السابق في طرحه وتصوره، مثلما هو الحال في النموذج اللساني العرفي مقارنة بالنموذج اللساني الذي سبقه (النظرية التوليدية التحويلية لتشومسكي) من خلال جملة الانتقادات التي قدمها أصحاب النظرية العرفية لتشومسكي².

ولعل اهتمام بعض الباحثين بالدراسات اللسانية الوصفية الشكلية والوظيفية للغة والتطبيق عليها من خلال المنهج المتبنى دون مسايرة وتنسيق لمسارات التطور اللساني الغربي أدى وبشكل مباشر إلى تأخر تلقي النموذج اللساني العرفي في البيئة اللغوية العربية، ولكن وبالرغم من هذا، فإن تطور الدرس اللغوي من مدار الدراسات الوصفية إلى مدار الدراسات العقلية، وذلك من خلال انفتاح الدرس اللساني على جملة العلوم المعرفية الأخرى "فاللسانيات العرفانية علم ذهني جديد"³؛ حيث "يقوم على الدراسة البينية التي تتواشج فيها مجموعة من العلوم الشاملة التي تتقاطع فيها مع علم النفس، وعلم الوظائف، والبيولوجيا، والذكاء الاصطناعي، وعلم الأعصاب، والسبرنيتية، والحوسبة..."⁴، أمر في غاية الأهمية جعل العديد من الباحثين العرب يدعون لإعادة النظر في الظاهرة اللغوية ودراساتها ضمن هذا الحيز المعرفي الذهني، وذلك بالاستعانة بمجموعة الآليات والمناهج واعتمادها على مفاهيم كل هذه العلوم المتداخلة لفهم اللغة وكيفية إنتاجها وتعزيز حضور المقاربة العرفية في مساق الدراسات والبحوث اللسانية

¹ - يُنظر: قضايا أساسية في علم اللسان، ص354/355.

² - يُنظر: اللسانيات في الثقافة المعاصرة، ص86/87.

³ - منانة حمزة الصفاقسي، الدلالة العرفانية الإدراكية وتراجع دور التركيب، مجلة اللسانيات العربية، مركز الملك عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، السعودية، 2015م، ص82.

⁴ - صالح غيلوس، مباحث لسانية عرفية، مطبوعات البدر الساطع، ط1، العلة، الجزائر، 2020م، المقدمة-أ.

العربية بشكل عام والبحوث اللغوية الجزائرية بوجه خاص، فدراسة اللغة لا يجب أن تقف عند حدود المنطوق والملفوظ المنجز، بل يجب أن تبحث فيما يوجد في الذهن من قدرة على التخيل والتي ترتبط بالتجربة المعيشة التي يكونها الإنسان، فما كان من عمليات استبطانية داخل الذهن هي من باب الدلالة اللغوية وما تحقق من لفظ، إنما هو نتاج التفاعل بين المعاني المستوحاة من التجربة الإنسانية، ومنه، " يهتم هذا العلم: بالإدراك الدلالي"¹؛ "أي أن المعنى اللغوي عملية فكرية تتشكل بمقتضاها صورة من الصور الذهنية"².

وفي حقيقة الأمر، فإنّ تضافر العلوم بالنسبة لهذا الاتجاه الذي يأخذ منها ويعطيها ويقاسمها الاهتمامات المعرفية والمنهجية التي يراها مفيدة في ممارسة البحث في الحقل العلمي المرتكزة على التفكير الشمولي والاندماج والتفاعل والتركيب والاتساق والانسجام الذين يمثلون بذلك: "صيغة ونظاما للبحث يدمج معلومات ومعطيات وتقنيات ومقاربات من حقلين أو أكثر لتطوير فهمنا للظواهر التي تتجاوز حقلا معرفيا بعينه"³ ما هي إلاّ دافع رئيس دفع هؤلاء الباحثين العرب إلى البحث فيه بعدما كانوا متأثرين في بحثهم بالاتجاه البنوي الذي يستبعد في تحليله للخطاب كل ما يدور حول النص متمسكا بالوقوف عند حدود النص دون أن يتعداه معتمدا مصطلح "أدبية النص" التي يجب اكتشافها من داخله، وبذلك إعلاء شأن القارئ على دور المؤلف، إذ ينّد بموت المؤلف⁴؛ أفكار لم تجد طريقا لها في الفكر اللغوي العربي بالشكل الكافي، مما جعلها عاجزة عن دراسة اللغة العربية بكل حمولتها المعرفية، وبالرغم من تطور الاتجاهات اللسانية بالنسبة للمنهج البنوي من الطرح الشكلي إلى الطرح الوظيفي، إلا أنه لم يحقق فائدة مرجوة من أدواته البحثية.

¹ - عبد الله جاد الكريم، التكامل المعرفي بين النحو العربي واللسانيات الغربية، دار النابغة للنشر والتوزيع، جامعة جازان، السعودية، ط1، 2020م، ص241.

² - التحليل الدلالي في المقاربة العرفانية، من كتاب دراسات في اللسانيات العرفانية، ص98.

³ - اللسانيات والأدب ودراسات أخرى، ص11/10.

⁴ - يُنظر: عبد السلام عشير، تطور التفكير اللغوي من النحو إلى اللسانيات إلى التواصل، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، ط1، 2010م، ص34/33.

فجاء الاتجاه التوليدي التحويلي بجملة أسسه العلمية الرافضة لكل مبادئ البنوية بقّـيها الشكلي والوظيفي التي حققت نقلة نوعية بإقصائها المناهج السابقة واعتمادها المنهج العقلي في سبر أغوار اللغة من حيث هي نتاج عقلي فطري قائم على جزئية الإنتاجية والابتكارية والابداع وغيره من المبادئ، على غرار الحدس والبنية السطحية والبنية العميقة والكفاءة والأداء والتخمين... مما جعل الباحثين العرب يقبلون على هذا الوافد الجديد دراسة وتفسيراً وتحليلاً وتقبلاً ورفضاً وتأييداً دحضا من خلال الأعمال المذكورة آنفاً.

وفي ظل هذا التراكم العلمي المعرفي، شهدت اللسانيات التوليدية نقداً لاذعاً من طرف تلاميذ تشومسكي بريادة: جاكندوف وجونسون ولايكوف... أدى إلى: "انبثاق منهج جديد برؤى جديدة تجسدت في رؤيتها القاصرة للتوليدية التحويلية التي أهملت المعنى، في حين اتجهت إلى مسار ينبني على كيفية اشتغال اللغة داخل الذهن إدراكياً ومعرفياً، تمثل في اللسانيات العرفية التي تدرس الذكاء عامة والذكاء البشري وأرضيته البيولوجية التي تحمله... وتبحث في تجلياته النفسية واللغوية والأنثروبولوجية"¹.

والمتمعن في هذه المسارات التطورية يجد أن البحث اللساني العرفي العربي لازال في طور التطور، إذ إنه في مراحله الأولى من التلقي، فكل الدراسات تقريباً ناقلة وواصفة وتيسيرية في هذا المجال، إلا أن الدراسات اللسانية العرفية بدأت في الخروج من المرحلة الأولى لتدخل مرحلة محاولة التجريب والتطبيق على اللغة من خلال استخدام العديد من الباحثين على جزئية الاستعارة وتطبيقها على مجال التعليمية، إلا أنه وفي ظل هذه المحاولات لم تخرج الدراسة العرفية العربية عن إطار التلقي والتفسير والنشر للنظام العلمي الوافد، لهذا كان أول اهتمام للدراسات العربية ترجمة المكون المصطلحي لهذا العلم ترجمة حرفية حفاظاً على مبدأ النقل الأمين لدلالة النظام المفاهيمي.

¹ - نظريات لسانية عرفية، ص15.

وبتتبع مشهد تلقي المصطلح اللساني العرفي في البيئة اللسانية العربية، وكيفية تعامل الباحث العربي معه، نجد ما يمكن أن نطلق عليه فوضى المصطلح والمتجسدة في تعدد المصطلحات الموضوعية للمفهوم الواحد بتعدد الباحثين، الأمر الذي ساعد في تفاقم واتساع فجوة الصعوبات واستعصائها وتعمية المتلقي العربي مما دعت الضرورة إلى تنظيمها، ويتحقق هذا الأمر بوضع آليات محددة ومعايير مختلفة، كما حددها محي الدين محسب من أجل الوصول إلى الحلول الممكنة التي من شأنها أن تحد من الصعوبات التي تواجه عملية التلقي خاصة وأنها متعلقة بمجال الترجمة من خلال نقل المصطلح من بيئته التي نشأ فيها إلى البيئة التي ستنبأه بالنقل والترجمة بما يناسب المفهوم الذي يحمله، إذ يرى محي الدين أنها مسألة في غاية التعقيد خاصة أن النقل الأمين سيكون نوعاً ما على درجة من التعقيد مما يؤدي إلى إشكالية المصطلح خاصة في ظل المفاهيم الوافدة من مصادر معرفية اجنبية، أو حين نجد أن النظرية المصطلحية تتطور لتتطرق إلى المصطلحات على أنها بطبيعتها وحدات معلوماتية في بنية المعرفة المتخصصة، أو حين تدرس المفاهيم في علاقتها بالذاكرة الدلالية التي تقوم على أمر معرفتها العامة بالعالم، والتي تبدو - على حد وصف المترجمة (باميلا فابر) - "كشبكة معقدة، وكل عقدة فيها هي مفهوم يتربط مع المفاهيم الأخرى بوساطة قدر هائل من أنماط العلاقات المختلفة داخل بنية شبه إيطارية"¹.

وبذلك لا يتحقق وضع المصطلح المناسب وضبطه إلا من خلال مترجم متخصص ولغة متخصصة خاصة بالمجال بعينه المحدد بالعلاقات المفاهيمية المحاطة بالمصطلح ودلالته، لهذا دائماً ما نجد البحوث العربية في دينامية تطورية من حيث الآليات والأدوات المعرفية من أجل ضبط المصطلح، إلى جانب هذا دائماً نجد النظرية المصطلحية تتوسل بمعايير معرفية متخصصة من أجل وضع مصطلح يراعى فيه حملته المعرفية في مجال مخصص بعينه يتحرى فيه الدقة والوضوح والمناسبة بينه وبين مفهومه².

¹ الإدراكيات، أبعاد إبستمولوجية وجهات تطبيقية، ص 44.

² يَظُنُّ: الإدراكيات، ص 43/44.

ومن شروط الالتزام في وضع المصطلح هو الحال عند اتجاه المصطلحيات الإطارية يجب اعتبار التنظيم المفهومي للمصطلحات من خلال مراعاة الوحدات المصطلحية المتعلقة بالمعرفة/ اللغة/ التواصل، لهذا وجب لوصفهما أن يُنظر إلى المكون الإدراكي (المفهوم) والمكون اللغوي (المصطلح) والمكون الاجتماعي (الإدراكي/ التواصل/ التداولي) للمصطلح¹ ولهذا الغرض كرست الجهود من طرف الباحثين العرب من أجل نقل هذا الوافد الغربي بجهازه المصطلحي والمفاهيمي بعناية، إلا أنها لم تخل من معضلات الترجمة، لذلك شهدت الساحة اللسانية تعددا مصطلحيا وخطا في المفاهيم من خلال اختياراتهم الفردية والمبررة، فإذا ما رجعنا إلى مصطلح la cognition نجده قد أثار جدلا واسعا بين الباحثين العرب كونه مصطلح أجنبي غامض غموض حملته الإبهامية، فمثله مثل المصطلحات الأخرى التي تستقبلها الأذهان العربية أول مرة، فتعددت مصطلحاته لأسباب كان أولها الفروقات المعرفية ووجهات النظر والأبعاد الثقافية والاجتماعية والنفسية، مما أحدث أثرا واضحا على إنتاجاتهم المصطلحية في هذا الشأن.

وقد قدم العديد من الباحثين العرب ترجمات متعددة لهذا المصطلح مدججين اختياراتهم بمجموعة من الأسباب الخاصة، جعلت من الباحثين مفاضلة مصطلح عن آخر لمناسبته وموافقته لما يحمله مصطلح La Cognition من مفهوم، وفي حقيقة الأمر فإنّ المنتبج لهذه الاختيارات ليجد أنها أمر في غاية الصعوبة والتعقيد لما شهدته من مساجلات وأبحاث حول المفهوم، الذي يحمله مقارنة بمقابله العربي نتيجة التقارب الشديد بين معانيه ومعاني المفاهيم الأخرى الحاملة لنفس الذاكرة الدلالية، التي تحكمهم نفس العلاقات المفاهيمية.

لعلّ أهم إشكالات التلقي العرفي العربي لكثير من المنجزات الغربية هو تذبذب المصطلح العرفي وعدم استقراره، ذلك لأنّما يصب إلينا من الغرب ناجز في بيئة ثقافية تختلف عن بيئتنا، ويحتكم إلى روافد ومصادر علمية، لا تمتّ بصلة إلى مصادرها التراثية، لذلك فإن

¹ - نفسه، ص46.

الجهاز المصطلحي الذي تحتكم إليه المعارف الغربية كثيرا ما يصطدم مع ما يقابلها من مقابلات في اللغة العربية، ومن هنا يمكن تفسير مدى عدم استقرار المصطلح اللساني بصفة عامة، والعرفني بصفة خاصة في تلقي ونقل المنجز الغربي إلى الساحة الثقافية العربية وسواء تعلق الأمر بحقل اللسانيات أو غيرها من الحقول المعرفية الأخرى، فإن هذا الأمر غير مستغرب طالما العقل العربي لم تتح له الفرصة إلى حد هذه اللحظة، سيما في العصر الحديث في إنشاء قول على قول ومقارعة الحجة بالحجة، ولهذا الأمر أسبابه، قد لا يتسع هذا المقام في هذا الوضع للوقوف على طبيعة الموانع، ودراسة أسباب التأخر، والعجز الذريع الذي لحق العقل العربي عن المساهمة في بناء المعرفة الإنسانية الحديثة.

في ظل هذا المناخ، يتعين الخلل المصطلحي في ترجمة "Linguistique Cognitive" إلى اللغة العربية، فتراوح النقل بين "اللسانيات العرفانية" و"اللسانيات العرفية" و"اللسانيات الإدراكية" واللسانيات المعرفية، واللسانيات العصبية، وانتشر هذا الاختلاف بمشارك الوطن العربي ومغاره، ولا شك في أن هذا التعدد والاختلاف في صياغة مقابلات للسانيات التي تراهن على ارتباط اللغة بالذهن في بيئة منشئها الغربي يؤكد طبيعة الهوة بين تطور البحث اللساني لدى الغرب وتلقي نتائجه في بيئتنا العربية، كما ذكرنا آنفا.

وفي السياق ذاته، فإن الباحثين واللسانيات في الجزائر لا يشذون عن هذا الوضع، وإذا ما تأملنا البحوث المنجزة في حقل الدراسات اللسانيات العرفية، فإننا نجد المقابل لمصطلح Cognitive والعرفني "تارة" و"العرفاني" تارة أخرى، في مقابل المعرفي تارة، و"الإدراكي" تارة أخرى بالنسبة للباحثين في المشرق العربي، ويبدو أن الباحثين اللسانيين الجزائريين ساروا حذو النعل بالنعل على آثار الباحثين اللسانيات التونسيين في اختيارهم لمقابل العرفني والعرفاني¹. إذ بدت بذلك عملية تلقّي المصطلح ووضع مقابل عربي له، ظاهرة هامة واضحة للعيان دعت للضرورة للوقوف على أهم المحاولات التي تبنت المصطلح ومقابلاته العربية القائمة

¹ - عبد الاله سليم: بنيات المشابهة في اللغة العربية: مقارنة معرفية، دار توبقال، المغرب، الدار البيضاء، 2001م، ص.7.

على عملية الترجمة التي غلبت عليها سمة الفردية في التعامل مع هذا الوافد الغربي ونقله إلى الساحة اللسانية العربية بكل ما يحمله من مفاهيم ومصطلحات، وإذا كان ثمة ما يميز تلك الجهود فهو ذلك التباين الثقافي، والأساس المعرفي الذي يستند إليه الباحثون في انتقائهم المصطلحات للمفاهيم الوافدة وإعادة تحيينها في الدرس العربي دون الانتباه لمجموعة الشروط والمعايير اللازمة الموضحة والمحددة في علم المصطلح - المصطلحية - هذا ما أدى إلى تلك الفجوة المصطلحية والخلط المفاهيمي لمصطلح ومفهوم La Cognition؛ إذ شهد عدة استعمالات سنذكر بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر:

3-1 جهود الباحثين العرب المحدثين في نقل المصطلح la cognition:

❖ تجربة الباحث المغربي عبد الإله سليم:

ترجم عبد الإله سليم من خلال مؤلفيه بنيات المشابهة في اللغة العربية: مقارنة معرفية المصطلح الأجنبي cognitive من خلال وروده في cognitive psychology بالمعرفي - أي علم النفس المعرفي - واصفا المعرفي أنه: "علم يبحث في كيفية امتلاك الذهن المعرفة، وكيفية تطويرها، ويبحث في علاقة المحيط بالاكتساب، وفي كيفية احتفاظ الذاكرة بالمعلومة واستعمالها عند الحاجة، إلى غير ذلك من المباحث الذهنية"¹.

وفي كتابه الآخر استخدم مصطلح المعرفي مقابلا عربيا لمصطلح cognitive habits (العادات المعرفية)، والاستعارة المعرفية مقابلا لcognitive métaphore"².

ومن الذين برعوا في هذا المجال أيضا، ونقلوا هذا العلم وتبنوه بتعدد جهازه المصطلحي ومقابلاته العربية، نذكر منها تجربة:

❖ الباحث المغربي محمد الملاح في مؤلفه:

¹ - بنيات المشابهة في اللغة العربية: مقارنة معرفية، ص7.

² - إيلينا سيمينو: الاستعارة في الخطاب، تر: عماد عبد اللطيف الله، خالد توفيق، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2000، ص487/485.

دراسات نقدية في اللسانيات المعرفية والتحليل النقدي للخطاب-دراسة مترجمة- إذ استخدم المصطلح المعرفية مقابلا للمصطلح (Cognitive Linguistics) اللسانيات المعرفية) التي في نظره تركز على اللغة باعتبارها أداة لتنظيم ومعالجة ونقل الخبر¹.

❖ الباحث الجزائري عمر بن دحمان:

أثار اختيار عمر بن دحمان المقابل العربي لمصطلح La Cognition اهتمام محي الدين محسب حينما ذكر مقالته واصفا إياها بالعلمية الرصينة (المعرفة/ الإدراك/ العرفنة: بحث في المصطلح) وبأنه تناول فيها مشكلات مقترح الزناد، وأنه فضل صيغة (المعرفة) مقابلا لـ: La Cognition، ثم تساءل عما إذا كان د. عمر بن دحمان يقبل مثلا ترجمة الجملة الإنجليزية الآتية الواردة في دائرة معارف ستانفورد:

"(We Aim At Studying Whether Epistemic Externalism Entails Cognitive Externalism And Vice Versa)

ب نهدف إلى دراسة ما إذا كانت الخرجانية المعرفية تستلزم الخرجانية المعرفية والعكس! أو يقبل الجملة: (Cognition Is The Act Of Recognizing Or Of Having Knowledge) ب: (المعرفة هي فعل التعرف على المعرفة، أو فعل الحصول عليها!)².

بالرجوع إلى مؤلف الاستعارة التصويرية والخطاب الأدبي لعمر بن دحمان، نجده قد استخدم مصطلح المعرفة مقابلا عربيا للمصطلح الأجنبي La Cognition، واعتماده مصطلح المعرفة على غرار مصطلح الإدراك، كون هذا الأخير يدخل في مجال الإدراك الحسي³. وقد قدم عمر تفرقة بين المصطلحات المتشابهة من حيث المعنى وادرجها كآلاتي:

- الإدراك الحسي مقابل للمصطلح الأجنبي Perception.

¹- يُنظر: محمد الملاح، دراسات نقدية في اللسانيات المعرفية والتحليل النقدي للخطاب-دراسة مترجمة-، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، اريد، 2020م، ص3.

²- الإدراكيات أبعاد إبستمولوجية وجهات تطبيقية، ص51.

³- يُنظر: حيدر فاضل عباس، حسن عبد الغني الأسدي، التطور اللساني وشكالية تحديد المصطلح، المعرفة أنموذجا، مجلة تسليم، السنة الثانية، المجلد الرابع، العددان السابع والثامن، ص546.

- والإدراك الذهني ترجمة للمصطلح الآخر Conception.

- والمصطلح معارف ترجمة للمصطلح: Knowledge.

أوضح عمر بن دحمان الفرق القائم بين المصطلحين محل الاشكال الذي طرحه محي الدين محاسب، حيث اعتبر المعارف جزءا لا يتجزأ من المعرفة، إذ المعارف مضمّنة في المعرفة، وكما يرى أن المعارف Knowledge دال على النتيجة التي يحصل عليها الفرد نتيجة العمليات الذهنية في مفهوم المعرفة La Cognition.

ومن المبررات التي استند إليها عمر بن دحمان في مفاضلته هذا المصطلح - المعرفة - عن مصطلح آخر اطرّاد استعماله في الدراسات العرفانية العربية على غيره من المصطلحات وقد تخلّى عمر بن دحمان عن استعمال مصطلح العرفان، وذهب إلى ما ذهب إليه الباحث الأزهر الزناد في تبريره عن ضرورة التخلي عن هذا المصطلح تجنباً للّبس والغموض بين المفاهيم سنحّ عليها لاحقاً من خلال محاولته في ترجمة هذا المصطلح الأجنبي، ومما تجدر الإشارة إليه أن عمر لم يرفض مصطلح العرفنة وقابله بالتقبل والاستحسان إلا أنه لم يستعمله واستعمل مصطلح المعرفة لارتباطها برأيه بالجانب الفلسفي والجانب النفسي¹.

❖ محاولة إدريس مقبول:

استخدم مصطلح المعرفة وألغى مصطلح عرفان، إذ انتقده منكر ما عهدت الدراسات العرفانية التونسية على اعتماده لمقابل مصطلح Cognition من: عرفان²، معتبرا إياه مصطلحا دالاً على الصوفية والإشراق وهو يرفض مثل هذه الترجمة ولا يقبلها³، "في حين أن حجته تُعد نوعاً ما غير مدجّجة لإطلاقه حكماً عاماً، في حين أن الأزهر الزناد كباحث تونسي يقصي

¹ يُنظر: عمر بن دحمان، المعرفة الادراك العرفنة، بحث في المصطلح، مجلة الخطاب، ع 14، 2013م، ص 16/15.

² يُنظر: التطور اللساني وشكالية تحديد المصطلح، المعرفة أنموذجاً، ص 546.

³ يُنظر: إدريس مقبول، الأسس الإستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبيويه، عالم الكتب الحديث، جدار للكتاب العالمي، الأردن ط1، 2006م، ص 272.

لفظ عرفان للسبب ذاته"¹، وبالتالي هذا الأمر يتنافى مع حكمه العام، وما يلاحظ عليه عدم الثبات في الرأي، وذلك حينما استخدم المصطلح العرفان ترجمة: La Cognition، من خلال إدراجه ثبت المصطلحات في كتابه: "الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبيويه"².

وقد شهدت الساحة اللسانية البحثية العربية ازدياداً واسعاً في ترجمة المصطلح la Cognition، إذ نجد ترجمات متعددة بخلاف مصطلح المعرفة، كالمقابلات العربية المختلفة من: (لسانيات عرفانية) و(لسانيات إدراكية) و(لسانيات عرفانية)، ومن المحاولات التي استخدمت مصطلح العرفانية ولم تلغ مصطلح المعرفة:

❖ الأكاديمي التونسي عبد الرزاق بن نور:

يعود مصطلح العرفان أولاً إلى الترجمة ذاتها عام 1904م للصيغة الفرنسية /cognitif/ ive في أول قاموس عربي فرنسي شامل؛ وضعه القاضي المصري "محمد النجاري"³. وقد ظل هذا المقابل (العرفان) مستقراً لترجمة مصطلح Gnosis، والمفهوم من Gnosis ومقابله (عرفان) مرتبط بالمعنى الروحي المتحرر من قيود الطبيعة المادية والحسية والجسدية والتسامي بالروح ودخول عالم الاشرار، وكلها لها علاقة بالعقيدة، سواء الإسلامية والمسيحية واليهودية، وكذلك بدلالاته في بعض الخطابات الفلسفية على المعرفة الفطرية غير المكتسبة، أو بدلالاته السيكلوجية المحددة المرتبطة باللاوعي عند "كارل يونج"، "ومن ثمّ فهذا المصطلح بكل هذه الدلالات الوثيقة الارتباط بثنائية طباقية Antithetical Dualism بين الجسد والروح أبعد ما يكون عن إبستمولوجيا العلم الإدراكي"⁴.

¹ - عبد الرحمن طعمة، ثروت مرسي، في الثقافة والعرفان والتداول - مقاربات بينية (ترجمة وقراءة وتعليق)، كنوز المعرفة، عمان، الأردن ط1، 2022م، ص9.

² - التطور اللساني وشكالية تحديد المصطلح، المعرفة أنموذجاً، ص546.

³ - محمد النجاري بك، قاموس فرنساوي وعربي cognitive، المجلد الثاني، مطبعة مزراحي، الإسكندرية، 1904م، ص663.

⁴ - الإدراكيّات أبعاد إبستمولوجية وجهات تطبيقية، ص49.

ومن الأعمال التي قدّمها بنور في مجال العرفانية ترجمته لمؤلف راي جاكندوف المكنى: "علم الدلالة والعرفانية، إذ استخدم مصطلح العرفانية مقابلاً للمصطلح الأجنبي Cognition، مستبعداً مصطلح الإدراك وقابله بالمصطلح الأجنبي Perception لارتباطه بمفهوم خاص في مجال مخصوص وهو الجانب الحسي، وقد برر هذا الرفض في ما إذا كان هذا الباحث يقبل ترجمة Cognition بالإدراك فإنه سيقع في الخلط لا محالة إذا ما نظر في ترجمة هذه الجملة: Cognition Perception فعوض الخلط بين المعرفة العرفانية أو العرفانية المعرفية، فضل الإبقاء على الترجمات السابقة، وفي حقيقة الأمر فإن السبب في اختياره الترجمة لم يكن إلاّ اتباعاً سنن الدراسات اللسانية العرفانية التونسية على حد قوله: "اتبعنا التقاليد التونسية في ترجمة Cognition بـ: "المعرفة" و "العرفان" أو "العرفانية"؛ حيث يترجمها سائر العالم العربي تقريباً 'بالإدراك'، ولكن، وقد عرفت عنا هذه الترجمة، وقُبلت؛ فإننا لا نرى ما يمنع مواصلة ترجمتنا بهذه الطريقة، خاصة إذا لم تكن ثمة حجة ترجح كفة أحدهما..."¹.

وقد عقّب محي الدين محسب على هذا القول بقوله: "ولا أدري كيف يتفق القول إن سائر العالم العربي تقريباً يترجمها (الإدراك)، والقول: وقد عرفت عنا هذه الترجمة [بالمعرفة أو العرفان والعرفانية] وقُبلت؟! ثم هل ترجمتها بهذه الصيغ هي بنت التقاليد التونسية، أم أن ترجمتها (بالعرفان) قائمة منذ مطلع القرن العشرين في قاموس النجاري- كما ذكرنا سابقاً- وترجمتها بالمعرفة قائمة وشائعة في الأدبيات النفسية العربية؟! وأخيراً، هل (العرفانية) تسمية للعلم الذي يدرس ظاهرة (العرفان) أم تسمية لظاهرة العرفان نفسها؟!"².

❖ الباحث المصري جلال شمس الدين:

أشار جلال شمس الدين إلى أن الباحثين قد ترجموا مصطلح Cognitive Psychology بعلم النفس المعرفي، ويرى بحسب رأيه، إذ ما سُلّم بهذه الترجمة ستصبح بذلك مقابلاً للمصطلح

¹ - راي جاكندوف، تر: عبد الرزاق بنور، مر: مختار كريم، علم الدلالة والعرفانية، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، تونس، د.ط، 2010م، ص24.

² - الإدراكات أبعاد إبستمولوجية وجهات تطبيقية، ص52.

Knowledge، وهكذا سيقع الباحثون في خلط في المصطلحات خاصة ما بين Cognition و Knowledge، لهذا الأمر اقترح جلال شمس الدين مصطلح العرفان مقابلًا ل: Cognition، وأخذ بترجمة علم النفس العرفاني للمصطلح السابق ذكره، حتى لا يقع الخلط بين المعرفة المترجمة لمصطلحي Knowledge و Cognition، على أن يكون المعنى الاصطلاحي للعرفان: "المعرفة العقلية لا المعرفة عمومها"¹ أيًا كان مصدرها، سواء كان عقليا صرفا، أم عقليا وحسبًا معا، والذي يهيمه هو الجانب العقلي دون الحسي، فبالرجوع إلى معجم كامبريدج فإننا نجد كلمة Cognition تعني في الإنجليزية "أفكارا" Thoughts؛ أي تعني عمليات عقلية واعية. وقصره على المفهوم العمليات العقلية فقط قد اختارته ايفلين ماركوسين حيث تقول: أن هذا المصطلح من المصطلحات الغامضة مثله مثل المصطلحات الأخرى الكثيرة في معظم المجالات، ومعناه الاصطلاحي؛ أي عملية عقلية (ايفلين 219)، بل إن ايفلين تستخدم المصطلحين معا، إحداهما صفة، والآخر موصوفا، إنما غير متساويين فتقول:

"Social and Cognitive Knowledge are Each Strongly Influenced By Language Factors".

أي: "تتأثر المعرفة الاجتماعية والمعرفية بشكل كبير بالعوامل اللغوية"².

وهذا ما يحدث الخلط، ولهذا قد فرّق بين المفاهيم من خلال ما أورده معاني خاصة بكل مصطلح على النحو الآتي:

و Psychology Cognitive: دراسة كيف يؤدي الناس العمليات العقلية.

أما كلمة

Knowledge: Knowledge: understanding of or information about a subject which has been obtained by experience or study.

أي أن المعرفة: الفهم أو الالمام بالمعلومات حيال موضوع ما تم تحصيله من خلال الخبرات أو الدراسة، وبالتالي فإنه يرى بأن:

¹ - جلال شمس الدين، علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياها، المناهج والنظريات، مؤسسة الثقافة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع الإسكندرية، ج1، د. ط، 2012م، ص88.

² - علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياها، المناهج والنظريات، ص89.

الفصل الثاني: . السياق المعرفي والتاريخي لتلقي الباحثين الجزائريين للسانيات العرفية

Cognition: "هو التفكير العقلي فقط أما Knowledge: هو فهم اعتمد على عمليات عقلية وحسية معا طبقا لفلسفة العلم أو على الدراسة وقصر معناه على العمليات العقلية فقط، ويبقى مصطلح الإدراك مقابلا لمصطلح Perception"¹.

❖ الباحث التونسي الأزهر الزناد:

لقد أحدث الأزهر زناد باختياره مصطلح العرفنة مقابلا " cognition: جدلا واسعا في الساحة اللسانية العرفنية العربية، سيما عند الباحثين بين مؤيدين ورافضين له، فهناك من تبنى مصطلح العرفنة والمعرفة والعرفان والعرفنية، في حين تبنى البعض الآخر الإدراك، ولعل اختيار الزناد هذا المصطلح هو استبعاده التام مصطلح العرفان الذي يرى أنه خاصّ بمجال التصوف والتعبد، وبحث من أبحاث الفلسفة الميتافيزيقية ذات التصورات الأرسطية والنفسية القديمة، إذ يحمل معنى الشكر"².

إذ رفض الترجمة لمصطلحي المعرفة والإدراك ل cognition باعتبار أن:

- المعرفة مقابل مصطلح (knowledge/ connaissance)

- ومصطلح الإدراك مقابل لمصطلح perception

ولهذا الشأن اقترح الزناد مصطلح العرفنة لترجمته، وقابل النعت منه العرفني لمصطلح

cognitive.

- وقد قام الأزهر بوضع جدول اشتقاقي لمصطلح cognition ومقابله العربي العرفنة

كالآتي:

الإنجليزية				العربية			
Noun	Verb	Name of subject	Relative	النسبة	اسم الفاعل	الفعل	الاسم

¹ - نفسه، ص89.

² - التطور اللساني وشكالية تحديد المصطلح، المعرفة أنموذجا، ص540.

الفصل الثاني: . السياق المعرفي والتاريخي لتلقي الباحثين الجزائريين للسانيات العرفية

cognition.	-to cognize. -cognize	-cognizer	-cognitive (system/ability faculty) -metacognitive.	-عرفني (ذو ملكية عرفية) -الميتا عرفني	-معرفن.	- عرفن. -يعرفن	عرفنة

❖ تجربة كل من الباحثين ثروت مرسي وعبد الرحمن طعمة وعبد الجبار بن غريبة:

اتَّجه كلّ من "ثروت مرسي" و"محمد طعمة" إلى اختيار مصطلح العرفان من خلال مؤلّفهم: "في الثقافة والعرفان والتداول" - مقاربات بينية (ترجمة وقراءة وتعليق) مبررين اختيارهما تبريرا علميا، الذي قدّمه أستاذهم محمد صلاح الدين الشريف، ولم يعارضوا ما اقترحه الأزهر الزناد من مصطلح العرفنة، والذي تخلص من خلاله من مشكلة الاشتراك اللفظي مع العرفاني بمفهومه الإشرافي الصوفي¹، فيما بقي البعض الآخر من الباحثين الآخرين يستعملون مصطلح (المعرفة، والإدراك) مقابلا للمصطلح الوافد، سيما في المشرق العربي، وهو استعمال ينتج عن الخلط المفاهيمي، وقد أوردنا المقابلات العربية الآتية:

La Cognition (العرفان): "ويعنى بها السيرورات والإجراءات الذهنية المسؤول عنها الدماغ لمعالجة المعلومات، وكيفية اكتساب المعرفة عن طريق الأفكار والخبرات والمدرجات الحسية وهو متضمن داخل خصائص الدماغ بطريقة فطرية طبيعية بواسطة الإدراك باللاوعي، كل هذه المفاهيم تخول له أن يكون موضوعا علميا دقيقا للدراسة، خاصة في ظلّ إمكانية هذه السيرورات، من إنتاج المعلومات ومعارف جديدة بواسطة المعرفة الموجودة مسبقا"².

أما بالرجوع إلى مصطلح: Knowledge (المعرفة): "فهي الفهم أو المهارة أو المعلومات التي تتعلّق بموضوع ما من خلال مجموعة المكتسبات والخبرات والدراسات المكتسبة عن طريق المجالات المتعددة من الخبرة أو التعلم، أو أنّها مزودة في دماغ شخص واحد يمتاز بها، أم أنّها تشمل مجموعة من الأشخاص"³.

¹- يُنظر: عبد الرحمن طعمة، ثروت مرسي، في الثقافة والعرفان والتداول - مقاربات بينية (ترجمة وقراءة وتعليق)، كنوز المعرفة، عمان الأردن، ط1، 2022م، ص11.

²- في الثقافة والعرفان والتداول - مقاربات بينية (ترجمة وقراءة وتعليق)، ص11.

³- نفسه، ص10.

وأما مصطلح Perception (الإدراك): "فيعنى بتلك التجربة الحسية التي تحصل عن طريق التفاعل مع مدركاتنا الحسية المادية-الحواس الخمس-والمثيرات البيئية، وتصبح بذلك مثيرات ترسل وتنتقل إلى الدماغ، والذي يترجمها بدوره لاستجابات من خلال العمليات الذهنية المعقدة، وبهذا المفهوم يرى ثروت مرسي أنه ليس المسؤول عن خلق تجربتنا تجاه العالم فحسب بل له دور حاسم في تفاعلنا مع البيئة والمحافظة على بقائنا"¹.

وقد اقتفى عبد الجبار بن غريبة هذا الاختيار في كتابه "مدخل إلى النحو العرفاني حينما أوكل تقديم كتابه للأستاذ محمد صلاح الدين شريف"².

حيث قال في هذا الصدد: "(العرفان في الأصل اسم الحدث من: (عَفَ، يَعْرِفُ) يدلّ على العلم بالشيء والإقرار بالمعروف، وعدم نكران الجميل، استعمله أهل التصوف لما يكون لهم من معرفة غير آتية عن طريق العقل ولا مثبتة بالاستدلال وبرهان، فكان من آثار هذا الاصطلاح إثراء العربية بالتفريق بين صنفين من المعلومات المختزنة في الذهن)"³.

❖ الباحث التونسي محمد صلاح الدين الشريف في التفرقة بين العرفان والمعرفة:

يرى محمد صلاح الدين أن العرفان مفهوم متعلق بالمعرفة ذات الصلة الوثيقة بالعقل الناتجة عن مجموعة الخبرات والممارسات الفكرية الواعية المترسخة في خصائص الدماغ بطريقة لا يدخل الإدراك والوعي الحسي فيها، فهي شيء ضمني غير مدرك، والعرفان متضمن لاتجاهين؛ الاتجاه الأول مفهومه متعلق بما ذكرناه سابقاً، أما الاتجاه الثاني فهو المتعلق بمجال التصوف وعلاقة العبد بربه، وهو يركز على الاتجاه الأول بمقابل المفهوم الثاني، أما عن المعرفة بحسب رأيه: ميز محمد صلاح الدين الشريف تمييزاً جوهرياً بين مصطلحي المعرفة والعرفان، حين اعتبر العرفان بأنه: "العمليات الذهنية المترسخة بطريقة لا واعية داخل

¹ - نفسه، الصّفحة نفسها.

² يُنظر: مدخل إلى النحو العرفاني-نظرية رونالد لانقار، في معرفة العرفان، مقدمة محمد صلاح الدين الشريف، ص8.

³ - مدخل إلى النحو العرفاني-نظرية رونالد لانقار، في معرفة العرفان، ص7.

الدماغ البشري، إذ تُترجم من خلال عمليات باطنية معقدة بآلية لا تختلف عن العمليات البيولوجية إلا أنّ هذه الأخيرة تتم وفق عمليات غير ذهنية. عبد الجبار بن غريبة¹.

وبالتالي، قد حصر مجال العرفان في كيفية اشتغال الدماغ وفق العمليات الذهنية المعقدة في حين أنّ المعرفة نِتاج الفهم المتضمن لحضارة وتاريخ أو دراسة معينة غير معقلنة، وهنا يكمن الفرق بينهما، من هذا السياق يمكن اعتبار أنّ المعرفة جزء من العرفان، فيمكن لها أن تتطور لتكون عرفانا، ولا يمكن للعرفان إلا أن يكون أشمل من المعرفة².

ولهذا، فرّق بين المصطلحين الأجنبي على هذا الأساس:

(Cognition/Knowledge=Connaissance)، وبهذا التمييز يستقر في العلم أنّ كل

معرفة قائمة على العرفان ولا يقوم العرفان على المعرفة.

ومن مجموعة الباحثين الذين اقترحوا مصطلح العرفان، نذكر:

الباحث التونسي محمد الصالح البوعمراني في مؤلفه "دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني"، والباحث التونسي منجي العمري من خلال مؤلفه "حركية المعنى النحوي- مقارنة عرفانية لمقولة الربط-"، وعند فريق البحث (اللسانيات العرفانية واللغة العربية) في الجامعة التونسية، والباحث صابر حباشة (أسئلة وتداوليات الخطاب: مقاربات عرفانية تداولية وغيرهم من الباحثين...

وفي إطار تبني المصطلح اللساني العرفي لـ cognition فقد شهد ترجمة من بعض

الباحثين الآخرين، وهي: الإدراكيات/الإدراكي على نحو المحاولات الآتية:

❖ محاولة الباحث السعودي حمزة المزيني:

استخدم مصطلح علم النفس الإدراكي، وهي الصيغة ذاتها التي يستخدمها مترجما كتاب

Cognitive Psychology، والتي ترجمها عبد الاله سليم بدوره الى علم النفس المعرفي كما

¹ - نفسه، ص8 (تقديمه).

² - يُنظر: نفسه، الصّفحة نفسها.

وضحنا سابقاً، ويستعمل المزيّني الإدراكي في مؤلفه التحيز اللغوي وقضايا أخرى نعتنا للصيغة Cognitive للدلالة على علماء النفس الإدراكيين¹.

ولكن المتتبع لترجماته يجد توسعا في المصطلح دون ضبطه في مقابل عربي واحد، وهذا ما وجدناه في ترجمة Cognitive: بالمعرفية من خلال ما ورد في ترجمته لمؤلف نعوم تشومسكي " آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن"، ومن المصطلحات التي استخدمها:

Cogniscitive: المعرفية، من خلال حديثه عن مقارنة التأويل الدلالي وعلم النفس العقلاني في القرن التاسع عشر ويعرفها: " القوى المعرفية الفطرية تعين الناس أن يفهموا أو يحكموا على ما يدركونه عن طريق الحس ويتّجه إلى ما اتّجه إليه هوبز ويعرفها: " تعنى أن الأسماء علامات لا على الأشياء بل على أفكارنا وتصوراتنا..."².

وعليه أورد ترجمة المصطلحات كالاتي³:

- Cogitation: التصورات، الإدراك واتباع ترجمته كالاتي:

- Cognitive révolution: الثورة المعرفية.

- Perceptual content: المضمون الإدراكي.

- Veridical perception: الإدراك الحقيقي."

❖ محاولة محي الدين محاسب:

يعدّ محي الدين محاسب من أهمّ الباحثين الذين درسوا المصطلح اللساني العرفي الوافد Cognition، إذ تحدث عنه مظلّوفي مؤلفه الإدراكيات-الأبعاد الإستمولوجية-، من خلال بيان التحول الإستمولوجي في مفهومه ومصوغات اختيار المقابلات العربية لهذا الوافد الغربي، والملاحظ من خلال عنوانه أنّه اختار المقابل العربي الإدراك الذهني كمقابل لـ Cognition،

¹ - يُنظر: الإدراكيات أبعاد إستمولوجية وجهات تطبيقية، ص 47.

² - نعوم تشومسكي، تر: حمزة بن قبالان المزيّني، إ: جابر عصفور، آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن، المشرع القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2005م، ص 391

³ - نفسه، ثبت المصطلحات.

وقد فرّق بينه وبين المصطلح Perception الذي يترجمه إلى الإدراك الحسي¹، ووضع نعته الإدراكي والإدراكية مقابل Cognitive، ويرى أنّ هذا الأخير هو البؤرة التي تمخّضت عنها الاختلافات الترجمية نحو هذا الوافد، سواء من ناحية صيغة المصطلح أو من ناحية معناه المتضمن فيه²، ومرد اختياره هذا المصطلح هو حملته المعرفية التي تدل على العلمية والدقة، في حين انتشر مصطلح العرفان بنظره مجالا ينادى عن العلمية ويزهد في كل ما هو عقلي ذهني باطني، بل هو مجال يتماهى مع مفاهيم التصوف على تعدد المذاهب والعقائد، ناهيك عن ارتباطه بالخطابات الفلسفية مدار اهتمامها المعرفة الفطرية، فهو أبعد كل البعد عما سماه: ابستمولوجيا العلم الإدراكي³، وقد تمثلت دراسته حول أبرز الباحثين الذين نقلوا هذا المصطلح الوافد إلى البيئة اللسانية العربية بطريقة وصفية بإجراء التحليل ونقدهم، ومن أهم ردوده على هذه الاختيارات رده على اختيار الأزهر الزناد⁴:

إذ يرى محسب أنّ الجذر الاشتقاقي الذي استعمله الأزهر، والقول بسماعية الصيغة (عرفن) في العربية غير مسلّم به⁵، وبالتالي عدم وجود الصيغة في التراث، دلالة وزن فعلنة: لم يكن طبعاً ملازماً صاحبه! وهذه الدلالة لا تمتّ بصلة لدلالة مصطلح الزناد (عرفنة)⁶ أما بالنسبة للجذر الاشتقاقي، فربما نراه من المتأثرين بالمدرسة البصرية في اعتبار المصدر جذراً للكلمة، وبالتالي يعتمدون على السماعية، عكس الكوفيين الذين يعتمدون على الفعل كأصل للجذر، سيما وأن ملاحظة محسب فيها نوع من التضارب، سيما وأنه علق عليها في المؤلف

¹ - الإدراكات أبعاد إبستمولوجية وجهات تطبيقية، ص 60.

² - نفسه، ص 46.

³ - الإدراكات أبعاد إبستمولوجية وجهات تطبيقية، ص 49.

⁴ - نفسه، ص 52.

⁵ - نفسه، ص 52.

⁶ - نفسه، ص 53.

نفسه: "ولقد أوردت كلَّ حجاجه هذا-رغم من طوله-لأنني أتصوّر أنه أقوى ما قدم في هذا السياق"¹.

إلى جانب هذا، ما لاحظته محي الدين من غرابة واستهجان مقولة الزناد: "وفي ذلك كانت استعاضتهم بمصطلح Cognition عن... و Perception؛ إذ يرى" إذا كان المقصود من العبارة أنهم تخلّوا عن مفهوم Perception ولم تعد استخداما دلالاته إلا مصطلح Cognition فهذا غير صحيح..."²، وبالنظر إلى هذه الملاحظات من طرف محاسب والرجوع إلى مؤلفه نجده يؤمن أن ترجمة المصطلح يجب أن ينظر فيها إلى الحمولة الإستمولوجية له وتتبع تطورات العلاقات المفاهيمية التي ترتبط به بشكل مباشر، وبالتالي لا ينظر إلى صيغته بقدر ما يُنظر إلى الحقل المعرفي وتطوره الذي ينتمي إليه، ولهذا تمت ترجمة العرفانية انطلاقا من حمولته الإستمولوجية، وليس باقتراح الصيغ المولدة كما أتى عليها الازهر الزناد، وقد اختار مصطلح الإدراك الذهني نظرا للتحويلات التي شهدتها اللسانيات العرفية، والتي يركز من خلالهما على العلاقة القائمة بين اللغة والذهن، فمفهوم الإدراك عنده يضم جميع القوى الداركة سواء تعلق الأمر بالإنسان أم الحيوان، فالإدراك عنده إدراك ذهني بشري غير سوي، وإدراك حيواني، وإدراك ذهني بين الغرباء³، وعلى أساس هذا ترجم المصطلحات الأجنبية إلى المقابلات العربية الآتية⁴:

- Cognitive sciences : الإدراكيات

- Cognitivist : الإدراكي (اسم الفاعل)

- Cognitive linguistics : اللسانيات الإدراكية

- Cognition : الإدراك الذهني

¹ - نفسه، ص50.

² - نفسه ص53.

³ - الإدراكيات أبعاد إستيمولوجية وجهات تطبيقية، ص61.

⁴ - يُنظر: نفسه، ص60.

- Cognitive: الإدراكي الذهني

- Perception: الإدراك الحسي

- Métacognition: ما وراء الإدراك الحسي.

نلاحظ من خلال كل هذا أن الساحة اللسانية العرفية في الوطن العربي شهدت تعددا للمصطلحات المتاخمة، قد أحدث فيها هذا الأخير مشكلات ومعضلات في تلقي الأنموذج العرفي نظرا للخلط المفاهيمي والفوضى المصطلحية أدى بالمتلقي والقارئ العربي إلى عدم الفهم والغموض واللبس، وهذا الأمر لا ينحصر فقط على تلقي اللسانيات العرفية، بل حتى في شتى العلوم اللسانية ما زلنا نعاني هذا الأمر¹.

وعلى هذا الأساس، تكاثفت الجهود من طرف الباحثين العرب المحدثين سعيا للبحث فيها وتحديدها، ثم الحد منها من خلال آليات محكمة من بينها توحيد المصطلحات وتحديد المفاهيم التي تصدر في كل ترجمة أو شرح أو تفسير أو تطبيق للنظريات اللسانية المختلفة يراعى فيها الخصوصية الثقافية والاجتماعية والعقائدية وحتى السياسية منها، وغيرها من الشروط كالموازنة بين اللفظ وما يرمي من دلالة توضح مفهومه، أيضا مراعاة حيثيات اللغة المترجمة والمترجم إليها، وذلك وضعهم في عين الاعتبار خصائص اللغة في كلتا الحالتين نظرا لخصائها المميزة والمختلفة من لغة إلى لغة أخرى، وهذا ما بدأ العلماء العرب المحدثين الانتباه لها، وهذا ما ذكرناه آنفا في المشاريع العربية التي من بينها ما قام به عبد الرحمن حاج صالح وغيره من العلماء العرب².

3-2 تلقي اللسانيات العرفية عن طريق الترجمة:

قام العديد من الباحثين اللسانيين العرب بنقل اللسانيات العرفية إلى البيئة اللغوية العربية، وقد غيروا بذلك مسار الدرس اللغوي من حيث التنظير والتطبيق، إذ اتجه العديد منهم إلى نقل

¹ - يُنظر: محمد رشاد الحمزاوي، العربية والحداثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1986م، ص99.

² - يُنظر: عبد الحليم عيسى، اللغة العربية الواقع والتحديات، مجلة حوليات التراث، مستغانم، الجزائر، ع5، يناير 2006م، ص95.

الفصل الثاني: . السياق المعرفي والتاريخي لتلقي الباحثين الجزائريين للسانيات العرفية

وتفسير وشرح هذا العلم من جهة، والتطبيق والأجراً عليه من جهة أخرى، فكانت المساهمات العربية مختلفة ومتنوعة، ففي بداية تلقّي علم اللسانيات الحديثة كان في بداية الخمسينيات على يد ثلة من الباحثين العرب المحدثين مشاركة ومغاربة على حد سواء، هذا ما جعل تلقي آخر مستجد توصلت إليه الدراسات اللسانية الغربية يأتي متأخراً، فلم يكن إلا في السنوات الأخيرة من القرن العشرين، وقد تمثلت هذه الدراسات من خلال مؤلفات عديدة من طرف المشاركة أمثال: عبد الرحمن طعمة، ثروت مرسي، عطية سليمان أحمد... الخ.

ومغاربة على نحو: الأزهر الزناد، صابر حباشة، صالح البوعمراني، توفيق قريرة، صالح غيلوس، حمو ذهبية، وغيرهم... الذين سارعوا إلى تبني واستثمار الدرس اللساني العرفي بالتظير من جهة والتطبيق من جهة أخرى.

والمتمعن "في الأبحاث اللسانية العرفية في البيئة اللسانية العربية يجد نسبة جادة في هذا المجال على غرار السنوات السابقة التي كانت فيها الدراسات العرفية جد محتشمة ومحددة على مجال تخصصي واحد، حيث ركزت على نظرية واحدة من نظريات اللسانيات العرفية نظراً لأهميتها البالغة في مجال التعليمية التي يُعد بدوره محورا رئيسا تبحث فيه الدراسات اللسانية وتقوم عليه"¹، لأن من مقولاتها الأساسية البحث في مجال عملية النطق وإفراغ التعبير... كل هذه المباحث تدرج ضمن علم الأصوات السمعي والنطقي وعلم الأعصاب وعلم اللغة النفسي وكل هذه العلوم المتخصصة تتداخل وتتضافر من أجل بروز اللسانيات العرفية².

ويمكن إرجاع قلة الدراسات اللسانية العربية العرفية عند الباحثين العرب عموماً إلى تأخر عملية التلقي لعدم استيعاب وتقليص الفجوة المعرفية بالقدر الذي يمكن الباحث من إنشاء نظرية لسانية عربية، إذ باتت الحاجة للخروج من هذه الفجوة وضرورة إعادة بناء نماذج لسانية

¹ - مباحث لسانيات عرفية، مقدمة.

² - يُنظر: ذهبية حمو الحاج، العلوم المعرفية بحث في الشأ والمفاهيم، مجلة أبولوس، المجلد 06، ع2، 2019م، ص5.

الفصل الثاني: . السياق المعرفي والتاريخي لتلقي الباحثين الجزائريين للسانيات العرفية

تتماشى وخصائص اللغة العربية والوعي السليم بالمفاهيم اللسانية الغربية ونقلها نقلا سليما للخروج بنظرية لسانية عربية عرفية¹.

وفي هذا السياق سنقف على بعض من الأعمال اللسانية العرفية لأبرز الباحثين العرب الذين تبّنوا هذا العلم الجديد من خلال ترجمتها وتقديمها ونقلها للقارئ العربي، لأننا في المقابل قد نجد البعض الآخر لم يكن مترجما ولا تيسيريا أو متلمذا ومعلّما، ولكن متبّنيا، وأحيانا نجده مفسّرا، والبعض الآخر نجده أحيانا مطّبقا، وهذا ما سنركز عليه بواسطة أعمالهم وإنجازاتهم في هذا الميدان العملي اللساني الحديث.

قبل أن نرصد أهم معالم الترجمة عند الباحثين العرب الذين أولو أهمية بالغة لهذا المنجز الغربي المستحدث، سنلقي نظرة على مفاهيم الترجمة وواقع تلقيها في الوطن العربي. إذ تعدّ عملية الترجمة عملية إبداعية إنتاجية ابتكارية لنصوص جديدة من خلال النص الأصلي بنقل لغته الى اللغة الثانية، يولّد من خلالها المترجم في كل مرة نصا مستنسا من النص الأول فيعدّ بذلك نصا جديدا له صلة وثيقة بالنص الأول من حيث المعنى والمبنى، وإن تباينت الترجمات إلى اللغة الواحدة أو إلى لغات مختلفة²، وتختلف الترجمة بحسب ثقافة وخبرة والواقع المعيش للمترجم باختلاف نظريته للعالم ومصدر ثقافته ومرجعياته الفكرية، والعقائدية والعلمية، وعلى هذا الأساس فالترجمة تنقسم الى قسمين: ترجمة حرفية وترجمة بتصرف.

ويعوّل المترجم من خلال الترجمة الحرفية على إيجاد مقابلات لا تشدّ عن الكلمات والمعنى المتضمن في النص المراد ترجمته، فرهان النقل هاهنا المحافظة عليه دون المساس بهما حتى وإن اختل الترابط والتسلسل في الجمل في اللغة الثانية المترجم إليها، ولعلّ هذا الأخير يُوْعى له خلل سمة الركاقة التي قد تعتري النص المترجم، إلى جانب هذا قد تختلف ترجمة المترجم نفسه عندما يترجم النص نفسه الذي ترجمه سابقا، وذلك كون المترجم في كل

¹ يـ نظر: نظريات لسانية عرفية، ص31/30.

² يـ نظر: محمد ديداوي، علم الترجمة بين النظرية والتطبيق، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 1992م، ص170.

مرة ينتبه لقضية ما في النص المراد ترجمته، وأيضاً كون الترجمة عملية متغيرة بتغير الزمن والتكرار¹.

وفي هذا السياق يقول جورج موان: "إن رؤى العالم واللغات ليست جامدة وأن الترجمة (الاتصال بين اللغتين) ليست أيضاً وضعا لغوياً جامداً غير زمني، ومثلما توجد علاقات جدلية بين اللغة والعالم، توجد أيضاً علاقات جدلية بين لغة ولغة أخرى، وتتجم عدم إمكانية الترجمة بين لغتين، على الأقل، تاريخ الاتصال بين هاتين اللغتين بمقدار ما تتجم عن ميزة ناتجة عن الخصائص المشتركة بين اللغات"².

فالترجمة إذا: "جسر اتصال بين لغتين تتقاربان بالتقارب الزمني الذي هو في حقيقة الأمر غير جامد بل متغير، فكلما كان الاحتكاك بين اللغتين كلما اشتركا في الخصائص المشتركة وضاعت الهوية الفكرية بينهما"³.

وفي ظل هذه المفاهيم، فقد شهدت الساحة اللسانية العربية إقبالا متزايداً منقطع النظير في نقل المنجز اللساني الغربي بكل معطياته الحديثة وتطوراتها، لأهميته البالغة في نقل الدراسات اللغوية من النظرة الانطباعية الذاتية إلى النظرة العلمية الدقيقة، على اختلاف المشارب الفكرية والعلمية، الأمر الذي دعا إلى تكاثف الجهود لترجمة هذا الوافد الغربي، وأن المنتبِع لمسار جهود الترجمة في الوطن العربي عامة، "يجد كما هائلاً من الأعمال التي تترجم المؤلفات اللسانية الأجنبية إلى اللغة العربية، سواء كانت ترجمة حرفية أم ترجمة متصرفاً فيها والدليل على ذلك ثراء المكتبات اللسانية في هذا المجال، في حين نجد احتشاماً كبيراً على مستوى الترجمة من اللغات العربية إلى اللغات الأجنبية، رغم ثراء العلوم العربية واحتوائها على ذلك الزخم الثقافي والمعرفي، فتراثنا اللغوي العربي له إمكانية لا يستهان بها في نقل حضارتنا

¹ - ينظر: علم الترجمة بين النظرية والتطبيق، ص 63.

² - جورج موان، les problemes theorique du la traduction، تر: ميشال زكريا، علم اللغة الحديث، قراءة تمهيدية، ص 139.

³ - خصائص الخطاب اللساني "أعمال ميشال زكريا نموذجاً"، ص 395.

التراثية الفكرية التي طالما أبهرت العالم الغربي"¹، يقول نايف خرما: "لم يترجم فعلا من اللغات الحديثة من التراث العربي الغني جدا إلا جزء صغير جدا، وأنه لمن واجباتنا الأساسية أن نبدأ بذلك على أساس منظم"²، ويعلق محمد شاهين عن هذا الرأي يقول: "إنّ هذا الرأي صحيح حيث نرى أنّ الحاجة لترجمة جيدة في الوطن العربي لا يتم الاستعداد له على نحو مرضٍ؛ إذ لا تمثل الترجمة المنتجة بشكل منصف أنواع الترجمات التي نحتاج إليها"³.

وبالرجوع إلى مشهد الترجمة للسانيات العرفية إلى البيئة البحثية العربية نسبة لا بأس بها نوعا ما نظرا لأنّ هذا العلم جديد في بيئتنا العربية، وأتّنا لا زلنا في المراحل الأولى من التلقي، ولكن وفي خضمّ هذا لازالت جهود الباحثين في اللسانيات العرفية تتسارع للبحث والتتقيب في هذا الشأن من أجل استيعابها ترجمة وتيسيرا وتطبيقا.

وما يُعاب على هذا النوع من التلقي الوقوع في عدم التكامل، وعدم التنسيق بين الباحثين ممّا يؤدي إلى تكرار الأعمال الواحدة وترجمتها عدة مرات بمصطلحات مختلفة ومفاهيم مضطربة نوعا ما، ممّا يجعل البحث اللساني العربي غير ممنهج ويسوده التشتت والتبعثر، وعلى عكس ما ينبغي أن يكون عليه البحث من تراكم وإنباء السابق عن اللاحق...، أيضا تأخر البعثات اللسانية إلى الخارج، وغياب التفاعل الحضاري خاصة من طرف الباحثين الذين اعتبروا أنّ اللسانيات علم غريب⁴.

ولقد تحدّث محي الدين محسب عن هذه المعوقات والحلول التي من شأنها أن تسهم في إشعاع لساني في الثقافة العربية: "لا جدال في حقيقة أنّ الترجمة أحد المصادر الفعالة في إقامة حوار مع عطاء الثقافات الأخرى، وبالنظر إلى هذه الأهمية القصوى للترجمة، فإن ترك أمرها للاجتهادات الفردية يقلل كثيرا من فعاليتها، الترجمة تحتاج عملا مؤسسيا، وإلى أن تكون

¹ - المدارس اللسانية المعاصرة، ص7-8.

² - خصائص الخطاب اللساني "أعمال ميشال زكريا نموذجا"، ص398.

³ - محمد شاهين، نظريات الترجمة وتطبيقاتها، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1998م، ص46.

⁴ - ينظر: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص196-197.

هناك خطط مدروسة، وسياسة مطّردة ومتّسقة بين الأقطار العربية حتى لا يتكرر بذل الجهد في ترجمة العمل الواحد (إلا إذا كان ما هو قائم يعتوره النقص أو التشويه)، حتى لا تسقط من قائمة الثقافات التي نترجم عنها ثقافات مهمة لها عطاؤها وتميزها. ثم إن الترجمة مازالت بحاجة ماسة إلى تعدّد منابر النشر حتى تتسع قاعدة القارئ العربي المطلّع على فكر الآخرين¹، ومن أسباب ما يشوب الترجمة من خلل، كون الكثير من المترجمين ليسوا متخصصين في اللغة العربية ولا يملكون اللغة المتخصصة الخاصة بمجال اللسانيات، وعدم تمكنهم من نقل تلك النصوص والتعبير عنها بأساليب ووسائل اللغة العربية ما يسهم في ضعف تلك النصوص المترجمة².

لذلك بات من اللازم من أجل المساهمة في نقل الموفود اللساني الغربي واستحداث النهضة العلمية إيجاد الحلول اللازمة ووضع معايير وآليات صارمة للحدّ من أزمة الترجمة، وفي هذا السياق يؤكد حمزة بن قبلان أن تعريف القارئ الأجنبي من خلال ما يتدّد له بعض النقاد والباحثين في ضرورة أن تسهم الترجمة في نفص الغبار الذي تركناه يتراكم على هويتنا، ولن يتمّ ذلك إلا بنقل تراثنا العلمي إليهم، إذ يكفينا توكّلا واعتمادا على جهود المستشرقين فحسب لأنها وإن ساهمت في اكتشاف بعض جوانبه فإنها أبدا لن تتقل صورته الحقيقية، ولكن حاجتنا الأولى أن نستفيد من المنجزات العلمية المعاصرة أولا؛ أما التفاخر بما لدينا فيأتي بعد أن ننجح في تأصيل هذه العلوم لدينا والكتابة عنها باللغة العربية³.

وهذا ما تؤكّده هبة خياري في معرض حديثها عن هذا الموضوع تحديدا أنّ تراثنا اللغوي العربي تراث غني وأصيل، ولو أنّ ناقلي هذا التراث اعتنوا به وفهموه ونقلوه بكلّ ما يحمله من مفاهيم وبحوث ودراسات لما كانت تلك الهوة العميقة الضاربة في جذور تاريخ اللسانيات، ولا

¹ -حافظ اسماعيلي طوي، وليد احمد العناني، أسئلة اللغة، أسئلة اللسانيات، دار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط، ط1، 2009م، ص245.

² - أسئلة اللغة، أسئلة اللسانيات، ص62.

³ - نفسه، ص63.

عُفَّ بالدرس اللغوي العربي بشتى فصوله كما عُوِّفَ بالدرس الإغريقي الذي اعتبره دي سوسير أولى المراحل التي مرّت بها اللسانيات قبل أن يتحدد غرضها الأساسي، "وقد حدّدت الباحثة بوادر حركة الترجمة في العالم العربي بظهور الدراسة التي أعدتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، حيث قامت بإنجاز عدد هائل من الترجمات من طرف الأقطار العربية ما بين عامي 1970م/1980م، وقد بلغ على حد قولها في عمومها 2840 إنجازاً".¹

وفي ظلّ ما يجب أن يقوم به الناقلون والشارحون لهذا المنجز الغربي، انتهاج سياسة ممنهجة في عملية الترجمة، إضافة إلى ذلك ضرورة تحسين الطرائق الدقيقة نحو غاية مفادها تذليل الصعاب التي تعترى المترجم والترجمة، وتطوير المردود العلمي والمعرفي تحديداً في الوطن العربي، ذلك لأنّ المتنبّع مسار أعمال الترجمة في الدرس اللغوي العربي الحديث يجد أنّ هنالك الكثير من البحوث الخاصة بالترجمة تفتقر لهذه الشروط والمعايير الواجب التقيد بها وتأكيدها على ذلك وضّح محمد شاهين في معرض حديثه عن هذا الموضوع بقوله: " كتبت بحوثاً كثيرة حول الترجمة، لكن جزءاً بسيطاً منها يعالج المشاكل ومنهجية دراسة الترجمة ومعظم هذه المطبوعات لا تعدو كونها دراسات تقوم على منهج انطباعي ذاتي أكثر منها دراسات تقوم على منهج موضوعي علمي، بل إنّ أغلبية الكتب العربية المكتوبة حول هذا الموضوع مخيّبة للآمال، إذ أنّ غالبيتها ترجمة لمنشورات أوروبية حول نظرية الترجمة"².

ومن ناحية أخرى، ستشَفَّ من خلال قوله أنّ معظم الكتابات العربية، والتي حاول فيها العديد من الباحثين أن يضعوا نظرية محددة في الترجمة، إلا أنّ تلك المحاولات باءت بالفشل نظراً لعجزهم في الوصول إلى هدفهم المنوط، ولّى السبب في ذلك هو نقل ما يُكتب من طرف العلماء الغربيين اللسانيين عن الترجمة وطرقها وآلياتها ومعاييرها، هذا ما يجعل ذلك النقل ينأى عن كل ما يمكن أن يساعد في الحد من مشكلات الترجمة العربية وما يواجهه القارئ العربي من عدم استطاعته إزالة العجمة والغموض الذي يعترى الترجمة في الدرس

¹ - خصائص الخطاب اللساني "أعمال ميشال زكريا نموذجاً"، ص399.

² - نفسه، ص399/400.

العربي، خاصة لما يحمله هذا الأخير من خصوصية نظرا لخصائص اللغة العربية ومفاهيمها وقواعدها وأسسها يجعل هذا الأمر في حاجة ماسة أكثر من أي وقت مضى إلى نظرية خاصة بالترجمة، حيث توفر تلك الترجمة كل ما تتطلبه اللغة العربية كي لا نقع في الخلط والغلط ولا حتى الاشكالات التي تعترى الترجمة، وإن أقر بعض الباحثين بعموم إشكالات الترجمة على جميع اللغات، فهذا الأمر يؤكد على ضرورة وضع نظرية لكل لغة على حده لتفادي الإسقاطات الترجمية وليطوروها ويحسنوا من الأعمال اللسانية المترجمة، وتصبح أعمالاً جماعية أو فردية موحدة المعايير؛ أي معايير واحدة ينتهجها كل من المترجمين العرب، وها نحن نشهد في الوقت الراهن في ساحة الدرس العربي الحديد عمليات جادة وصارمة تضافرت فيها جهود ثلاثة من علمائنا العرب المحدثين في إنشاء هيئات ومنظمات خاصة بالترجمة، من خلال اعتماد خطط مدروسة وممنهجة ومقننة تسعى من أجل التسيير الحسن لعملية الترجمة.

3-2-1 التلقي عن طريق الكتابات المترجمة للأعمال الغربية في مجال اللسانيات العرفية:

- ومن الأعمال المهمة المترجمة في المجال العرفي محاولة الأزهر الزناد ترجمة كتاب رونالد لانقاكر والذي يتناول فيه نظرية النحو العرفي، حيث قام الأزهر الزناد بترجمته إلى "مدخل في النحو العرفي لرونالد لانقاكر"، حيثُ عد هذا الكتاب من الكتب التي اهتمت بتقديم المفاهيم الأساسية الشاملة التي ترتبط بنظرية النحو العرفاني التي كانت تسمى فضاء النحو، وهي نظرية من نظريات اللسانيات العرفانية، حيث تطرق فيه لأربعة أقسام قد ترجمها ترجمة حرفية وعلى حد ما جاء به في البطاقة التعريفية للكتاب من طرف الأزهر أنه كتاب مفيد للمبتدئين المختصين في هذا المجال، خاصة ما تعلق بدراسة النحو والمعنى والدلالة المفهومية وعلاقة النحو بالملابسات الخارجية، وغيرها من المفاهيم المتعلقة بفضاء النحو¹.

- وفي المقام نفسه نجد عملاً آخر بالعنوان نفسه وهو مؤلف "العبد الجبار بن غريبة"، حيث قام بتأليف كتابه "مدخل إلى النحو العرفاني نظرية رونالد لانقاكر"، حيث قام بتيسير المؤلف

¹ يُنظر: مارك تورنر، تر: الأزهر الزناد، مدخل في نظرية المزج، جامعة منوبة (تونس)، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، وحدة البحث: اللسانيات العرفية واللغة العربية، 2011م.

الأجنبي للتعريف بالنحو العرفي إذ يُعدّ عملاً تبسيطياً موجهاً إلى المتعلمين المبتدئين في مجال اللسانيات، وقد جاء مؤلفه تحت ثلاثة مباحث رئيسة؛ مبتدئاً عمله بمدخل تكلم فيه عن موضوع الدراسات اللسانية ونشأة علم الدلالة وتطوره في اللسانيات الحديثة متجهاً بعدها إلى المنطلقات التأسيسية للنحو العرفي وآليات وضعه وتحديد إطاره العام، انتقل بعدها إلى تقديم رؤية شاملة عن الأسس والدعائم التي ترتكز عليها نظرية رونالد لانفاكر برصد مفاهيمها أولاً ثم المسار الذي عرفه الدرس اللساني من خلال ربط العلماء اللسانيين العرفيين التركيب بالمعنى مما أدى إلى تغيير شامل في اتجاه اللسانيات من الدراسات المنكبة على التركيب وإبعاد المعنى إلى ضرورة عدم الاستغناء عن المعنى في ظل علاقته مع التركيب، وما لهذه العلاقة من أهمية في حل مشكلة الالتباس والغموض الذي وقعت في مأزقه النظريات اللسانية السابقة، إلى جانب هذا عرض مكونات الفضاء التأويلي وبعضاً من المناويل والفرضيات التي تأسس عليها النحو العرفاني وصولاً إلى نظرية النموذج النمطي، أما فيما يخص المبحث الثاني فقد اهتم فيه الباحث بنقل وشرح المقولات الأساسية والمبادئ المهمة في نظرية لانفاكر من مفهوم المدلولات وتوضيحها إلى الأسماء والعلاقات، ثم الوظائف الدلالية الأساسية والجملة المركبة وانتهى بمفهوم الاستقلال والتبعية، وقد أنهى كتابه بمثال تطبيقي طبق فيه مفهوم الواو بين العطف والتعليق برصده استعمالات الواو المختلفة، وأهم مميزات العلاقة بين العطف والاستئناف، وبين العطف والتعليق¹، والملاحظ من خلال هذا العمل أن الباحث اشتغل فيه بعناية في توضيح اتجاه البحث اللساني المعاصر، مع تركيزه على البدايات الأولى لبروز النحو العرفاني من حيث أصوله ونشأته ومواضيعه بالشرح والتفسير.

- وفي مقام آخر، نجد ترجمة كتاب "النظرية المعاصرة للاستعارة" لكتاب The Contemporay Theory Of Metaphor لجورج لايفوف ترجمة "طارق نعمان"، والذي نقله وفق ما شغل العديد من الباحثين العرب بصفة عامة والجزائريين بصفة خاصة، حيث شهدت الفترة الأخيرة اهتماماً

¹ يُنظر: عبد الجبار بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني، نظرية رونالد لانفاكر، مكتبة لسان العرب، سلسلة لغويات، مسكيلياني للنشر كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، تونس، ط1، 2010م.

زائداً بموضوع الاستعارة، وذلك لما ترمي إليه من أسس بلاغية هامة، إلى جانب ذلك توضيحها المعنى وتقويته، إذ أن الملاحظ في الكتابات العربية في مجال اللسانيات العرفية سواء كان بالنقل ترجمة وتأليفاً أو بالتفسير أو بالشرح أو بالتطبيق أن: "أغلبها إن لم نقل أغليتها الساحقة عُنيت بنظرية الاستعارة؛ والتي تعد من أهم النظريات العرفية، حيث لا نجد مؤلفاً من المؤلفين إلا وقد تطرق إليها كموضوع شامل بجميع جوانبه أو كمبحث من المباحث الأساسية التي تركز عليها اللسانيات العرفية، وفي السياق ذاته نجد الباحث طارق نعمان هاهنا قد نقل إلينا نظرية الاستعارة بترجمة مؤلف جورج لايكوف، إذ استهّلها بالفرق الواضح بين مفهوم الاستعارة المألوف، وبين الاستعارة في مفهومها الجديد البعيد عن المفهوم التقليدي"¹؛ الذي يرمي إلى أن الاستعارة تُعنى بكلام فني راقٍ ومضمر المعنى، له بعده الجمالي والخيالي والمفعم بالذوق، عكس الكلام العادي الذي يفتقر، بل ينعدم من الاستعارات في كلامنا اليومي، وهذا ما يتعارض مع ما جيء في المفاهيم الجديدة للاستعارة التي تعنى وبالدرجة الأولى بكلامنا العادي اليومي، إذ تعتمد تجربتنا الجسدية ضمن هذا الحيز من العالم الذي من حولنا على بنية التصورات التي تربط بواسطة أفضية ذهنية، وذلك من خلال مجالين ذهنيين فأكثر يعمل العقل البشري من خلالها باستعارة تصورات مجسدة ذهنياً مسبقاً بصورة واعية ولا واعية في بناء لغة مفهومة تحقق التواصل بالدرجة الأولى، وهذا الارتباط في حقيقة الأمر بين المجالين أو أكثر لا يتم إلا عن طريق التوافق والتجانس، فحياتنا التي نحياها كلها عبارة عن استعارات مختلفة تخضع لخطاظة ذهنية، تلك الخطاظة تأسست في دماغنا حسب موقعية أجسادنا حول هذا العالم، وتجربتنا الذاتية، وإدراكنا الأشياء من حولنا، ولهذا الأمر بحسب رأي لايكوف وما نقله "طارق نعمان" فإن "المسألة متعلقة في كيف للكائن البشري أن يربط مجالاً ذهنياً مع مجال ذهني آخر؛ أي أن المسألة غير متعلقة باللغة، بل متعلقة أكثر بعمل الدماغ الإنساني الدقيق كتشخيص سمات لترسيمات مختلفة، كدلالة الزمن والموقع والأوضاع والتغير والسببية والغرض

¹ - جورج لايكوف، تر: طارق نعمان، النظرية المعاصرة للاستعارة، مكتبة الاسكندرية، سلسلة مختارات (1)، مصر،

وهي مفاهيم استعارية¹، وما الاستعارات الأدبية الشعرية إلا امتداد للاستعارات اليومية وذلك لتميزها بنسق هائل من الترسيمات العابرة للمجالات، وعلى هذا المنوال استمر طارق نعمان بنقل مفاهيم جورج لايكوف مؤكداً أن هذا العمل عمل مشترك مع مارك جونسون، وقد نقل عنهما مفاهيم الاستعارة الجديدة بنسقتها الجديد ومبادئها المختلفة أنواعها المتعددة، كالاستعارات الجديدة على حد ترجمته توسيعات لاستعارات عوفية، استعارة الصورة، واستعارة المستوى العام (الاستعارة التشخيصية، والاستعارة التمثيلية)²، وقد عمل الباحث من خلال هذا النقل لتحديد المفاهيم التي جيء بها في مؤلف الاستعارات التي نحيا بها مع محاولته إسقاط الأمثلة باللغة الإنجليزية لما يقابلها باللغة العربية وشرحها وتفسيرها، وقد قدم ملاحظات هامة في تعليقه عن الترجمة التي قام بها فيما يخص مطابقة المفاهيم للأمثلة من عدم مطابقتها موضحاً إياها بالأدلة والبراهين، كما نبّه إلى جزئية هامة والتي لا تخفى على القارئ العربي العارف بالبلاغة العربية بحسب رأيه لن يتوه على أن "ما تقدم به جورج لايكوف لما يسمى بالاستعارة الجديدة المعاصرة على أنه كناية يقع ضمن مبحث المجازات في البلاغة العربية كالمجاز المرسل وعلاقته الجزئية"³.

- وفي ترجمة أخرى لكتاب جورج لايكوف، ومارك جونسون المترجم لـ "الاستعارات التي نحيا بها" لعبد المجيد جحفة، حيث جاء في كتابه مجموعة من الفصول انتظمت في ثلاثين فصلاً بين من خلالها الباحث بأسلوب سلس وبسيط ومتناسق، على عكس من الكتب المترجمة نوعاً ما، والتي أحيانا ما تشوبها الضبابية والعجمة، مما جعل تلك المفاهيم المنقولة تكون حائلاً بينها وبين استيعاب القارئ لها، بل يقع أحيانا أخرى في الخلط نتيجة الترجمة المغلوطة أو الصعوبة على مستوى الفهم، لذا لا تصل تلك المفاهيم إلى القارئ بتلك الانسيابية في طرحها وشرحها وقد سعى عبد المجيد جحفة في هذا المؤلف لإيراد المفاهيم والمبادئ التي قام كلٌّ من

¹ - النظرية المعاصرة للاستعارة، ص 8.

² - نفسه، ص 67.

³ - نفسه، ص 91.

جورج لايكوف ومارك جونسون بإثبات حقيقة مثبتة منطقياً، وهو أن الكائن البشري بمجمل عاداته وأعرافه وانطباعاته السلوكية اللغوية وغيرها، أيضاً تجاربه المعيشة وعلاقته مع بني جلدته عند الاتصال بهم وقيامه بعملية التواصل، والتي يبنّيها وينسجها وفق ما يحيط به من عوالم وأمكنة وما يدور من حوله لا تتم إلا من خلال آلية الاستعارة، إذ يكون كل ما سبق بحسب تأثيره بالاستعارة التي تُعدّ الركن الرئيس المسؤول على تكوين تصورات وفهمه لكل ما هو محيط به وقد هدف الباحث من خلال طرحهما إلى إدراج العديد من الأمثلة باللغة العربية المقابلة للأمثلة الموجودة في مؤلفهما، وحاول التوفيق بينهما مشيراً لذلك في مقدمة الكتاب، وقد يلاحظ القارئ هذا الأمر في الأمثلة التوضيحية للاستعارة وأنواعها من خلال ما قدماه الكاتبان من عشرات الأمثلة لها، وذلك بحسب رأيه دليل عدم قدرتنا وعجزنا على فهم العالم وإعادة صياغة ما نعيشه من تجارب ووقائع يومية، ونقل العالم بواسطة الاستعارة بوصفها دائماً أداة واصفة وتعبيرية لتصوراتنا وفهمنا العالم، وقد ذهب الباحث إلى ما ذهب إليه المترجمون في نقلهما وشرحهما للمفهوم الجديد للاستعارة على خلاف مفهومه القديم، حيث أكد على أن الباحثين قد فرّقوا بين المفهوم الكلاسيكي والنظرة التقليدية للاستعارة وبين مفهومها الجديد المعاصر كما ذكرنا سابقاً، وعلى هذا المنوال استمر الباحث في شرح ونقل هذه المبادئ الأساسية وتفسيرها إلى جانب ذلك كان الباحث كل مرة يوضح ويبين هدف المؤلفين الذي كان واضحاً وجلياً على امتداد جميع فصول الكتاب والأمثلة المختلفة وهو مكانة الاستعارة في حياتنا والتي تحقق القدرة على بنية تصوراتنا من جهة، ونقلنا للعالم وفهمه من جهة أخرى، وفي السياق نفسه أننا لا نحيا ولا نتفاعل مع عالمنا إلا عن طريق الاستعارة التي نصنعها ونطوّرها دائماً بحسب لوائح هائلة من التصورات ولائحة معجمية متطورة ومتغيرة عبر الزمن، وقد انتهى الباحث إلى ما انتهى إليه الكاتبان في كلامهما على الدور الأساسي التي تؤديه السلطات، سياسية كانت أم اقتصادية، أم على خلافها من استخدام استعارات قد تطمس الحقائق في بعض من المرات وقد تزيّفها في البعض الآخر منها، ممّا ينتج عنه حطّ من قيمة الإنسان وذلك بواسطة استعمال استعارات من شأنها التقليل من جهد وتعب الإنسان في عمله،

وهذا ما نجده في استعمال استعارة الشغل مورد، إذ تبدل حقيقة الشغل وتحط من قيمة الانسان الذي يصبح مثله مثل السلع، لأن الشغل حينما يرتبط بمجال المورد هاهنا سيصبح بموقع المورد الدال على السلعة الخاضعة لقانون الطلب والعرض، وبذلك فإن ما يقع على السلعة يقع على الشغل فيقع على الإنسان باعتبار الشغل سمة لصيقة به، وبالتالي تنقل قيمته كبشر¹.

- وفي كتاب مترجم آخر للباحث الأزهر الزناد الذي نقل نقلا مباشرا دون إبداء رأيه عن المفاهيم المطروحة في مؤلف "مارك تورنر" الذي عنوانه: "مدخل في نظرية المزج"، حيث نقله إلى اللغة العربية وكان بمثابة إثراء للمكتبة العربية في مجال اللسانيات العرفية، وذلك لجمعه مجموعة من مداخلات "تورنر" ضمن مقدمة في أصول نظرية المزج كانت بمثابة مقال مصغر تحدث فيه عن بؤادر النظرية ومنطقاتها الفلسفية الجدلية؛ مفادها كيف لبني البشر إنشاء شيء إضافي من لا شيء، أو بالأحرى: كيف للإنسان أن يسخر تلك القدرة الذهنية العجيبة للإبداع والتجديد المطلق للأفكار والكلمات والمعاني، فكانت إجابة تورنر بالوقوف على أهم المحطات التي تطرقت لهذا الجدل، وأجابت عنه وصولا إلى نظرية المزج المفهومي "التصوري" الذي عدها محاولة تفسيرية لقدرة بني البشر على التجديد السريع اللاواعي، وقد تكمن في ما يسمى بالدمج المفهومي عبر شبكات المعنى²، ثم أدرج "الأزهر" محاضرتين في هذا الصدد، حاول من خلالهما نقل القضايا التي طرحت من طرف "تورنر"، وقد شملت المحاضرة الأولى لمحة عامة عن هذه النظرية، حيث بدأها بمدخل عام عن النظرية وقد تطرق في هذا المدخل إلى العلاقة القائمة بين اللسانيات العرفية والذهن البشري، حيث اعتبر أن اللسانيات العرفية برنامج لدراسة اللغة، والتي تعد بدورها فرعا من الذهن³، وقد انتقل "الأزهر" - بحسب ترجمته الحرفية لدراسة تورنر - إلى التحدث عن أشكال المزج المفهومي (الدمج التصوري) والحالات التي تتمظهر فيها هذه الملكة الذهنية لدى الكائن البشري على اختلافه، والمتجسّية في سلوكه

¹ - يُنظر: النظرية المعاصرة للاستعارة، ص220.

² - يُنظر: مدخل في نظرية المزج، ص4-5.

³ - مدخل في نظرية المزج، ص11.

اليومي اللاوعي، بل نتاج أنشطة ذهنية على درجة عالية من التعقيد مؤسسا هذه المفاهيم على جملة من الأمثلة والأدلة والبراهين، في السياق ذاته اشتملت المحاضرة الثانية على فكرة جوهرية مؤداها أن اللغة في طبيعتها نظام علائقي يقوم على ثنائية (الشكل، المعنى) هذه الأخيرة تحتكم إلى بنية نظامية تتعالق فيها جملة من الأبنية الصوتية، الصرفية، النحوية، التركيبية المعجمية،... تخضع لقواعد الإضافة والتبعية والافتراض والسببية والتعدية للأبنية المركبة والمزج الصرفي في كلمة واحدة، كأبنية الأفعال، والأبنية الجعلية والإعراب المزجي، وفي نهاية ترجمته وصل إلى ما توصل إليه تورنر من تأكيد وجود نحو كلي (كوني)، وذلك راجع في اعتقاده لارتباط بني البشر في مجموعة العمليات الذهنية العرفية المشتركة بينهم، الأمر الذي يتيح لهم إمكانية بناء لغة بطريقة مزجية، فكل البشر مزجون بهذه الماكّة العجيبة ومجهزون على استعمالها وفق تلك العمليات، وما ينتجه ويبدعه جراء ذلك الدمج ليس بالضرورة أن يكون نفسه أو مشتركا، ولكن الأمر يكمن في اشتراكهم في العمليات العرفية ذاتها، وقد خلاص "الزناد" إلى قوله أن: "عملية المزج المفهومي جزء من هذه الطاقة الكونية ليست مخصوصة باللغة دون غيرها"¹، ولعل ما يؤكد قوله هذا هو تلك التكرارية المتضمنة في عملية الدمج التصوري.

3-2-2 معضلة ترجمة اللسانيات العرفية:

إنّ هذا النوع من التلقي له ملابساته وأسبابه وعوامله المتعددة، إذ لا يخفى علينا أن بفعل علاقة التأثير والتأثر بين العرب والغرب خاصة في مجال الدراسات اللغوية، حيث أن هذه العوامل تتعدد وتتنوع بحسب نوع التلقي، فهناك من الباحثين العرب المحدثين من يتلقى هذه العلوم المعرفية حول اللغة ودراستها والبحث فيها بالترجمة والتبادل والتلمذ على أيدي علماء وأساتذة غربيين، وهناك البعض الآخر من يكون بصدد النقل والشرح والتفسير والتبسيط والتطبيق أحيانا أخرى.

¹ - نفسه، ص75.

وهذا ما يمكن عدّه علامة مميّزة تميز باحثينا العرب المحدثين اللذين نقلوا هذا العلم الفتّي "اللسانيات العرفية" محاولين ترجمة وتفسير وشرح المقولات الأساسية للتصور اللساني العرفي وجملة إجراءاته العملية للقارئ العربي، ولّى أهم ما ميز هذا النقل ذلك التفاوت في فهم وطريقة الاستعمال المفاهيمي والمصطلحي للسانيات العرفية، أو كما يسمّيها البعض الآخر بالمعرفية والعصبية والعرفانية... إلخ؛ وهذا ما جعل الدرس العرفي العربي تحت مسميات مصطلحية عديدة لكل مصطلح منها مصوغاته وأسبابه الخاصة في الاستعمال من طرف كل باحث لساني عربي، سيما ما نجده في البيئة الجزائرية بصيغ بحثية متباينة بين مفاهيم تأسيسية لهذا العلم الفتّي والتعريف بأهم مبادئه ومقولاته ومنطلقاته التأسيسية، إلى جانب هذا السياق توجه الباحثون العرب بصفة عامة والجزائريون بصفة خاصة إلى شرح نظريات اللسانيات العرفية لتوضيح خلفياتها وإجراءاتها التي يقوم عليها أساسا الطرح اللساني العرفي وكيفية الاستفادة منها لمعالجة النصوص العربية ومقاربة مواضيعها اللغوية من جهة وأيضا كيفية التعامل معها قصد تطوير العملية التعليمية والتعلمية من خلال معرفة كيفية اشتغال الدماغ البشري في عملية حفظ وتخزين المعلومات واسترجاعها وتعزيز عملية الفهم، والانتباه، والذكاء، والذاكرة... إلخ

إلاّ أنها لاقت العديد من المصاعب على مستوى القارئ، إذ حال بينه وبين هذا العلم الفتّي جسور الفهم والوعي الكامل بمفردات هذا العلم المستحدث وفهمه وفهم آلياته ومواضيعه ونظرياته، ولعل من أحد أسباب معيقات التلقي هي الترجمة كما اسلفنا الذكر وما طال الدرس اللغوي العربي من إشكاليات التلقي، وقع أيضا على آخر ما وصل إليه الدرس اللساني الغربي الحديث، ويرجع ذلك إلى الخلط المفاهيمي الذي يرجع بدوره إلى التعدد المصطلحي، وكون أنّ الترجمة بحد ذاتها خيانة من جهتين، أما الخيانة الأولى فتكمن في دخول المترجم في مشروع المؤلف فتكون العلاقة متوترة أحيانا بين المؤلف والمترجم، وأما الخيانة الثانية فتكمن في اختلاف الثقافات والأعراف الاجتماعية من جهة لأنها بطريقة أو بأخرى تبني تصوراتنا، واللغوية من جهة أخرى وهذا ما ينتج نوعا ما ذلك التصدع والتهلهل خاصة ونحن بصدد

الكلام عن مجال اللسانيات العرفية، فإذا ما نظرنا مثلا إلى مبحث الاستعارة التصويرية وترجمتها فإن أغلب الباحثين العرب وقعوا في متاهة الربط بين الاستعارات التصويرية في العشيرة اللغوية الأجنبية وبين مقابلها من استعارات في البيئة العربية مما أسفر عنه بعض الاختلالات على مستوى الاستعارات غير الوضعية (الاستعارات الخيالية، المبدعة)؛ أي التي تعتمد على المجاز والتأويل، هنا يمكن لكل متكلم بلغته الخاصة أن يبني استعاراته الخاصة¹.
ثانيا: عوامل تلقي الباحثين الجزائريين للسانيات العرفية وأثرها على تطور الدرس اللساني الجزائري

1- دوافع توجه الباحثين اللسانيين الجزائريين إلى النموذج اللساني العرفي:

1-1 الاشتغال العرفي في البيئة الجزائرية اللسانية بين (النقل والأجرة):

إن المشتغلين في حقل اللسانيات العرفية في الجزائر قلة لا يكادون يعدون على الأصابع، ولّى هذه من أهم المعوقات التي واجهها البحث في هذا الموضوع، ولربما لذلك أسبابه أهمها انطباع الدرس اللساني العرفي بالعملية المحضنة، منشؤها التعامل مع مصطلحات ومفاهيم علمية موزعة على علوم شتى، ولا شك أن من الأسباب التي أدت إلى عزوف البحث اللساني عن النموذج اللساني العرفي، ما يستتبعه من جهد وموسوعية، ومن ربط بين منظومات فكرية كثيرة، الشيء الذي فتح شهية البحث اللساني على النموذج اللساني الشكلي ولم يفتحها على نموذج البحث اللساني الذهني، لأجل ذلك توافرت البحوث بكثرة ضمن الطرح اللساني الشكلي ولم تتوافر بالكيفية نفسها ضمن الطرح العرفي، وتكفي إطلالة سريعة على ببيوغرافيا البحث اللساني في الجزائر للتأكد من هذه الحقيقة، إذ تعدّ البحوث اللسانية ضمن السياق التقليدي للتعامل مع الظاهرة اللغوية بالمئات مقارنة بالبحوث اللسانية ذات المنطق العرفي، التي تعد على الأصابع مغربا، ومشرقا في الوطن العربي.

¹ يَظُن: الاستعارات التي نحيا بها، ص13.

إن طرح مسألة "أجرة" اللسانيات العرفية من قبل اللسانيين الجزائريين في حقل اللسانيات "بأجرة" اللسانيات العرفية، كما تستوجب هذه المسألة مناقشة الأبعاد والغايات المتحققة من وراء هذه الأجرة، والقيمة المضافة إلى ميدان البحث اللساني عبر القيام بها.

إذا رجعنا إلى أمهات المعاجم العربية لتأصيل هذا المصطلح في ملفوظات البحث اللغوي العربي القديم فإنه يتعذر علينا إيجاد هذه الصيغة "أجرة على وزن "فعلنة" وما هو متداول من الصيغ يتراوح بين: صيغة "اجترأ" ومنها المصدر "اجتراء" والمفعول منها على صيغة "مجتراً" عليه" والقول: اجتراً الشخص بمعنى: تشجع وأقدم.

كما نجد "تجرأ" الدالة عن الماضي، على وزن "تفعل" التي المضارع منها " يتجرأ" والمصدر منها على وزن "تجرؤوا" وصيغة الفاعل منها "متجرئ".

ونجد لفظة "جرأ" الدالة على الماضي التي مصدرها "جرأة".

ونجد أيضاً لفظة "جرأ" التي المضارع منها "يجرئ" والمصدر "تجرئة"، والمفعول مجراً" والقول: جر ابنه على قول الحق/بمعنى شجعه.

ويتعين مما سبق أن "الأجرة" من حيث الصياغة اللغوية هي اصطلاح لا أصل له في اللغة العربية، ويظهر في تقديرنا أنه ابتكار يقابل مصطلح "Operationalisatio" الذي يؤدي دلالة تحويل الفكرة أو المفهوم المجرد إلى سياق الاستخدام العلمي، ولا شك أن "الأجرة" في حيز استخدامها من قبل اللسانيين والباحثين الجزائريين قريبة من دلالة "Operationalisation".

ورد استخدام مصطلح "الأجرة" في سياقات بحثية متعددة، سيما في البحوث المرتبطة بعمليات التعلم والتحصيل، كمسلك لتحقيق مردود تعليمي أجود، من خلال تنزيل بعض المفاهيم التربوية ذات صلة بتقنيات التعلم، كما ورد ذكر هذا المصطلح في بحث علمي محكم لسعيدة لونيس موسوم "ب: "أجرة" المفاهيم الكتابية الأكاديمية بين الضرورة والمحاذير واندرجت دلالة "الأجرة" ضمن هذا السياق البحثي ضمن توضيح المفاهيم وحول التعريف الإجرائي للمفهوم؛ أي الكيفية التي يتحول بها المفهوم من الصيغة المجردة إلى الصيغة العلمية التي تقبل القياس من منظور أبريقي (تجريبي)، باعتبار أن التعريف الإجرائي للمفهوم ما يقوم به الباحث من

خطوات لقياس المفهوم وضبطه في حيز الواقع العلمي، وأجراً المفاهيم في السياق البحثي السابق ذكره لا تختلف عن التعريف الإجرائي، فهي بمثابة همزة وصل بين ما هو تصوري وما هو إجرائي (علمي) فهو الذي يغطي الفجوة القائمة بين المستوى النظري والفكري والمستوى الإمبريقي الذي يتم ملاحظته"¹.

تعود فكرة الأجرة من حيث النشأة إلى أبحاث الفيزيائي "بريد جمان F. W. Bidgman التي وضعها سنة 1927م، والذي أشار من خلاله إلى أن المعنى العام لكل مفهوم يجب أن يتحدد بالنسبة لعملية محددة (وضعية عملية)، بمعنى أن دلالة المفهوم ترتبط بالتعريف الإجرائي، بحيث يكون المفهوم غير متناقض مع العمليات القياسية (التجربة)، فمفهوم الذكاء مثلاً يجب أن يتحدد في ضوء الاختبار الذي يجرى عملياً (إجرائياً) بحسب المواصفات العلمية والعملية، وبحسب العينة موضوع الاختبار.

وقد استعار "لندبرغ" المفهوم مؤكداً أن "أي مفهوم في الظواهر الاجتماعية، وانتشاله من حالة تعدده، وتصفيته مما علق به من الذاتية، وإرسائه على الموضوعية العلمية يجب أن ينطلق من العمليات القابلة للتحقق منها"².

من هنا انطلق مفهوم "الأجرة" الذي لا يختلف في منظورها عن دلالة "Operationalisation"، ومن هنا انبثقت عقيدة البحث العلمي التي تنص على أن لكل علم حديث مفاهيمه الإجرائية، التي تجعل منه علماً يؤدي غرضاً عملياً في الواقع، وينزل في حيز الاستخدام ليؤدي دوراً وظيفياً، عبر إجابته عن أسئلة إشكالية بمنطق "أمبريقي" فتأسيساً على ما سبق يتحدد المقصود بالأجرة في " تفكيك وتحليل المركبات من المفاهيم إلى أجزائها الأولية، وإنزالها من عالم المجردات ومستوى التعميمات إلى عالم المحسوسات والخصوصيات"³.

¹ - سعيدة لونيس، أجرة المفاهيم في الكتابة الأكاديمية بين الضرورة والمحاذير، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2002م ص 06.

² - نفسه، ص 7.

³ - فرحات العربي بلقاسم، البحث الجامعي بين التحرير والتصميم والتقييم، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2012م، ص 76/75.

لما كانت "الأجراً" تنزع عن المفهوم طبيعته المجردة بتحويله إلى مؤشرات إجرائية يسهل قياسها وضبطها وفهمها، لزم مراعاة جملة من الشروط، حتى يكون انتقال المفهوم من مستواه التصوري التجريدي إلى المستوى العملي انتقالاً محققاً للغاية والهدف (تحقيق الوظيفة المنوطة به) أبرزها:

- تحديد الأبعاد Dimensions، وهذه المرحلة ابتدائية في سياق التحول، وتمثل المرحلة الأولى في التعريف الإجرائي الإمبريقي (التجريبي)، ويراد بهذا التحديد تشظية المفهوم إلى أبعاد أساسية وربطها بما يقابلها في الواقع عبر مكونات المفهوم قليلة التجريد (المحسوسة) المشكلة للبنية العامة له، وتعد هذه الخطوة وسطية بين المستوى التجريدي والمستوى الإجرائي.
- استنباط المؤشرات Indicatifs التي تمثل الصفات الإجرائية القابلة للملاحظة والقياس في المفهوم، هي التي تستخلص من أبعاد المفهوم ذاته، وبالمجمل استخراج المؤشرات هو جملة من الملاحظات التي تم رصدها في مسار تحول المفهوم (الفكرة المجردة) إلى متاح للعمل والتطبيق (تجربة)، مع الإشارة إلى أن هذا الانتقال من مستوى المفهوم المجرد إلى مستوى الدلالات الإمبريقية يقتضي جملة من الشروط وأبرزها:
- التأكد من تغطية المؤشر الذي يرصده الباحث لكافة أبعاد المفهوم.
- التأكد من صدق المؤشر، وذلك من خلال قدرة المؤشر على التعبير عن المفهوم.
- التأكد من ثبات المؤشرة، عبر إمكانية إعادة استخدامه لاحقاً مع تحقيق النتائج نفسها (تحقق الدلالة نفسها)¹.

بعد أن حددنا المدلول الاصطلاحي للأجراً، يجب الإشارة إلى المجهودات البحثية المبذولة في سياق البحث اللساني العرفي في الجزائر، حتى يتحقق الوصف لما يطرح من أسئلة في هذا الميدان وما ينتج من أفكار عملية ترمي إلى تبني المبادئ والمفاهيم العرفية في تعاملها مع أشكال لغوية وتعبيرية محددة، وفي هذا المضمار لا بدّ من الإشارة أن معظم

¹ يُنظر: خشيم مصطفى عبد الله أبو القاسم، مناهج وأساليب البحث السياسي، طرابلس، الهيئة القومية للبحث العلمي، 1966م ص106/107.

الدراسات المنجزة تتدرج في قالب الشرح وتوضيح المفاهيم الأساسية التي جاء بها رواد اللسانيات العرفية الغربية (لايكوف، جاكندوف، لانقاركر...) ومرد ذلك هو الحاجة الملحة لتقديم هذا الاتجاه الحديث في اللسانيات لطالب التخصص اللساني في الجزائر، ولا شك أن الجهد المبذول من قبل صالح غيلوس عبر مؤلفاته التعريفية بهذا العلم وتبسيط مفاهيمه الأساسية يعد خطوة أساسية على درب تبني المقاربة اللسانية العرفية، على ما شاب مؤلفاته من اختزال للمفاهيم والمقولات الأساسية المكونة للنظريات اللسانية العرفية بدافع تعليمي أكثر، يتوخى إيصال المعلومة عن هذا الحقل الجديد في الممارسة اللسانية الجزائرية من أيسر الطريق، وبأقل جهد ممكن، وتكفي الإحالة إلى عناوين مؤلفاته: (مباحث لسانيات عرفية)¹ (التلقي والإنتاج في ضوء العرفية تتظير وإجراء)²، كما يجدر التنويه بالجهد المبذول من قبل بشير إبرير من خلال مؤلفه التعليمي الموسوم: (اللسانيات والأدب ودراسات أخرى)³، ويظهر من خلال عنوان المؤلف أن الباحث جمع بين حقلين متباعين هما الأدب واللسانيات ودراسات أخرى، وربما العنوان يشي باستخدام المنهج اللساني لمقاربة النصوص الأدبية، وعلى ما في العنوان من مكونات تستدعي انسجاما منطقيا ومنهجيا، فإن المؤلف يفي ببعض حاجيات المبتدئين في الحقل اللساني، سيما ما يرتبط بالحدود الفاصلة والجامعة بين الحقل الأدبي واللسانيات، ويأتي المؤلف الموسوم: (مجالات اشتغال اللسانيات في ضوء التصور العرفاني)⁴ لمؤلفه: عبد القادر صام أكثر تحديدا لدائرة اشتغال اللسانيات العرفية، وهو لا شك يضع اليد على رهان اللسانيات في التصور العرفي المتمثل في العمليات الذهنية بالغة التعقيد التي تسبق عملية التلفظ، يضاف إلى ذلك مجموعة من الأبحاث المنشورة في مجلات محكمة

¹ - صالح غيلوس، مباحث لسانيات عرفية، البدر الساطع للطباعة والنشر، ط1، 2020م.

² - التلقي والإنتاج في ضوء العرفية - تتظير وإجراء -، البدر الساطع للطباعة والنشر، ط1، تعاونية الوفاق العلمية، الجزائر، 2017م.

³ - بشير إبرير، اللسانيات والأدب ودراسات أخرى، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، إريد، الأردن، 2020م.

⁴ - عبد القادر صام، مجالات اشتغال اللسانيات في ضوء التصور العرفاني، دار المجدد للنشر والتوزيع، المكتبة الوطنية الجزائرية سطيف، ط1، 2023م.

لباحثين جزائريين نذكر منهم: "اللسانيات العرفية نحو منهج جديد لمقاربة النص الأدبي تجربة الأزهر زناد أنموذجاً - لنجاة بوقزولة وكذلك عمل صالح غيلوس في مؤلفه (غيلوس معجم مصطلحات اللسانيات العرفية) الذي ربط فيه المصطلحات اللسانية العرفية كعلم قائم بذاته والنظريات اللسانية العرفية بمبادئها وخصائصها ومجالاتها وإجراءاتها وتوظيفها مع مجالات الإبداع الأخرى في العلوم العرفية، كما أورد فيه المفاهيم والمصطلحات المتضمنة في هذا العلم الحديث¹.

2- تطبيقات اللسانيات العرفية وجدل الإخفاق والنجاح

لم تكن اللسانيات العرفية في معزل عن النظريات اللسانية العربية الحديثة، حيث نشأت وتطورت في بيئتها الأصلية القومية، وإن كان منبتها عربياً، فإن استنباتها في أرض عربية يُعد ضرورة ملحة، كون العلوم أساسها التراكم والتكامل، وجسورها التفاعل بين المعارف والثقافات وشعوب الأمم المختلفة، وذلك يَفْعُلُ علاقة التأثير والتأثر.

ونظراً لحدثة هذه النظرية وجديتها، فإن مستقبلها مرهون بنجاعة شقها الإجرائي، ولهذا تبقى معالم مستقبلها غير واضحة، حيث تتشوش الضبابية على مستوى البيئة اللسانية العربية وصولاً إلى البيئة اللغوية العربية، بحكم طبيعة التلقي - النقل والأجر، والملاحظ على هذه النظرية العرفية وتلقيها في الدرس اللغوي العربي الحديث هو التطور المتزايد على المستوى النظري، أما فيما يخص الجانب التطبيقي، يمكننا القول إنه مُحْتَشَم، إن لم يكن ضئيلاً جداً، ولكن لا خير في القول إن هذه الدراسات قد شهدت نجاحاً إلى حد ما، رغم أن إمكانية نجاحها أو تحقيقها لا تزال مبهمة نوعاً ما. ومرد ذلك إلى أن ممارسات التلقي العربي للنظريات اللسانية الحديثة عموماً تعثرها الفوضى والعجز، سواء في الجانب النظري أو التطبيقي.

ولعل الأسباب الكامنة وراء ذلك العجز تتعلق بما سبق ذكره من معيقات ومشكلات التلقي. إضافة إلى ذلك، فإن عدم الفهم الجيد لهذه النظريات وتوافقها مع خصائص اللغة

¹ - صالح غيلوس، غيلوس معجم مصطلحات اللسانيات العرفية، دار النور للنشر، د ط، 2024.

العربية حال دون الوصول إلى نتائج تُطبق في هذا المجال. وفي حقيقة الأمر، عدم توافق هذه النظريات مع خصائص اللغة العربية لم يأت من فراغ، وإنما لاعتبارات مخصوصة، لعل من أهمها عدم اختيار اللغة العربية نطاقا لسانيا -لغة طبيعية- كغيرها من اللغات الأخرى، وما ينطبق على غيرها من اللغات ينطبق عليها بل اعتُبرت لغة خاصة مرتبطة بقدسيّتها، والتعامل معها يكون بحذر شديد.

وبناء على هذا الطرح، فإن اللسانيات العرفية في البيئة العربية ولدت غريبة مجهولة المعالم بيد أنها لاقت رواجاً ملحوظاً في ساحة البحث اللساني، خاصة في ظل ما أثرى به الدرس اللغوي من أبحاث متعلقة بالنظرية الخيلية لعبد الرحمان حاج صالح¹، ونظرية تضافر القرائن لتمام حسان²، والألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية لميشال زكرياء³، وغيرها من النظريات. إذ لم تتأى هذه اللسانيات عن التطور الحاصل في الدرس اللغوي العربي، سيما أن العلم هو علم يتداخل فيه جملة من العلوم المعرفية. ولعل انفتاحه عليها سيجلب له فرص النجاح الإجرائي، لما لها من إمكانيات في مجال التعليم، لأنها تحاكي الذكاء الاصطناعي، مما قد يسفر عن نتائج جد مهمة في مجال تعليم اللغة العربية وحوسبتها.

وفي ظل ما سعت إليه اللسانيات العرفية من دراسة العلاقة بين اللغة والعقل والجسد المرتبط أساساً بالتجربة الإنسانية، سيفيد ذلك في النهاية في تعزيز طرق التعليم الحديثة، وذلك بما تقدمه من دراسات وأبحاث مساعدة في هذا المجال. نجد الكثير من الباحثين العرب قد طبقوا وساهموا في نقل هذا العلم والتطبيق عليه، كما نجد أيضاً أن الباحثين الجزائريين في أغليبيتهم انصبّت أعمالهم على نظرية الاستعارة العرفية لما لها من أهمية بالغة في التعليم. وما يُعاب عنهم أنهم قد ألقوا الضوء على جمال النظريات العرفية الأخرى، خاصة وأنها تحمل

¹ - عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخيلية الحديثة، مفاهيمها الأساسية، العدد 04، 2007م، الجزائر.

* النظرية الخيلية الحديثة نظرية معاصرة ذات أصول ومرجعيات قديمة فمنابتها الأولى عربية أصيلة.

² - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، ط 1994م.

³ - ميشال زكرياء، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، الجملة البسيطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر

والتوزيع، بيروت، ط 2، 2012م.

الفصل الثاني: . السياق المعرفي والتاريخي لتلقي الباحثين الجزائريين للسانيات العرفية

الأهمية ذاتها، ولكن الجانب التعليمي قد حصل على حظه الأوفر من حيث تطبيق آليات الاستعارة العرفية، مع مراعاة تجنب مخاطرها.

الفصل الثالث

المساهمات البحثية اللسانية العرفنية الجزائرية

أولا : قراءة في كتاب : مباحث لسانيات عرفنية للأستاذ الدكتور صالح غيلوس

ثانيا : قراءة في كتاب : التلقي والإنتاج في ضوء العرفنية تنظير وإجراء

ثالثا : قراءة في كتاب : دراسات في اللسانيات العرفانية الذهن واللغة والواقع،

تحرير : صابر الحباشة، تأليف : عبد الرحمن محمد طعمة، ود. عمر بن دحمان

وآخرون، المنهج المعرفي في المقام التربوي

رابعا : قراءة في كتاب : مجالات اشتغال اللسانيات في ضوء التصور العرفاني

خامسا : قراءة في كتاب من قضايا اللسانيات المعرفية، تقديم : جعفر يايوش،

الإشراف : طيب بوقرط، -دراسات علمية أكاديمية محكمة-

سادسا : وفي عمل آخر يخص دراسة متعلقة بالمزج المفهومي ودوره في بلورة المعاني

المجازية للأستاذة سلمى شويط عن جامعة جيجل-الجزائر

قبل وصف جهود اللسانيين الجزائريين في تبني النموذج العرفني والوقوف على محاولاتهم في أجراء ما توصل إليه الدرس اللساني العرفني الغربي، والذي وصل متأخرا مع نهاية الثمانينات وبداية التسعينيات، وهذا على صعيد حقول عملية شتى أهمها التعليمية (تعليمية اللغة العربية) وتمعن ثمار ذلك على صعيد البحث اللساني العرفني، وعلى صعيد تطوير البحث في اللغة العربية، تجدر الإشارة إلى الأعمال التي تتراود من فترة إلى فترة أخرى من طرف مجموعة من الباحثين التونسيين والمغاربة وحتى الجزائريين، الذين كان لهم فضل السبق في طرق مستجدات البحث اللساني العرفني وشرح أبعادها النظرية للقارئ العربي، ناهيك عن تفضل بعض من الباحثين بالتطبيق العلمي لأهم مبادئها على نماذج نصية عربية، وعلى هذا الأساس سنحاول عرضها ومناقشتها ضمن الجانب التطبيقي من هذا العمل عن طريق انتقاء نماذج لسانية عرفنية مختلفة ورصد مجموعة من التجارب البحثية الجزائرية في حقل الدراسات العرفنية المتوصل إليها ووصفها وتحليلها، مع التركيز على أهم هذه الأعمال الإجرائية اللسانية من طرف الباحثين الجزائريين في كتاباتهم اللسانية، وتوضيح مدى نجاح عملية النقل والتطبيق في مجال اللسانيات العرفنية:

أولاً: قراءة في كتاب: مباحث لسانية عرفنية للأستاذ الدكتور صالح غيلوس:

يرى صالح بلعيد من خلال تقديمه هذا الكتاب لصاحبه أ.د. "صالح غيلوس" أنه من أهم الباحثين العرب الذين تطرقوا لآخر مستجدات الدرس اللساني الغربي الحديث وما نتج عنه من نظريات لسانية مختلفة باختلاف زوايا نظر المنظرين اللسانيين، ولّى ما يُحسب لصالح غيلوس، خصوصاً في البيئة العلمية الجزائرية تطرقه لهذا العلم الجديد ومبادرته بالخوض في اللسانيات ما بعد تشومسكي واصفاً هذه المحاولة بالمغامرة العلمية والتّظير الذي يرتبط بمنطق اللغات¹.

¹ - ينظر: مباحث لسانية عرفنية، تقديم الكتاب (صالح بلعيد).

وفي حقيقة، الأمر يشيد صالح بلعيد أيما إشادة بالمنجز اللساني الذي أتى به هذا الباحث ومردّد لك إلى أنّ هذا علمٌ مستحدث وجديد في السّاحة اللّسانية، لذا وجب فرض وجوده بين النظريّات اللّسانية الحديثة، وهذا ما رمى إليه فعلا صالح غيلوس.

وبالرجوع إلى ما رمى إليه الباحث، يمكننا القول إنّ، وبالرغم من أنّ اللّسانيّات العرفنية على درجة من التّعقيد من حيث مفاهيمها، سيما في جزئية تطبيقها وخاصّة في تفسيرها العمليات الذّهنية لعمليّتي الإدراك العقلي والإنتاج اللّغوي وما تعلّق باليتي التّفسير وتأويل المعنى، فقد استطاع الباحث فرضها في السّاحة اللّسانية¹.

وقد أوضح صالح بلعيد من خلال تقديمه لمحة عن جملة المفاهيم الأساسية التي تقوم عليها النظريّة العرفنية التي أتت كردّ لاذع عما أتى به تشومسكي من نماذج لسانية أسست للنظريّة التّوليديّة التّحويلية تحديدا مرحلة السّبعينيّات (مرحلة المعيارية الموسّعة، أو بما تسمّى النّهوضيّة الموسّعة)²، وبخلاف هذه السيّرة العلمية فقد أشار صالح بلعيد إلى العديد من الباحثين العرب الذين اهتموا بالنظريّة العرفنية؛ وهذا ما نشهده من أعمال لسانية في المجال العرفني، لاسيما في الآونة الأخيرة على مستوى الدرس اللساني العربي من تونسيّين ومغاربة ومصريّين وجزائريّين وغيرهم من العالم العربي أمثال: الأزهر الزناد، صالح غيلوس، صالح بوعمراني، صابر الحباشة، عفاف موقو، بشير ابرير، عمر بن دحمان، حمزة بن قبلان، عبد الرحمان طعمة، عطية سليمان أحمد، عدنان يوسف العتوم... وغيرهم من الباحثين المشتغلين على اللسانيّات العرفنية تنظيرا وتطبيقا.

والذين اجمعوا على اختلاف تبنيهم المصطلح Cognition وترجمته ترجمات متعددة، "بأنّه علم يبحث في كيفية اشتغال المعنى مؤيّدا في ذلك مصطلحي العرفانية/المعرفية كترجمة لما يقابلها للمصطلح الأجنبي La Cognition"³.

¹ - ينظر: مباحث لسانيّات عرفنية، المقدمة، أ.

² - ينظر: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 84، 85.

³ - مباحث لسانيّات عرفنية، التقديم.

أشاد أيضاً بالباحثين العرب طلبةً وأساتذة، والذين يجتهدون في مسعى هذا للتّظهير سيما الاجتهادات الرّاقية في هذا المجال تحديداً للباحث صلاح الدين يحي¹. وفي هذا الصّدد نوه على ضرورة تضافر الجهود لتشكيل أسس هذه الطّرية الحديثة والانتقال بها إلى حُرّ التّطبيق، وللّقضاء على إشكالية فوضى المصطلح وتعدّده، وهذا الأمر لا يستقيم إلّا بالاشتغال على توحيد المصطلح واعتماد المصطلح الموحد².

وحسب رأيه؛ فقد وقف صالح غيلوس في كتابه على تتبّع مختلف مراحلها والتّعرّيف بعلمائها وأعلامها والوقوف على مفاهيمها المنكّبة في عنصر مهمّ وهو المعنى وكيفية اشتغاله في بنية اللّغة والدّهن.

مقّمة: "ذهب صالح غيلوس في أول كلامه إلى مفهوم اللّسانيات العرفنية، وذلك كونه مفهوم يحيل إلى دلالات اشتغال الدّهن - اللّماغ - منوّهاً على أنّها علم تتداخل فيه مجموعة من العلوم والتّخصّصات الأخرى سيما الإدراكية"³.

هذا الأمر الذي مكّنها من أن تكون المحور الرّئيس في الحقل المعرفي؛ فهي تركّز على آليات اشتغال الدّهن ونشاطه لاكتساب المعرفة ومحاولة فهم جاتّة للأشياء المحالة على الواقع الخارجي وكيفية التّفكير بصفة عامّة وفق مستويات التّمثيل العرفني.

تعالج اللّسانيات العرفنية الأبنية اللّغوية من حيث التّكوين والتّصوّرات الدّهنية بموجب آليات عرفنية عامّة وضعها المؤسس العرفني راي جاكندوف، الذي يربط بين الأنشطة الدّهنية والسلوكية وبين العملية اللّغوية، والذي يتحقّق من خلال اشتغال نظم العقل البشري (اللّماغ) أي الاتّصال والانفصال مع التّجربة والمحيط.

وفي هذا السياق يؤكّد الباحث غيلوس أنّ اللّسانيات في أبسط مفاهيمها أنّها الجزء المتحقّق من خلال التّجربة الإنسانية العرفنية البشرية؛ أي يمكننا القول من خلال هذا السّياق

¹ - مباحث لسانيات عرفنية، التّقديم.

² - ينظر: اللّسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 83/84.

³ - مباحث لسانيات عرفنية، المقدمة، المؤلّف، أ.

أنها مشروع معرفي تتقاطع فيه مجموعة من العلوم، منها: "علم النفس، علم الحاسوب، علم الأعصاب (عصبونولوجيا) السبرنيتية، الذكاء الاصطناعي، علم الوظائف، البيولوجيا، وغيرها من العلوم والتخصصات المختلفة"¹.

- توطئة:

مأخذ النحو التوليدي التحويلي: "يرى الباحث أن هناك رأيين حول قيمة النظرية التوليدية التحويلية، فمن الباحثين من يرى أن هذه النظرية ذات أهمية بالغة وتواشجات مهمة للغاية، فهي لا تنأى عما بعدها من الدراسات اللسانية"².

وذلك لقيمتها المعرفية التي لا يمكن إنكارها في الحقول المعرفية، لذلك بات كلّ تجاوز لها تجاوز لكلّ ما هو علمي عقلي.

فيما يرى البعض الآخر أنه "من الضروري تجاوزها إلى حقول معرفية أخرى بنماذج لسانية أخرى تدرس اللغة، هذا الكيان المتجانس وفق أطر دلالية لا تركيبية فقط، والأغرب من هذا أنهم من الاتجاه التوليدي نفسه"³.

وما يُستشفّ من هذا أن الباحثين في رؤيتهم هذه النماذج اللسانية المنطوية تحت ما يُسمى النظرية التوليدية التحويلية رغم أهمية ما قصّمته من تصوّرات وأهداف وإجراءات ومنهج جديد تحاكي العقل في كيفية إنتاجه اللغة من جهة واكتسابها من جهة أخرى، إلا أنها بقيت قاصرة أمام المعنى وانحصارها في مزالق التركيب التي بقيت حبيسته رغم التعديل الذي أجراه تشومسكي من خلال كلّ مرحلة من مراحل نظريته، إذ بات من اللازم الخروج بنظرية لسانية تدرس اللغة بمنهج عقلي يربط بين الدلالة والفكر والعقل واللغة.

وفي هذا السياق عدّ تشومسكي موضوع اللسانيات التحويلية التوليدية أنه "تلك المعرفة التي يمتلكها المتحدث والمتكلّم المثالي، والتي تمكّنه من إنتاج عدد لا نهائي من الجمل من

¹ - مباحث لسانيات عرفية، المقدمة، أ.

² - نفسه، ص11.

³ - نفسه، ص12.

خلال قواعد استبطانية محدّدة في العقل البشري عبر الكفاءة اللغوية لديه لتنتج بذلك اللغة وتكتسب¹.

مضيفاً إلى هذا التّصوّر الجديد للغة أنّ منهج هذه الطّريقة هو "العقلي"، وهذا ما يبرّر صرامته في انتهاج المسار المعياري الدّغمائي حين دعا إلى ضرورة تجاوز المنهج البنوي من الوصف والتّصنيف إلى ما هو أهمّ من ذلك²، وهذا من خلال بناء نماذج صورية تتماشى مع الخصائص اللغوية البشرية؛ من زاوية رؤية اللغة في بنيتها السّطحية إلى عمق العمليات الدّهنية الباطنية على مستوى العقل البشري باليتي التّحليل والتّفسير، ويعني هذا أنّه اعتمد في دراسته مستويين؛ السّطحي والعميق، ومن أهمّ المفاهيم التي تطرّق إليها الباحث: التّوليد التّحويل، الكفاءة اللغوية، الحدس، العقلانية، التّجريد، الإبداعية، الصّورنة، الدّلالة وبناء المعنى.

ولّى من أهمّ المفاهيم التي عرض إليها الدّلالة وبناء المعنى: يهدف المحلّ بهذا الصّد إلى تتبّع البنية الظّاهرية السّطحية وصولاً إلى البنية العميقة للبنية السّطحية (إلى المستوى الأعرق) ليتحدّد بذلك كيفية بناء المعنى في الدّهن من خلال العمليات الدّهنية (الإكراه العرفني التّمثيل الدّهني...)؛ "فدلالة الأشياء تتحدّد من تلك العلاقة بين الفكر واللّغة بواسطة تجربته وتعامله مع الوقائع الخارجية المحيطة به، وهذا هو رهان العرفنية في رؤيتها للغة ودلالاتها"³. وممّا سبق يتعّن أنّ آراء الباحثين من أمثال: "بلاردكواين، جوناث كوهين، جان بياجيه أندريه مارتينييه، جاكندوف، لانفكار، لامبو، ولايكوف،...)، يجمعون على أنّ الطّريقة التّوليدية التّحويلية، قد وصلت إلى طريق مسدود غير قابل للاستمرار من خلال وقوعها في الغموض والالتباس وإهمالها الدّلالة واعتبارها تمثيلاً تركيبياً فقط، باعتمادها على أنّ عملية التّوليد عملية

¹ - مباحث لسانيات عرفنية، ص12

² - ينظر: يحيى عابنة، أمانة الزغبى، علم اللغة المعاصر مقدمات وتطبيقات، دار الكتاب الثقافي، الأردن، 2005، ص127.

³ - مدخل إلى النّحو العرفاني، ص39.

لجرائية رياضية صورية بحثة من خلال تجريد اللّغة عبر ثنائية الحدس والتّخمين للوقائع الباطنية لا الملاحظة المباشرة للوقائع الملموسة¹.

وبالتالي عيب عنه مغالاته في المنهج الصّوري واعتبار أن الإنسان كآلة الحاسوب المنتجة للكّم الهائل من الجمل عبر قواعد محدّدة دون اعتبار للدّلالة كأمر أساسي في عملية التّوليد والتّحويل، بل أمراً لا يتعدّى أن يكون ثانوياً فقط دون مراعاة اقتران التّمثيل الدّلالي بالبنية الطّمية من خلال قواعد الإسقاط التي صيغت بواسطتها الجملة².

- قواعد الحالات الإعرابية (شارل فيلمور):

أى التّطوّر الحاصل على مستوى الدّرس اللّساني الغربي الحديث، إلى ميلاد العديد من التّطبيقات اللّسانية التي تحمل رؤى وتصورات جديدة، ولعلّ آخر مستجدّاته الاتّجاه العرفني الذي يراهن على الدّلالة قاعدةً أساساً ومكوّناً رئيساً في النّموذج اللّساني الجديد، بعدما كان الرّهن عند تشومسكي هو التّركيب، ومن هذا التّطوّر بروز العديد من القواعد، كالتّحويلية الدّلالية العميقة لجورج لاكوف ومكاولي، وروس، والقواعد الطّبقية للامبو وقواعد الحالات لشارل فيلمور³.

ويُقصد بالحالة الإعرابية رتبة نحوية مهمّتها إظهار وظيفة الاسم المركّب في الجملة فالرتبة النّحوية ينجرّ عنها تغيّر الشّكل الإعرابي الذي بدوره يحدّد الحالات المختلفة للاسم من حيث الشّكل والعدد.

إنّ وظيفة الحالة الإعرابية إظهار العلاقات الدّلالية داخل البنية العميقة بالتّناسق مع البنية السّطحية، كالمسند والمسند إليه، والتي لم تستطع الكشف عن الحالة الإعرابية من قبل، وأنّها لم تهتمّ كثيراً بدراسة ظاهرة حالة الرّفع في أبعادها ووجوهها المتعدّدة. والحقيقة أنّ الدّراسات السّابقة أبانت عن قصر نظر أثناء تناولها هذا النّوع من الحالات؛ لأنّها كانت تعتبر

¹ - مباحث لسانيات عرفنية، ص25.

² - ينظر: عبد الله جاد الكريم، الدرس النحوي في القرن العشرين، مكتبة الآداب القاهرة، ط1، 2004، ص249/248.

³ - ينظر: مباحث لسانيات عرفنية، ص27.

المركّب الاسميّ (الفاعل) مقولة متجانسة، وفاعلاً للجملة مفهوماً واضحاً وشائعاً، وهو لا يحتاج تحديداً وضبطاً جديدين.

بيد أن فيلمور يوسع هذا المفهوم، ويرى أن العلاقة بين الاسم والفعل علاقة متنوعة ومتنوعة، ولا يوجد مبرر لاختصارها في حالة إعرابية واحدة. يُلَقَّ على هذه الحالة حالة اسم الفاعل، وتنطوي تحتها عدة دلالات تعبر عنها حالة الفاعل، على النحو: "الفاعل الضحية والفاعل المستقبل، والفاعل المستفيد، والفاعل المعاني"¹.

ونجد علاقات كثيرةً وظيفتها ربط التراكيب المختلفة ببعضها البعض، ويمكن أيضاً تمثيلها بعناصر صغيرة تسمى: العلاقات الدلالية التي تربط الفعل ببقية الحالات الإعرابية وقد قدم فيلمور مقترحات تعديل تُمسّ البنية العميقة من أجل تطوير المفاهيم اللسانية إلى جانب هذا تمكين المتكلّم والسّامع من إصدار أحكام مختلفة كأن: من يقوم بالحدث؟ ومن يقع عليه حدث ما؟ وما الذي حدث؟ ومتى حدث؟ ولماذا حدث؟ وأين حدث؟ ولماذا؟

وهذه أمثلة توضيحية لما سبق:

- كتب الطّالب المحاضرة.
- كتب بالقلم المحاضرة.
- كتبت المحاضرة بقلم الطّالب.
- كتبت المحاضرة بالقلم.
- استخدم الطّالب القلم لكتابة المحاضرة.
- كتبت المحاضرة بالقلم من طرف الطّالب.
- ليخرج بنتيجة مفادها أن الاسم المرفوع بعد الفعل لا يكون فاعلاً دائماً.
- ويضيف إلى جانب هذا عدة علاقات دلالية للوحدات على النحو:
- الطّالب منفذ.

¹ - اللسانيات التوليدية، من النموذج المعيار إلى البرنامج الأدنى، ص 05.

- القلم أداة.
- المحاضرة مجرد اشتراك مع الطالب.
- المحاضرة موضوع.
- الطالب مستفيد.
- المحاضرة موضوع (الاستعانة بالأداة القلم).

وقد هدف من خلال هذا التعديل إلى أسلوب جديد يسهّل على الدارس اكتشافه العلاقات الدلالية التي تربط الفعل ببقية الحالات¹.

وقد أطلق صالح غيلوس حكماً عن هذا المقال بقوله: "إذا ما سلّمنا أنّ الفعل هو العماد في اللغة الأجنبية، فإنّه عكس ذلك في اللغة العربية، فهو ينحصر في الجمل الفعلية"². و صفّ فيلمور الأفعال في نظريته إلى ثلاث حالات: تطورية وحالية وحدثية، ثمّ صفّها في الحقول الدلالية من أفعال أساسية وإجرائية ومتعّية ملاحظاً أنّ ترتيب الحالات يحدّد نوعية الجملة (باختيار الفعل) وأنّ حالة معيّنة لا يمكنها أن تظهر إلاّ مرة واحدة في الجملة الواحدة وأنّ ما يبدو من حالات متشابهة في الجملة الواحدة هو في البنية العميقة حالات مختلفة، وعدم حصر الحالات الإعرابية في اللغات ذات الحالات الإعرابية التي تبين هذه الحالات، وهنا ينبغي التمييز بين الحالة والشكل، فالحالة علاقة ضمنية تحتية ذات طبيعة تركيبية دلالية تظهر سطحياً عن طريق أشكال إعرابية أو بواسطة حروف، أو يعو عنها بواسطة تقديم، أو تأخير بعض العناصر داخل الجملة، وأنّ الحالات الإعرابية ظاهرة كدّية تعرفها كلّ اللغات غير أنّ تحقّقها يختلف من لغة إلى أخرى³.

¹ - ينظر: مان الواعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دار طلاس، سورية، 1987، ص78.

² - مباحث لسانيات عرفية، ص31.

³ - ينظر: نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، ص78.

وقد وضع صالح غيلوس في هذا السياق نموذجاً من اللغة العربية لكل نموذج اقترحه فيلمور للحالات الإعرابية بالنسبة للنموذج المنفذ والأداة والمجرب والمستفيد والواقع والمحلية والهدف، ممّا بذلك الأدوار الدلالية من حالات رئيسة وحالات ثانوية.

وقد أرجع الباحث سبب العوائق والصعوبات التي طالت اللغات في هذا السياق إلى ذلك الغموض التي أحدثته التصانيف الدلالية، ويرى الباحث أنه بالرغم من تلك المعوقات إلا أن هذه النظرية تعدّ من أبرز النظريات الحديثة خاصة في شقّها الإجرائي الذي مكّن الدارسين من وصف اللغات ومقارنتها بعضها ببعض، ناهيك عما قوّته من آليات في نظريات اكتساب اللغة الأم، وهذا ما أكسبها أهمية بالغة خاصة في ظلّ ما تقمّمه من حلول لمشكلات عجزت النظريات اللغوية الأخرى عن حلّها، وكما يصفها الباحث أنها همزة وصل بين النظريات اللسانية البنوية، وعلم الإدراك اللغوي، واللسانيات العرفنية.

وقد أورد الباحث في سياق آخر مبحثاً تضمن مبادئ النحو الذهني لرونالد لانقاكر، إذ عرض فيه الإرهاسات الأولى للنحو العرفني؛ والذي يُعدّ نظرية دلالية شاملة سادت فترة الستينيات، وقد كانت البدايات الفعلية لهذه النظرية "النحو العرفني" في التسعينيات على يد "لانقاكر"، حين أعلن قطيعته مع جلّ الدراسات اللسانية المهمة للمعنى والمقصية له كاللّسانيات البنوية مندداً بالمعنى، ومرّده في ذلك أنّ المعنى ليس عنصراً غير قابل للتّحديد والتّعيين فقط، وأنّها بوصفه قائمة من العناصر المحتكمة لمجموعة العمليات الذهنية التّصورية الدّقيقة، ومن ثمّ فإنّ المعنى لا يُعدّ إحالات توافقية لمجموعة الحقائق مع ما تحيل عليه من مدلولات للعالم الخارجي فحسب، بل كيّاناً ذهنياً عقلياً تصوّرياً لا يمكن إهماله أو إبعاده عن مجال الدراسة العلمية¹.

وفي هذا السياق أدرج الباحث مجموعة من مبادئ النحو العرفني مظهرًا المقصود من كلّ مبدأ مشيراً كلّ مرّة إلى ما أضفاه العالم "لانقاكر" من مفاهيم وخصائص النحو العرفني

¹ - ينظر: مدخل إلى النحو العرفني، ص29.

حيث تحلّت أولاً عن المعنى ورؤية لانقار الجديدة له، وضرورة عدم فصل التّركيب عن باقي مستويات اللّغة التي لا يمكن وصفها بـ معزل عن العمليات المعرفية لأنّها نسق تامّ منسق غير قابل للانفصال¹.

وبهذا يكون المعنى مكوّنًا دلاليًا يتجسّد من خلال العلاقة الرّابطة بين الأبنية اللّغوية والتّجربة والعالم، فاللّغة مجموعة من الأبنية والأنساق المترابطة والمنسجمة والمتّسقة فيما بينها إذ لا يمكن فصل هذه المستويات عن بعضها البعض، فهي كيان ذاتيّ موحّد، فالعنصر اللّغويّ لا تتحدّد ماهيته إلّا من خلال ضّمّه بالعناصر اللّغوية الأخرى يكون فيها الاستعمال والسّياق المسؤول عن تحديد المعنى، وبسقوط أيّ مستوى من المستويات تنهار الأنساق والأبنية المعول عليها في تحديد الحمولة الدّلالية لذلك الرّمز اللّغوي؛ ولهذا الغرض يقوم النّحو العرفني حسب "لانقار" على مبدأ آخر وهو "خطاظة الصّورة"، إذ يفصلها الباحث من حيث المفهوم والمقصود منها، إذ يعتبرها: "شبكة تصوّرية تتضمّن نشاطاتنا الجسدية ومعرفتنا الذّهنية... وتحكم رؤيتنا المنسجمة للحياة والكون"².

وهذا ما يتناسب نوعاً ما مع ما يذهب إليه "لانقار" في رؤيته للخطاظة، والتي تشكّل عنده مجموعة المقولات الأساسية المتضمّنة عدداً غير محدّد من الخصائص والتّفاصيل، تكون انطلاقتها من إدراكنا للعالم الخارجيّ وما يدور حولنا وكلّ ما يتعلّق بتجربتنا الجسدية ثمّ تصبح على شكل تصوّرات، ثمّ تنتزع المظاهر القارّة من التّجربة الواحدة لتشكّل ما يسمّى الإطار العامّ، فخطاظة الصّورة شبكة من المفاهيم التّصويرية تربطها علاقات ذهنية متنوّعة كالعلاقة المقترنة بالزّمن، كدلالة الأفعال وعلاقة غير مقترنة بالزّمن، كالأسماء وعلاقات أخرى قد نجدها في الكثير من اللّغات الطّبيعية علاقات يقيمها الذّهن خارج دلالة الزّمن، كالصفات والظّروف والحروف.

¹ - ينظر: مباحث لسانيات عرفنية، ص44.

² - مباحث لسانيات عرفنية، ص45.

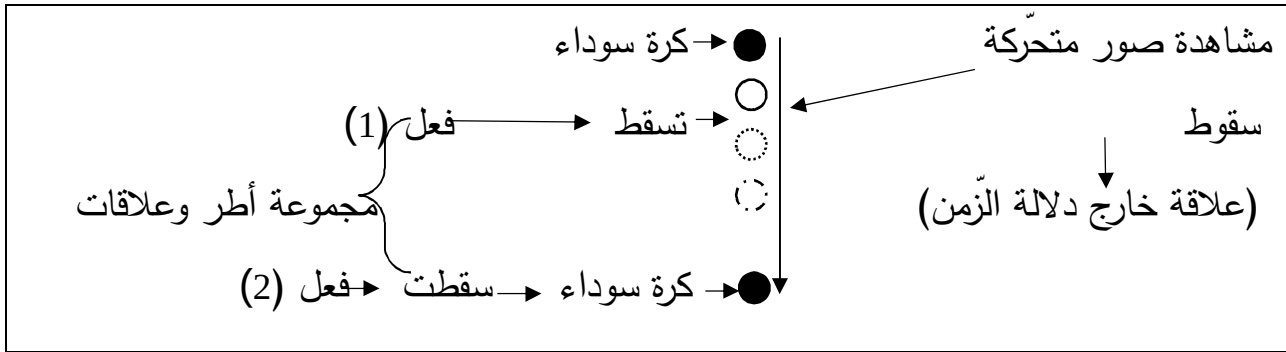
فهذه العلاقات وفقا للتقسيم الذي ضمنه لانفاكر في تحديده لها تنقسم إلى نوعين -بحسب ما وضعها الباحث - وهما:

- علاقة الزمن المتصور وزمن التصور.

- علاقة المسح الإجمالي (المسح التتابعي).

حيث يعرف الزمن المتصور؛ أنه الزمن التي تستغرقه الوضعية التصويرية، أما زمن التصور فما تستغرقه عملية التصور؛ أي عملية المسح بالإضافة الى عملية التسجيل ومن ثم فإن المقصود بعلاقة المسح الإجمالي لديه هو إعادة بناء الحدث كاملا بناء ذهنيا، وهو نمط من أنماط المعالجة العرفنية، ويشغل عند مشاهدة صور متحركة ضمن هذا الفضاء¹.

تحليل البنية اللغوية ضمن خطاطة الصورة:



نلاحظ من خلال هذا الشكل (كرة متحركة في الفضاء):

علاقة مقترنة بزمن²:

- الفعل: تسقط، سقطت وما بينهما الزمن المتصور (سقطت) وزمن التصور (فعل السقوط من البداية إلى النهاية).

علاقة غير مقترنة بالزمن:

- الاسم: كرة.

- الاسم: سقوط.

¹ - ينظر: نظريات لسانية عرفنية، ص 125-126.

² - ينظر: نفسه، ص 46.

- علاقات خارج دلالة الزمن¹:

- الصّفة: سوداء.

يسمى لانقار:

- نقطة الابتداء (رأس السلسلة)

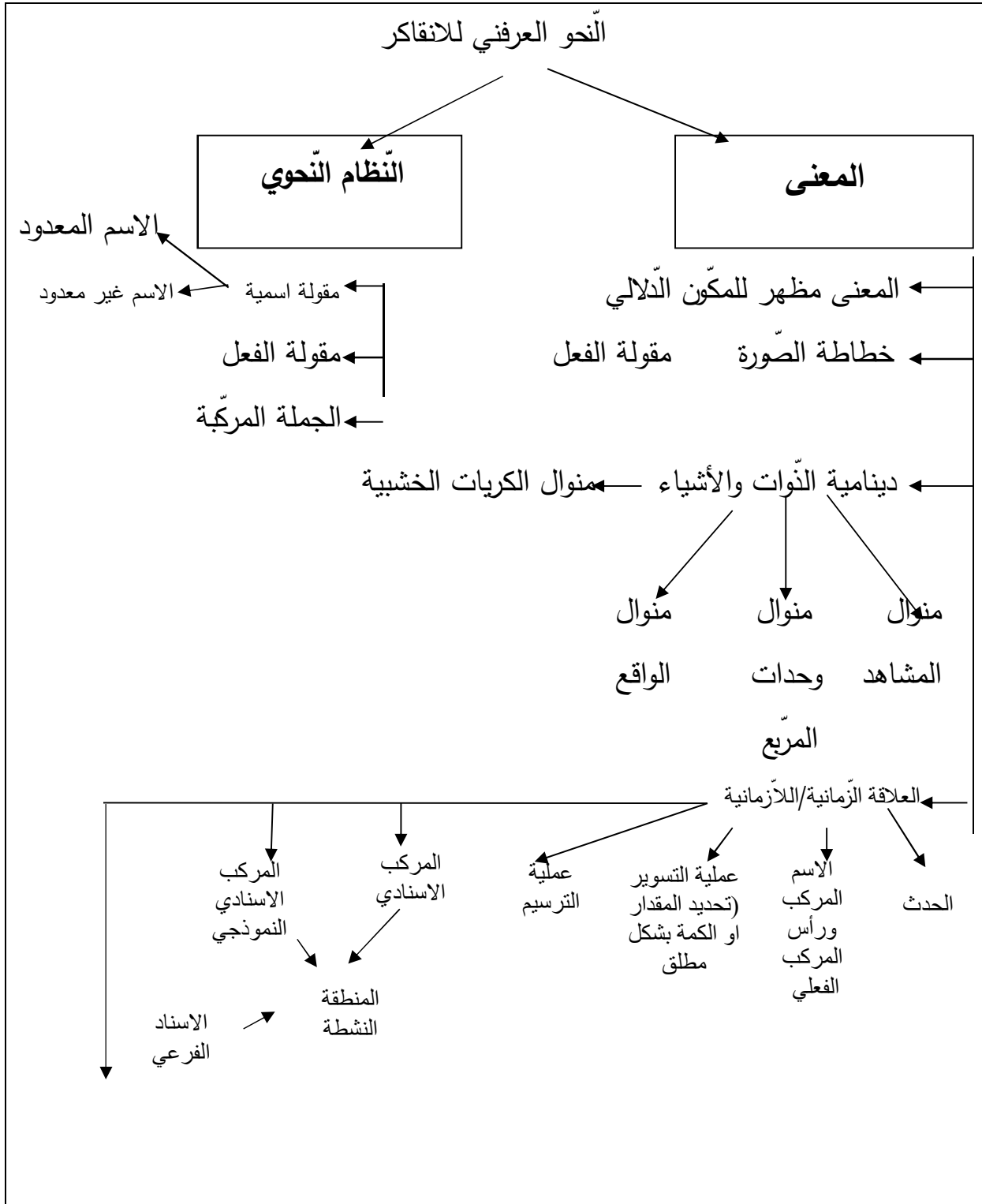
- نقطة الانتهاء (ذيل السلسلة).

تتبنى تقنية هذا التحليل على مبدأ ثالث وهو دينامية النوات والأشياء، يقوم الإدراك البشري فيها للمدركات من حوله ضمن علاقته مع العالم الخارجي على قسمين: قسم الأشياء وقسم النوات اللذين يتمّيزان بخاصية الدينامية (الحركية)، فتمنح طاقة دينامية للأشياء الساكنة والطاقة لذواتنا فيصبح الساكن متحركاً، وعلى سبيل المثال: مقولة الاسم الدالة على السكون والثبات وعلاقتها مع مقولة الفعل الدالة على التغيّر والاستمرارية، التي تنتج قاعلاً يترتب عنه ذلك الثن الذي تخضع له الوحدات اللغوية داخل البنية التركيبية بفعل علاقة التأثير والتأثر وتمتثل هذه الحركة التّابعة لسلسلة الأحداث إلى الطاقة الشّحنية من البداية إلى النهاية وعليهما يقع تحديد الوظيفة الدّلالية لكلّ الوحدات اللّغوية داخل النسق التركيبى من: الفاعل والمفعول به، والوسيلة والمستفيد من الحدث ويسمى لانقار هذه التقنية للمعالجة العرفنية في النحو العرفني لديه: منوال الكريات الخشبية الذي يتحدّد دوره في تمثيل الدّالة، وهناك مناويل أخرى كمنوال المشاهد، والذي يتمثّل في التّجربة الإنسانية الحسيّة كتجربة المبدع الأدبي في نقله صورة واقعية كانت أم من نسج الخيال لتصورات ذهنية هي في الحقيقة وقائع زمانية ومكانية معاشة من ذي قبل عبر قطعة لغوية ذات أبعاد دلالية مستمدة من (الطاقة، الزمان الكون) ساهمت بصورة أو بأخرى في بناء الأحداث.

بالإضافة إلى منوال وحدات المربع والذي يُعنى بتحليل خصائص الأبنية اللّغوية غير مشخصة ثمّ منوال الواقع، وآخر مبدأ تطرّق إليه الباحث العلاقات الزّمانية واللازمانية وفيها

¹ - ينظر: نظريات لسانية عرفنية، ص 129/128.

الحدث المتكوّن من مجموعة الأطوار الممتدّة عبر الزّمان المتصوّر والتي تخضع للمسح التّابعي وكلّ العلاقات التي تحتكم للزّمن، والتي تدخل في تحديد وتوضيح الدّلالة والمعنى والشّكل الآتي يوضّح الأسس والمبادئ العرفنية التي يقوم عليها نحو لانفاكر، وبحسب ما ذهب إليه الباحث غيلوس:



كما أن الباحث أضاف عدة مباحث أخرى؛ إذ ضمّ مبحثاً موسوماً: "البنية التّصوّرية وتمثّل المعنى " لراي جاكندوف"، استهلّها بتوطئة ذكر فيها الغاية من البنية التّصوّرية في إبراز المعنى والاعتماد على مركزية الدّلالية؛ فالبنية التّصوّرية على حدّ قول الباحث، وكما يراها جاكندوف البنية التّصوّرية: " بنية دلالية تفسّر من خلال ثلاثة مكوّنات: اللّغة، الذّهن، العالم الخارجي والذي يشكّل بواسطة التّجربة الإدراكية الحسيّة وإدراك أسس التّفاعل لتأسيس المعنى والدّالة"¹.

ومن المفاهيم التّأسيسية التي أوردها الباحث لراي جاكندوف؛ أولاً التّصوّر الذّهني بما فيه من التّصوّر والعلاقات الذّهنية والتّصوّر والتّمثيل الذّهني، ثمّ انتقل إلى قيود وقواعد سلامة البنية التّصوّرية، وقد عنّدها إلى قيد التّعبيرية وقيد الكلّيّة، وقيد التّأليفيّة، أقرّ جاكندوف أنّ هذه القيود غير كافية لذا وجب منه إضافة بعض المبررات، وعلى هذا الأساس أورد مبررين إضافيين في مجال النّكاء الاصطناعي وهما مبرر منهجي، ومبرر آخر يوضح ما يمكن إحصاؤه ووصفه بواسطة الحاسوب، فالتّصوّر الذّهني كما جاء في علم النفس الصّورة الحاصلة في الذّهن بجملة العمليات العقلية المسؤولة على تكوينها بصور ذهنية للأشياء أو الأحداث إلى جانب هذا تقوم بإعادة بناء الإدراكات السّابقة واللاحقة²، وكما يشيها الباحث بعملية استبطان الشّيء، وفي حقيقة الأمر فإنّ هذا التّصوّر ينبني وفق علاقات ذهنية، كعلاقة الارتباط بين مجموعة من الكلمات التي تكتسب المعنى الضّماني لها من خلال علاقتها بالسّابق واللاحق داخل الحقل الدّلالي الواحد، فالحقل الدّلالي أساس تكوّنه وإنبنائه، فهو في ذاته ذلك التّصوّر القائم بين العلاقات الذّهنية، ومنه فإنّ كلّ معنى له تصوّر ذهني وكلّ تصوّر ذهني بموجب العلاقات الذّهنية له تمثّل وتجسّد تصوّري ذهني قد يأخذ طبيعة حسيّة ومائيّة، ولا مائيّة، وإدراكية، يمكن لنا إن جاز التّعبير أن نقول إنّها بمثابة إسقاطات وإحالات من الواقع

¹ - مباحث لسانيات عرفنية، ص 60.

² - نفسه، الصفحة نفسها.

الخارجي الملموس إلى الواقع الفضائي الذهني المجرد، وهذا ما يطلق عليه جاكندوف¹: "مقولة الواقع، وفي ذات السياق وضع جاكندوف القيود المذكورة آنفا لضمان سلامة البنية التصورية وانتظام الدلالة، وذلك من خلال مجموعة من الشروط، كشرط السلامة للبنية التصورية وهو مراعاة الوتيرة التصورية للبنية التصورية، مع الأخذ في الحسبان التمثّل الذهني الواحد (البنية العرفنية) لبعض التصوّرات، كالمصطلحات التي تحمل دلالة محدّدة بعينها، كمصطلح"²:

(الشيء، المكان، المسار، العمل، الحدث، النوعية، الكمية، الحالة، الخاصية)، إضافة إلى هذا الشّروط أضاف جاكندوف شرط الإبداعية والكفاءة التعبيرية الوصفية بغية رصد الفروق الدلالية القائمة بين اللّغات وشرط الكليّة المفروضة على البنى الدلالية بالاتّسام بها، وشرط (قيد) التّأليفيّة؛ والمراد منه قدرة متعلّمي اللّغة على إنتاج عدد لا نهائي من الأقوال وفهمها³.

أمّا بخصوص العلاقات الدلالية وضع جاكندوف جملة من القيود التي تحكمها، وقد ذكر الباحث منها القيد النّحوي الذي يربط بين المستوى التركيبي والدلالي، فيتيح بذلك هذا الرّبط تشفير المعلومات الذهنية التي تستجيب لمبدأ تعالق الشّكل مع المضمون⁴.

ومن ثمّ يمكن تقليص الهوة والفجوة ومظاهر الاختلاف بين البنية الإعرابية والبنية الدلالية، فكلّا البنيتين تساعدان في تعزيز قدراتنا العرفنية، ووضع شرط آخر وهو القيد العرفني قصد تفسير سيرورات الإدراك البشري وعلاقته بالسلوك اللّغوي، وذلك من خلال وجوب افتراض مستويات للتمثّل الذهني ومن ثمة وجود بنية تصورية انطلاقاً من الملاحظة المزدوجة لقدرتنا على التّعبير داخل مدركاتنا الحسيّة وحواصنا وعلى تنفيذ الأوامر والتّعليمات كلامياً⁵.

¹ - الحداد مصطفى، اللغة والفكر وفلسفة ذهن، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2013م، ص56.

² - نفسه، ص72.

³ - ينظر: مباحث لسانيات عرفنية، ص63.

⁴ - ينظر: عبد المجيد جحفة: مدخل إلى الدلالة الحديثة، مكتبة تستان المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، 2000م، ص102.

⁵ - ينظر: أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسّسة رحاب الحديثة، لبنان، 2010م، ص107.

من خلال ما سبق مرّ الباحث على مبدأ آخر مهمّ ألا وهو: مبدأ بناء النسق للأصوري ومفاده أنّ كلّ إنسان له القدرة الذهنية على تكوين صور ذهنية للأشياء من حوله حسية كانت أم مجردة من خلال تجربته الإنسانية والجسدية مع الواقع الخارجي تتجسّد في ذهنه بمجموعة من الأنساق والأبنية التّصوّرية حيث تنتظم التّجربة فيها بالمعرفة وبالتّظيم وبالتّرتيب للأنساق التّصوّرية، وقد تختلف قدراتنا التّعبيرية للأشياء بحسب قدراتنا الذهنية (العرفنية)، إذ تتفاوت نسبة الإدراك والتّفاعل بين شخص وشخص آخر، فكلّ حسب إدراكه واستيعابه لجملة الوقائع والتّجارب المختلفة باختلاف الأبعاد الإدراكية للأجهزة الحسية البشرية، والأبعاد الحركية كطبيعة التّفاعل الحركي للأشياء من حولنا، أيضا الأبعاد الوظيفية القائمة على تصوّرنا لوظائف الأشياء، دون أن ننسى الأبعاد الغرضية القائمة على الاستعمالات التي تصلح لنا في أوضاع معيّنة¹، لهذا يرى الباحث غيلوس أنّه لا بدّ من المستوى الداخلي الذي تنقسم فيه تمثيل المعلومة التي تأتينا بلغة منسجمة ومتسقة ومتطابقة مع ما يحيل عليها في العالم المحيط بنا ونصل إليه من خلال حواسنا، ولهذا الأمر حدّ جاكندوف مستوى واحداً من التّمثيل الذهني سمّاه البنية التّصوّرية كما بيّنا سابقا.

وتماشيا مع ما سبق ذكره من طرف الباحث فقد تمّ إدراجه أهمّ مبدأ قامت عليه اللسانيات العرفنية وهو مركزية الدلالة، إذ وضح أنّ الحركة التّطورية التي مسّت الدرس اللساني الحديث سيما ما تجدّد في النظريّة التّوليديّة التّحويلية من خلال نقدها وبروز التّيار التّوليدي الدّلالي الذي نادى بالابتعاد عن مركزية الإعراب واللّجوء إلى مركزية الدلالة لاعتبارات عدّة من بينها -على حسب رأي الباحث- أنّ اللّغة تضمّ وحدات لغوية معجمية صرفية، نحوية ووحدات رمزية تربط بين قطب دلالي وآخر فونولوجي، لأنّ الوحدة اللّغوية لا يمكن أن تتحدّد دلالتها وسلوكها اللّغوي داخل التّركيب إلّا بتحديد مفهومها الدّلالي وبنيتها التّصوّرية، وبذلك فإنّ معنى الجملة يتحدّد من خلال تصوّر المرسل والمرسل إليه، وقد شرح الباحث عملية انتقال النظام اللّغوي

¹ - يُنظر: الاستعارة القرآنية في ضوء العرفانية، النموذج الشّبكي، البنية التّصوّرية، النظريّة العرفانية، ص 40/39.

بدأ من الصوت أو الإعراب أو الدلالة وصولاً إلى بنية أخرى، والتي تتم وفق توسط التّصافحات¹، وهذا المفهوم أتى به " راي جاكندوف " للدلالة على تلك الآلية التي يجب أن تمتثل إليها اللّغات الطّبيعية بكلّ ما تحتويه من تمثيلات وأنظمة، فالّتصافح هاهنا هو ذلك الانتقال من الصّفيح الأول إلى الصّفيح الثّاني وفق ما تملّيه التّوافقات القواعدية فيما بينهما وهكذا حتّى تصل عملية الانتقال إلى الصّفيح الأخير، ومن ثمّ يتمّ الانتقال من مستوى إلى مستوى لغوي آخر، ولّى المراد من التّصافح الاقتران والانتقال من وضع إلى وضع آخر بطريقة انسيابية، ومنسجمة، ومتّسقة، ومتناسقة، ومتناسبة، ومتتابعة، ومتوافقة.

وفي هذا السّياق ذكر الباحث عناصر التّصافح الثّلاثي في ثلاث²: " التّصافح الصّوتي الإعرابي، والتّصافح المفهومي الإعرابي، والتّصافح المفهومي الصّوتي، ومن هنا خلص الباحث إلى رؤية جاكندوف للبنية الدّلالية والتي اعتبرها مجموعة فرعية من البنية التّصوّرية لاعتبارات أنّ العلاقات بين المكوّنات محدودة في البنية التّصوّرية".

وليستوفي مبحث البنية التّصوّرية وتمثّل المعنى لراي جاكندوف حقّه أضاف الباحث "غيلوس" مبحثاً آخر يعدّ مكّلاً ومبحثاً توضيحياً لما سبقه من المباحث، كما يشكّل نسبةً لا بأس بها من الرّاسات العرفنية العربية في مجال اللّساني العرفني تحديداً الاستعارة العرفنية فقد تمكّن الباحث من الإلمام بجوانب هذا الموضوع من خلال تطّرقه لنسقية التّصوّرات الاستعارية (لايكوف، جونسون)، إذ تحدّث أولاً عن ماهية الاستعارة العرفنية وأركانها وخصائصها وأنماطها وأنواعها المتعدّدة مع إشارته لنماذج مختلفة كان في كلّ نموذج يستعمل نوعاً من أنواع الاستعارة من بنيوية، اتّجاهية، أنطولوجية، إبداعية وآليات الاستعارة من تزامنية، الفهم، الخيال، .. وغيرها من الآليات وقبل التّطّرق لبعض هذه النّماذج الشّعريّة المنتقاة من طرف الباحث بطريقة تقنية، حيث في كلّ اختيار تكون مناسبة لنوع الاستعارة الدّالة عليها نبه

¹ - ينظر: نظريات لسانية عرفنية، ص 64/65.

² - نفسه، ص 68/70.

الباحث إلى أن الاستعارة ظهرت على يد الباحثين جورج لاكوف ومارك جونسون ومارك تورنر الذين رأوا أن فهم اللغة لا يتم ولا يكتمل دون تمثّل واضح للمجاز¹. ويرى الباحث أولاً أن الاستعارة وسيلة لتصور شيء من خلال شيء آخر؛ أي أنها وسيلة تربط البناء بين نموذجين أحدهما يسمّى المصدر والثاني هو الهدف، وقد أكّد الباحث على أن الاستعارة تكون مستوحاةً من حياتنا اليومية، بل هي ملازمة لتجارنا الإنسانية ولهذا الأمر خرجت الاستعارة العرفنية عن مفهومها التقليدي بوصفها أداة بلاغية وجمالية وشعرية²، إلى مفهوم حديث آخر يخصّ اللغة العادية أثناء الاستعمال بوصفها أداة تأخذ من مجالين عرفنيين تجمعها توافقات دلالية³، وعلى هذا الأساس أوضح الباحث أركانها من خلال إقراره شكل الاستعارة؛ إذ يقول بهذا الصدد أن تمظهر الاستعارة في المنظور التفاعلي من خلال تفاعل فكرين يجتمعان في وحدة واحدة حسب التوافقات الدلالية بينهما ووفق علاقة الائتلاف والاختلاف تستدعي هذه العلاقة علاقة أخرى تكون على درجة من التلاحم وهي علاقة المشابهة والمطابقة، وفي حقيقة الأمر هذا المفهوم كان سائداً منذ الحضارة اليونانية خاصة في موضوع الاستعارة لدى أرسطو الذي يؤكّد على جزئية المطابقة، ومن هنا حسب رأي الباحث تصبح اللغة مرآة عاكسة وناسخة لموضوعات وأشياء العالم وترجمته في نسق سيميائي دالّ، ومن خلال هذا الطرح تكلم الباحث عن خصائص الاستعارة العرفنية، وقد أوردها في خاصيتين⁴:

خاصية الوضوح: والتي كلّما كانت المحمولات فيها محدّدة كلّما قلّت كثافتها وتحدّ تراؤها واتّضحت معالمها وكانت أكثر وضوحاً وبياناً.

¹ - ينظر: مباحث لسانيات عرفنية، ص 80.

² - نفسه، الصفحة نفسها.

³ - ينظر: الصفحة نفسها.

⁴ - نفسه، ص 81.

خاصية الذّراء: كلما ارتفع الذّراء انخفض الوضوح فيها آليا وزادت سمة الغموض، ومن أنماط الاستعارة التي قسمها الباحث؛ الاستعارة الوضعية، والاستعارة الإبداعية وهذا التمييز ذاته الذي ذهب إليه "لايكوف"، ومن أنواع الاستعارة العرفنية: الاستعارة البنوية، الاتّجاهية، الأنطولوجية ولكلّ نوع ممّيزات خاصّة.

وقد عرّف الباحث الاستعارة البنوية أنّها: "عملية إسقاط مجال عرفني على مجال عرفني آخر، الأول يسمّى ميدان مصدر، والثاني ميدان هدف"¹.

وقد أدرج عدّة أمثلة في هذا السياق موضحا آلية التّحليل اللّساني العرفني بواسطة الاستعارة العرفنية بنوعها الاستعارة البنوية على أمثلة لايكوف، ومستخلص النموذج الذي عرضه عن لايكوف أنّ الاستعارة البنوية تبين عن طريق ما يحمله الميدان لمصدر من حملات دلالة مختلفة ومفاهيم محيطة به تكون متشابهة ومطابقة نوعاً ما بكلّ ما يحيط من دلالة للميدان الهدف، وهذا ما بيّنه في هذا النموذج، الذي تدور بنيته الفسقية حول مجالين عرفنيين (الهدف: الوقت، المصدر: المال)، إذ أسقط مجال المصدر المال على مجال الهدف: الوقت بكلّ ما يحمله المال من عناصر وروابط مكوّنة لتصور المال والموجودة في الذّهن وعلى هذا الأساس وضع لايكوف أنماطاً تحتكم إليها هذه الاستعارة وهي كالآتي²:

"تعميمات حاكمة للتّعدّد الدّلالي، تعميمات حاكمة لنماذج الاستدلال، تعميمات حاكمة للغة الاستعارية الجديدة، وتعميمات حاكمة للتّغيّر الدّلالي".

وفي مثال آخر، تحدّث الباحث عن الإسقاط الاستعاري التّصوري البنوي "للمرايا المنتحبة" "غيلوس صالح"³ الطّافحة بالاستعارات العرفنية بأنواعها المختلفة لكثرة الصّور الاستعارية فيها، ولكثرة تصوير المشاهد المتعدّدة لمجموعة من الحكايات الأسطورية بدأها بتجربة الشّاعر الدّاتية، ثمّ روايته لعدّة حكايا تحاكي أسطورة جبل النّار "بأذربيجان" للأميرة وبطلها المغوار،

¹ - مباحث لسانيات عرفنية، ص 85.

² - ينظر: النظرية المعاصرة للاستعارة، ص 11.

³ - صالح غيلوس، المرايا المنتحبة، مطبعة البدان للنشر والتوزيع، الجزائر، 2017م، ص 10.

وحكاية المسيح الذي مشى حافيا على سطح ماء البحر وتسلسلت الأحداث من البداية إلى النهاية المفتوحة من خلال أنماط مختلفة من الأفعال، كنمط (الجدال)، إذ يحيل على استعارة تصوّرية لمجالين عرفنيين هما (الجدال، الحرب) يكون الجدال فيها خطابا لغويا والحرب صراعا مسلّحا وهما نمطين مختلفين من الأفعال، ولكن يفهم ويبين وينجز الجدال من خلال المجال (الحرب).

- الجدال: هدف.

- الحرب: مصدر.

ومن ثم فإنّ التّصوّر والنّشاط العملي يتّسقان وبينبيان استعاريا¹.

وقد تكون الاستعارة إبداعية حينما تقوم على علاقة التّفاعلية مع المحيط البيئي والعقائدي، الأمر الذي يؤثّر إلى ظهور مفهوم جديد يسمح بإضاءة ظاهرة الإبداع الدّلالي².
أمّا الاستعارة الاتّجاهية فيقصد بها الباحث "غيلوس" تلك الاستعارات التي لها علاقة بتفاعل الجسد ضمن الفضاء الفيزيائي وما حوله، إذ يستحوذ على مكانته تبعاً لموقع الجسد في الفضاء، وقد تتجلّى في ظروف المكان مثلاً، وتختلف وضعية الجسد والأجساد الأخرى في رؤيتها الأشياء، فما يراه أحدهم الأمام هو الخلف بالنسبة للآخر، والشّيء نفسه بالنسبة للأعلى والأسفل، واليمين واليسار... الخ، فكلّ له فضاءه الخاصّ الذي يتموضع ويتموقع فيه وقد ضرب الباحث عدّة أمثلة عن هذا النوع من الاستعارات من خلال قصيدته عراجين الملح وفي قصيدة أخرى بعنوان "الجلنار"³ تكلم فيها عن نوع الاستعارة الأنطولوجية، والذي يقصد بها الاستعارة، التي تتجلّى قيمتها من خلال عدّة مفاهيم من:

¹ - الاستعارة القرآنية والنّظرية العرفانية، ص46.

² ينظر: هिला عبد الشّهد الأبعاد الدّأويلية، مجلّة الدّربية، جامعة بغداد، ع 26/22، 2016م، ص389.

³ - مباحث لسانيات عرفنية، ص94.

- التّجسيد: "من خلال تفاعل الجسد بما هو نظام إدراكي وجهاز حركي مع عناصر الكون الخارجي"¹.

- الفهم: "عملية واعية ولا واعية يستند الإنسان فيها إلى مخزونه المعرفي، أي عندما تتولد وضعية تفكيرية مجموعة من التّقابلات الاستتباعية، يكون فهمها باستخدام الواقع الملموس بتوظيف ما حولنا من علامات مبنوثة في العالم الخارجي"².

- الخيال: "القوة التي من شأنها أن تمكّن صورة بعينها أو إحساساً بذاته أن يسيطر على غيره من الصّور والأحاسيس فتتناسب في بوتقة واحدة وتتحقّق بذلك الوحدة فيما بينها"³.

وفي ذات السّياق أورد الباحث مجموعة أخرى من الاستعارات ومجالات استعمالها واستخدامها وكيفية عملها ومفهومها، كالاستعارة التّزامنية واستعارة الخطاطة، واستعارة الكيان واستعارة الوعاء.

وختاماً لهذا المبحث "نسقية التّصوّرات الاستعارية لايكوف وجونسون" انتهى الباحث غيلوس فيه إلى نتيجة مفادها أنّ الاستعارة كمجال فكري هيمن على التّفكير الإنساني، وعلى الفسق التّصوّري، وموقع الاستعارة هاهنا ليس في اللّغة فقط، وإنّما هي تلك العملية الذهنية التي تستعملها من أجل فهم مجال عرفني معيّن وفق مجال عرفاني آخر، فالاستعارة لديه "عملية تقوم على استغلال آلة الذّهن في إدراك ما حولنا بخلق مجال آخر مشابه له..."⁴.

ومن ثمة، فالاستعارة التّصوّرية عملية ذهنية لا واعية تربط بين مجالين غريبين تجمعها علاقة المشابهة والمطابقة من جهة، ومن جهة أخرى الإبداعية وذلك لاستخدام الخيال بطريقة واعية ولا واعية فتتقلّ تصوّرات عدّة لما ندركه وبما لا ندركه.

¹ - الاستعارات القرآنية، والنظرية العرفانية، ص74.

² - نفسه، ص74.

³ - نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ - مباحث لسانيات عرفنية، ص100.

وتأسيسا لهذه المفاهيم، انتقل الباحث في داسته ضمن هذا الكتاب الذي يسعى فيه لإرساء اللسانيات العرفنية في البيئة الجزائرية، وذلك من خلال عرضه المباحث المذكورة آنفاً إلى جانبها أشار الباحث إلى قضايا نظرية النماذج الأصلية، ومنها مفهوم المقولة، التشابه الأسري، الطراز، خطاطة الصورة.

ويقصد بالمقولة ذلك الشّاط الذهني وهو من أكثر الأنشطة الذهنية، حيث يهتم بمعالجة الأشياء المختلفة باعتبارها متكافئة وتشكّل منهاجاً ومساراً حركياً وحسباً ينتمي إلى مقولة واحدة مستوفى فيها جميع شروط قيامها، وينظّم النموذج الأصل المقولة إلى مستويين أولهما البعد الأفقي الذي يهدف للتّمييز بين مقولة ما والمقولات المختلفة عنها، وثانيهما البعد العمودي التي تكون فيه المقولة تراتبية كونية تقوم على خمسة أقسام، كالمملكة نمط الحياة، الجنس، النوع الفصيلة¹.

فلهذا الأمر قد تتربط الأشياء فيما بينها بشبكة من التشابهات، كما سماها الباحث التشابه الأسري، وقد عقد مثالا بهذا الشأن فأقرّ أنّ التشابه الأسري: "هو توافق الأشياء فيما بينها عبر شبكة من التشابهات، كالأشخاص الذين تشترك وجوههم في ملامح ممّيزة لعائلة معيّنة كما هو الحال في اللغة؛ إذ تكون أشبه باللّعبة من حيث ضرورة الالتزام لبعض القواعد في كلّ منها، كما أنّها تضطلع بوظائف عتّة..."².

وقد عرض الباحث بعضاً من الوظائف التي ذكرها على أنّها أداة تعبيرية عن العديد من الاستعمالات سيما الجديدة، أيضاً تستعمل أشكالاً لغوية ناتجة عن مجموعة من الأسماء والمقولات المختزلة، والتي تكون موافقة ومتناسبة مع الأشياء المثبتة في أرض الواقع، على هذا الأساس نبّه الباحث، لما ذهبت إليه الباحثة (الينورروش) أنّ التشابه الأسري للأشياء يقوم على أساس ترابط الخصائص فيما بينها من حيث الطّبيعة المائيّة والمعنوية، فكلّ الأشياء

¹ - ينظر: الاستعارات التي نحيا بها، ص166.

² - مباحث لسانيات عرفنية، ص106.

المائية والمعنوية موجودة على أرض الواقع ترثهما شبكة من العلاقات المنطقية واللامنطقية وبطريقة واعية وغير واعية ضمن ما يسمّى: المقولة وعناصرها المختلفة.

كما مثّل الباحث لهذه المفاهيم بجدول عرض فيه أمثلةً من التشابه الأسري للطيور من عصفور، خفّاش، حمامة، الببغاء والنعام، ومجموعة الخصائص التي يختلفون ويأثفون فيها بينهم، ومنها¹:

كون هذه الطيور تبيض ولها منقار وجناحان ورجلان ووجود الريش، وأنها تغرد وتغني أم أنها على عكس من ذلك.

وقد أوضح الباحث ملاحظة هامة من الجدول الذي وضعه، إذ أنّ عناصر مقولة الطير ليس هناك ما يجمع بين عناصرها، فما تجده عند العصفور لا يوجد في الخفّاش، وما يوجد عنده لا يوجد عند النعام؛ إذ لا تشارك المقولة في شروط كافية وضرورية وهذا ما ينطبق على اللغة، فالتشابه الأسري اللغوي والمعرفي قد توجد به علاقة توافق بين العناصر اللغوية ولكن ليس من الضروري أن تكون بينهما شروط كافية، ككلمة الرأس التي أعطاهها الباحث عدّة دلالاتٍ مختلفة بالرغم من أنها كلمة واحدة ولكنها تصبّ في معنى عام واحد، وقد تشترك مع عناصر أخرى ولكن لا تتطابق دلالتها ودلالاتهم، ولكن هناك أشياء مشتركة تجمع بينهم وقد مثّل لهذا: برأس العين، رأس المال، رأس الدوس، رأس السنة، والشهر، والعنصر المشترك بين الجميع الرأس: الأول والبدائية والأعلى والواحد من كلّ شيء، إنّ ما توصّل إليه جون روس على النحو الإنجليزي فيما يخصّ الأسماء، إذ تتفاوت في الخاصية الاسمية، فمنها ما يسميه باسمية الاسم وهو وحدة معجمية مملوءة إحاليا ودلالاته ذاتية، كالرّكن الأول من الإسناد، وهذا حال المبتدأ مثلاً، وهنا ما يسميه بالأسماء غير الاسمية، هذا التّصنيف يقع على الأسماء حينما تفقد خاصية الاسمية كالأفعال والصفات والظروف، وقد عقد الباحث فيما ذهب إليه جون روس مثلاً عن هذه التّصنيفات، وفي مقام موالٍ عرف القضية الدّالة في عرضه هذه

¹ - ينظر: مباحث لسانيات عرفنية، ص 106/107.

الورقة البحثية، إذ أوضح المقصود من الطراز وذلك كونه الممثل الأكثر قرباً من خصائص المقولة، والطراز هو ذلك التصنيف للأشياء بحسب قربها لخصائص المقولة التي تمثل لعدة اعتبارات، منها¹:

- العناصر الطرازية الأقرب من مدارك الأطفال.
- العناصر الطرازية الأقرب للمدركات والمرجعيات المعرفية.
- العناصر الطرازية الأقرب إلى حقل معجمي ودلالي واحد.
- العناصر الطراز السهلة التصنيف والأقرب لمقولة واحدة.

وقد نبّه الباحث للور المهم الذي يؤييه الطراز في تحديده المعنى لبعض الكلمات وخاصة في عرض المعجمية الخاصة بكلّ باب في اللغة مع مراعاته مبدأ التدرج من العام إلى الخاص كي يقوم بتنظيم العلاقات الترادفية بين العبارات والألفاظ فيما بينها، وقد أورد الباحث بهذا الصدد الجدول التصنيفي للطراز لأولمان، والذي وضع فيه العلاقات الدلالية لكلمة "أما" وانتقل فيه من المستوى القاعدي إلى المستوى الأعلى محصياً فيه مجموعة من الألفاظ التي تتقارب معجمياً ودلالياً وتنتمي إلى المقولة الواحدة "قتل، اغتيال، وأعدم، وذبح وضحي، انتحر، ومن هنا أتى الباحث بأنماط الطراز لكيلبر السبعة ويرى أنّ هذا التعدّد النطفي للطراز يعود أساساً لورود المعنى في سياقات مختلفة تجعل الأنماط بدورها تتنوع.

ومن نماذج الطراز لدى الباحث نموذج الولوج الذي يحتوي مستويين؛ المستوى الأول ملفّه الأول الصور اللفظية والإملائية للوحدات المعجمية والأدوار الصوتية، وملفّ آخر منظّم في شكل تركيب دلالي مسخّر للإنجاز الفردي "الكلام"، وأما المستوى الثاني فيمثل الملفّ المركزي الذي يربط الملفّات الثلاثة، والنموذج الآخر نموذج الكتابة الخاص بمعالجة الأصوات الأولى المسموعة من طرف الإنسان، ثمّ النماذج الحسابية والتي تقوم بتفسير آليات الولوج في المعجم الذهني².

¹ - ينظر: مباحث لسانيات عرفنية، ص 110/111.

² - مباحث لسانيات عرفنية، ص 113.

وفضلاً عن ذلك تكلم الباحث عن أهم قضية في نظرية النماذج الأصلية وهي خطاطة الصورة، والتي تعدّ من أهم المفاهيم التي ترتبط بمفهوم التصوير الذهني. وحسب رأي الباحث فهي: "شبكة تصويرية تنظّم أنشطتنا اليومية وتؤسّس لضروب سلوكنا المتحكّمة في رؤيتنا المنسجمة للعالم"¹.

وتتطوي وجهة النظر هذه إلى ما ذهب إليه كلّ من "لايكوف وجونسون" أنّها "بنية في غاية من التجريد والعموم والمرونة؛ أي أنّها أداة واصله بين ما يخصّ أنشطتنا اليومية وتجاربنا الحياتية، إذ تقرّبهما وتجعلهما أكثر تماساً من بعضهما"².

فتفاعل الأجساد البشرية وفق ما يحيط به من وقائع حياته تولّد مجموعة من الأنشطة التي تتولّد عنها بين الفينة والأخرى حين التّفاعل مجموعة من التّصورات الذهنية التي يجسّدها العقل البشري في وقائع مابية وأشكال مختلفة تفسيراً لتلك التّصورات فيربط بين الصورة وما يعايشه من تجارب إنسانية حين يمارس أنشطته اليومية فكّلاً ما كان التّفاعل كلّما نتجت تصوّرات ذهنية، كلّما كانت هناك خطاطات مختلفة بحسب تموقع الجسد ضمن هذا الفضاء الذهني والتّصورات لكلّ ما هو مائي ومجرّد، ومن بين هذه الخطاطات - حسب الباحث - خطاطة الميزان؛ إذ يخضع كلّ شيء بحسب تجربة الإنسان ومعرفته للأشياء المستمّدة من واقعه تخضع للميزان، فمنطق الميزان فيه الارتفاع والنّو، والأعلى والأسفل، والارتفاع والانخفاض، وبحسب هذه الدّلالات تكون التّصورات الذهنية المختلفة لمجموعة المقولات، فإنّ تكلمنا عن حرارة الجسد، تخضع لميزان حراري ينجرّ عنه الارتفاع والانخفاض في درجة حرارة الجسد مثلاً هو الحال لارتفاع الأسعار أو تدنيها خرقاً لمبدأ الميزان وهو التّوازن³.

وتماشياً مع تمّ ذكره، الحال نفسه في خطاطة المسلك وهو الوجهة ونقطة البداية والنّهاية وخطاطة الاحتواء: وهي جملة من الاستعارات التي تحمل دلالة الشّيء وحمله شيئاً آخر،

¹ - نفسه، ص116.

² - نفسه، الصّفحة نفسها.

³ - مباحث لسانيات عرفنية، ص116/117.

أيضا خطاطة القوة: والذي لا يفهم إلا من خلال تفاعل الجسد مع التجربة، فالقوة لا تدرك عينا إلا عند الاحتكاك بشيء صلب له رتة فعل من شأنها أن تسلط علينا، ومن هذا يتحدد مفهوم القوة في مجالنا الإدراكي فنسقطها على مفاهيم مجردة، كالخير فيه قوة، والشر فيه الضعف والوهن، أو العكس عند الإحساس بالعجز والعكس فيه صحيح، ولتوضيح ذلك عمل الباحث على وضع أمثلة من نماذج شعرية للشاعر عيَّاش يحياوي لمجموعة الخطاطات وتطبيقها عليها¹.

واستخلاصا لما سلف، ختم الباحث هذا المبحث المكنى: قضايا في نظرية النماذج الأصلية بالإجابة عن السؤال: إلى أي مدى وفقت هذه النظرية في هدفها المنوط بتحديد المعنى والإلمام بجوانبه، إذ أجاب أن النظرية وقفت على جملة من القضايا التي تمثل المعنى وذلك كون الألفاظ اللغوية متعددة المعاني وما يجمع بين المقولة والبنية والطرز ذلك الذسق الاستعاري القائم على مبدأ الربط - ربط مدركاتنا بالتجربة الحياتية -، يسعى فيه هذا الأخير إلى تنظيم شبكة من التصورات الذهنية².

وإثراء لموضوع خطاطة الصورة وما للفضاء الذهني من دور مهم في بنيته جاء الباحث بمبحثين تعرض فيهما لقضيتين؛ نظرية الفضاء الذهني والمزج المفهومي التصوري، ثم تطرق لتمظهر الجسد في اللغة والمتخيل، والمقصود من نظرية الفضاء الذهني بحسب رأيه تجمعات جزئية تظهر عند الاستعمال اللغوي، وهي عناصر مترابطة بواسطة نماذج تصويرية (روابط نموذجية) في اللغة والفكر، وتكون الأفضية الذهنية أقل حجما من المجال التصوري، لأنها تبين عن طريق مجالات تصويرية متعددة، ويعد من أشهر مؤسسي هذه النظرية فيوكياني صاحب الكتاب المشهور (الفضاءات الذهنية مظاهر من بناء المعنى في اللغات الطبيعية، وقد قّم الباحث نشأة الفضاءات الذهنية مرجعا تبينها من خلال الاستعمال اللغوي أولا، إذ تحدّد عن طريق التركيبات المختلفة الاستعمال، أيضا الأشكال غير اللغوية تدخل في بنائها

¹ - ينظر: نفسه، ص 118.

² - نفسه، ص 120، 121.

من قبل المدركات والمعارف السابقة والخلفيات والتّوتّات، كلّ هذه الفضاءات تؤلّي إلى إنتاج مقولات مختلفة تكون أكثر سلامة من حيث التّركيب والمعنى ويُعرّف الباحث الفضاء الذهني أنّه: "بنية عرفية تُبنى فيها المجالات وتتنظم وتترابط لأنواع من التّرابطات ما بين المجالات وهنا تمثّل الأفضية آليات يستعملها المتكلّم ليجرّ سامعه إلى تأسيس فضاء ذهني جديد"¹، ومن خلال هذا التعريف نستشفّ أنّ الفضاء الذهني نظرية تدرس العوالم المجردة، وباطن الذّهن وما يحدث فيه من ترابطات بين أكثر من مجال ذهني داخل اللّماغ، والمعنى من هذا أنّ هذه النظرية تدخل في إطار الطّريبات والمناويل السّالفة الذّكر التي تهتمّ بالمعنى والدّلالة وتفسير الأبنية اللّغوية أثناء الاستعمال وحدّى المنجزة منها، ويفترض فوكانيه بهذا الصّد وجود عدّة أفضية مسؤولة عن توالد النّصوص وتناسلها وتكاثرها، وعلى هذا الأساس صوّر هذه العملية كالحلية التي تتشكّل وتتوزّع وتولّد جذورا وفروعا محيطية بها، ومثّل لذلك بالشّجرة المستوى الأعلى الفضاء الأول الأصلي، ثمّ تتفرّع إلى مستويات فرعية، ويقارب الشّجرة الفضائية الذهنية بشجرة العائلة²:

- الفضاء الذهني الأول الأصلي: هو الأصل: الأب.
- الفضاء الذهني الثّاني: الفرع الأول: الابن.
- الفضاء الذهني الثّالث: الفرع الثّاني: الابن، البنت.

ويسقط فوكانيه هذه العملية على الخطاب فيصبح الفضاء الأساس هو الفضاء المنطلق داخل الخطاب، والأفضية المتفرّعة عنه والمترابطة معه يسمها الفضاء المنظور، ويفترض وجود الفضاء "المركز" هو الآخر يمثّل اهتمام المتكلّم ومحلّ عنايته ينتج عنها بقية الأفضية المسمّاة: فضاء "البؤرة"، تنبثق منها بنية خطابية مستوفية شروط السّلامة النّحوية واللّغوية المنتظمة³.

¹ - مباحث لسانيات عرفية، ص124.

² - نفسه، ص125.

³ - مباحث لسانيات عرفية، ص127.

ونظراً للصلة الوثيقة التي تجمع بين نظرية الأفضية الذهنية ونظرية الاستعارة التصورية ونظرية المزج التصوري، فقد عمل الباحث على تبين نظرية المزج التصوري؛ إذ اعتبرها جملة من العمليات الطبيعية التي تتم على مستوى المماغ وكيفية إشغاله، إذ تعمل النظرية على تفسير عمل العقل البشري في بنيتها للأفضية الذهنية ودمجها للتعبير عن الوقائع المعيشة حقيقة كانت أم لا واقعية، أضف إلى ذلك فإنها فهم مجال من خلال مجال آخر يقوم بها الفرد في مستوى اللاوعي، ومن هذا المنطلق فإن عرض الباحث لمفهوم المزج التصوري وأساس قيامه هو تركيزه على المرحلة الثالثة، المسماة بالمرحلة التكتيف والمبادئ الحاكمة للنظرية التي قّمتها الباحثان "فوكانيه" و"تورنر" فيها مفهوماً جديداً عام 1999م، كان المنعرج الجديد في الدراسات المتعلقة بنظرية المزج التصوري، حيث حاولا فيها الكشف عن العلاقات الخفية واللاوعية التي يستطيع من خلالها الفرد إنتاج متصورات عرفية تظهر بسيطة في مستوى الوعي، تمكنا من خلالها صياغة المبادئ الحاكمة لعمليات المزج، وقيود الأفضية المفروضة عليها¹.

ويقوم المزج التصوري بحسب ما ذهب إليه الباحث من تقسيم عملياته على عدة عمليات رئيسية، من بينها التريب والإكمال والتفصيل والإدماج والتبرير وثبات التعالق وقابلية الأفكيك والبنية المنبثقة... إلخ، ومن آلية اشتغال المزج التصوري تكمن في دمج ومزج المجالات لبنية عدة فضاءات ذهنية أولها الفضاء الرئيس وصولاً إلى الفضاء الشامل الذي يجمع الفروع المتفرعة عنها، والفضاء الشامل ذلك الفضاء الذي يضم الهيكل للبنى المتقاسمة، وانطلاقاً من فضائي الدّخل وتلك البنية المتقاسمة تنقل بدورها إلى الفضاء الشامل كلّ ما يتعلق بالفضاء اللّحل الأول، وما ينتج عن فضاء الدّخل الثاني، ويتم إنتاجه وفق العمليات السالفة الذكر²: (التركيب، الإكمال، التفصيل...) ويتحقق هذا الأمر من خلال الإسقاط.

¹ - ينظر: محمد عبد الودود أبغش، نظرية الأفضية الذهنية مبادئها وتطبيقاتها، يافا للبحوث والدراسات والنشر والتوزيع تونس، ط1، 2018، ص80/79.

² - ينظر: نظريات لسانية عرفية، ص333/329.

وفيما يأتي من المباحث تطرّق الباحث في الأخير لمبحث عرفني أدرج فيه دراسة تطبيقية لجملة المفاهيم التي عرضها بداية، المبحث الموسوم: تمظهر الجسد في اللّغة والمتخلّي، وقّم فيه أولاً مفهوم الجّسد، وذلك بتوضيح مفهوم الجسد والجسدية، هذا من تبيان مفهوم الجّسد من خلال نماذج الجسدية لنماذج نصّية نثرية فكرية وشعرية وإشهارية وسياسية وثقافية واجتماعية...إلخ.

فالتّجسّد عنده من الجسد والجسدية والجسد هو ذلك البعد المائي والفيزيائي من الكيان الإنساني، أضف إلى ذلك البعد أبعاداً أخرى مجردة تتبني من خلال تفاعل العقل مع الجسد وهنا يكمن ذلك الاختلاف بينه وبين الكائنات الأخرى، ويملك الجسد في تفاعله مع العالم القدرة على الاحتفاظ بمجموعة للمعارف الثقافيّة والسياسيّة، فيأتي الجسد على مظهرين؛ مظهر مائي وآخر جواني مجرد، وكما يسمّيها ميرلوبونتي الجسد الموضوعي والآخر الجسد الفينومولوجي¹؛ "وأما الجسدية في مفهومها العام؛ فجملة من العمليات العصبية والعرفنية ومجموعة الآليات التي تمكّنا من إدراك الأشياء من حولنا، وقد قسّم الباحث الجسدية إلى قسمين مطبّقاً نماذج شعرية عليهما لإيضاح معناهما، وهما"².

الجسد مجال مصدر والجسد مجال هدف، حيث قام بتطبيق إجرائي من خلال نماذج إجرائية لكلّ من القصيدتين لهذا التّقسيم على التّرتيب: قصيدة "ذهاب حتّى النّبح في جغرافيا الوجه" لعياش يحياي، وقصيدة في انخطافات الدّيلة الثّالثة، وتوصّل إلى أنّ المجالات والمفاهيم التجريدية التي تقوم على أساس تفاعلها مع الجسد أو أعضائه يحدّ فيها الجسد هاهنا مجالاً مصدراً، وقد مثّل بذلك مجيء في القصيدة الأولى، إذ تمثّلت فيها بنية اللّغة ككائن ذو بدن ورأس وأعضاء وأطراف، استعار فيها أسماء الجسد الطّبيعي للجسد اللّغوي، وكان الجسد الإنساني هو مجال المصدر³.

¹ - ينظر: مباحث لسانيات عرفنية، ص132.

² - فريد الزاهي، الجسد والصورة والمقدس في الإسلام، إفريقيا الشرق بيروت، 1999م، ص32.

³ - عيشاوي يحياي، قمر الشاي، مطبعة دار الفجر، أبو ظبي، الإمارات العربية، 2008م، ص40/39.

أما عن الجسد المجال الهدف؛ كأن نسقط كلّ ما هو كائن خارج نطاق الجسد وأعضائه عليه وفق شروط الملاءمة والتّشابه - المشابهة والتّوافق والتّناسب فيصبح بذلك الجسد مجال آخر ترابط مع مجال مصدر لتنتج عنه بنية لغويّة جامعة بينهما.

ومن نماذج الجسدنة التي ذكرها الباحث من خلال إعادة بنية وإنتاج مفاهيم تجريدية على أساس جسدي فيزيولوجي مثلا: الحبّ، الكره، الغضب، الشّوق... وغيرها من المفاهيم غير المائيّة وتصويرها وبنائها ذهنيًا وعرفنيًا وفق بُنى لغويّة ذات دلالات تصوّرية ذهنية وسمعية صوتية؛ أي بجانبها المائي اللّغوي¹.

وقد اختار في هذا الصّدد قصيدة "من قفص الطّابق الأخير"، حيث تجسّدت فيه مشاعر الخوف المتسلّلة إلى نفسية الشّاعر لما عاناه من علقم العنف الذي طوّق بلده الجزائر حتّى أصبح شبحًا يلاحق كلّ نفس منفتحة على الحياة تأبى القيود وتسعى للتّحرر فكّبلها الرّعب من كلّ الجهات، كلّ هذه الدّلالات التّجريدية استعار فيها الباحث جملة من البُنى اللّغويّة التي انبنت وفق متصوّرات ذهنية جمعت بين مجال ومجال، وبين مجالات وأفضية لتعبر عن تجربة إنسانية قد تفاعلت مع واقع معيشي معنّى ترجم بحسب ذلك الجسد وتموقعه ضمن هذا الحيز من الفضاء الكوني ليصبح في الأخير نصّ ذو حمولة عرفنية لها أبعادها المائيّة والجوانيّة وبنيتها ذات البعد الدّهنوي².

ومن هذا المنطلق يمكننا أن نطرح التّساؤل: ما المقصود بجسد اللّغة، فإذا افترضنا أنّ للّغة جسدا، فما الذي نرمي إليه من معنى، ولإجابة عن هذا التّساؤل تكلمّ الباحث في الشّأن عن لغة الجسد من خلال تحديد مفهومها؛ تمّ الحديث عن جسد النّصّ ومفهوم البعد الزّمني للجسد وتموقعه فيه وفي المكان أيضا، وبحسب رأيه فإنّ جسد اللّغة هو ذلك الكلام الفردي والجماعي الذي يتجسّد في تمظهرات صوتية، صرفية، نحوية، دلالية، لمجموعة التّصوّرات الدّهنية عند وعينا أولا بأجسادنا، وثانيا عند فهم وإدراك ما يدور حولنا من وقائع مائيّة ومجرّدة

¹ - ينظر: نظرية لسانيات عرفنية، ص195.

² - عياش يحيوي، ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية، مطبعة دار الفجر، أبو ظبي، الإمارات، 2008، ص77.

نَعْرِ عنها ضمن هذه اللّغة المتمظهرة في الكلام أو القول، أو عملاً جسدياً بطريقة واعية أو لا واعية، ومن خلال هذا الطّرح فإنّ جسد النّصّ عند الباحث هو تلك الكينونة لرؤية ذات حمولة معرفية، حسيّة، شعرية، منقشعة الجمال، فهي بنية مدجّجة معرفياً، تجعل من كلّ بنية نصيّة مختلفة عمّا سواها، لهذا يجوز للشّاعر أن يخاطب تلك المقطوعة كذات واعية تسمع¹. ومن ثمة، فإنّ الجسد في الّلزّ مكانية بوصفها مفهوماً ومبدأً في الوقت نفسه تقضي بأهميّة عنصر الزّمن في عملية الجسدية على اعتبار أنّ الزّمن عامل رئيس في تجسّد اللّغة لما كان للّغة من وظائف جسدية مهمّة تخضع لعامل الزّمن، فلكي تتجسّد اللّغة لا بد لها أن ترتبط بالوجود الزّماني حالها حال الجسد الإنساني، أمّا فيما يخصّ المكان وتموقع الجسد فيه فإنّ أيّ حركة إنسانية لها أبعادها الزّمانية والمكانية، والأبعد من ذلك عندما يطلب من شخص ما تأدية حركة ملموسة بادئ الأمر يكرّر ما طُلب منه بصيغة التّساؤل، ثمّ يمتثل لصيغة التّنفيد ويؤدّي الحركة المطلوبة منه، وبالتالي هناك تفاعل بين ما هو مائي مرئي وبين ما هو ذهني، فهما حركتان تتمركزان فيما هو كائن وراهن ومحسوس، وفيما هو ممكن واللاّكائن ولهذا تتأدّى اللّغة الصّامته التي تصدر عن جسد الإنسان وتبرز وتتجلّى حينما يتوقّف الكلام أو تعجز اللّغة الكلامية عن تأدية الغرض، فتكُنّ بلغة الجسد، هذه اللّغة في غالبيتها غير كلامية تعمل ناقلاً للمعني من الإشارات، والإيماءات، والحركات الجسدية إرادية كانت أم لا إرادية والحركات الممتزجة مع الكلام... إلخ

ويرى "الباحث" غيلوس "أنّ الجسد ذو حمولة رمزية، لها أبعادها الحركية والنّطقية بغرض التّواصل يصدرها بطريقة واعية وغير واعية وهنا يتأدّى دور الزّمن والمكان"²، كما ذكر الباحث سابقاً في تحديد دلالة الرّمزية التي تدلّ على تموضع الجسد بمجال فضائي معيّن، والذي يبرز منه مجموعة من التّصوّرات والدّلالات التي تتخذ تمثّلات ذهنية قد تحال على العالم الخارجي من خلال العالم الباطني المبني أساساً على عوالم حقيقية وأخرى خارجية، إذ يحدّد الزّمن والمكان

¹ - ينظر: عبد العزيز بومسهولي: الشّعر والوجود والزّمان، رؤية فلسفية للشّعر، إفريقيا، الشّرق المغرب، 2020، ص 87.

² - مهدي أسعد، البيان بلا لسان، دار الكتب العلمية، لبنان، 279.

هاهنا مفهومان مرتبطان ارتباطاً وثيقاً وجدلياً بالحدث، هذا الأخير الذي يأخذ دلالاته، وتتّعين حقيقته بارتباطه بالفاعل الذي يأخذ دلالاته، وتتّعين حقيقته بارتباطه بالفاعل الذي يتمم بلغة يستعين بها في فهمه وإدراكه العالم من حوله، والذي هو من حيث الحقيقة ليس شيئاً غير الزّمان والمكان، ومن هنا نجد أنفسنا أمام الدور العظيم الذي تؤّليه اللّغة (كخاصية أساسية للإنسان) في جسدته العالم ونقله الوقائع على خلاف باقي المخلوقات غير النّاطقة، غير أنّ الباحث أعطى مفهوماً مغايراً لحمولة الجسد الرّمزية، والتي تتمثّل في الصّورة شمسية كانت أم على شكل إشهار، إذ عدّ الجسد حاملاً تواصلياً ممّا أوتي من الحركات بالجراحة، الصّادرة عنه بطريقة عفوية لا إرادية، وبالنّسبة للدّالة الرّمزية في حقيقة الأمر هي تلك الدّالة الضّمّنية المضمرّة غير الصّريح بها، ويرى الباحث أنّ الصّورة الشّمسية هي ذلك التّسجيل الآلي الأوتوماتيكي لشيء نراه، ليس له لغة خاصّة؛ أي توثيق أبعاد جسمانية في لحظة ثابتة وتعدّ في أبعادها الرّمزية جامدة، وقد دجج مفهومه لما ذهب إليه "رولان بارت" حيث عرفها: "الصّورة تلفظ آلياً، فعلى مستوى التّلقّي يجب ربط الصّورة بضرب من البلاغة وتستند قراءة الصّورة إلى ثقافة القارئ.. فهو يتلقّى المرسلّة الإدراكية والمرسلّة الثقافيّة في الآن نفسه"¹.

على الرّغم من أنّ الصّورة الشّمسية فعل آلي له أبعاده الفيزيائية، الذي يراهن فيها المصوّر على الإضاءة والتّسطيح والإسقاط، وأنّها مصدر للقراءة من طرف المتلقّي إلاّ أنّها من طرف صاحبها فعل رمزي (ذو دلالة رمزية) على خلاف ما ذهب إليه رولان بارت باعتبار أنّ الصّورة الشّمسية محاولة للسيطرة على لحظة زمنية هاربة ضمن الفضاء الكوني لتظلّ متخمة بالحياة، سيما إذا كانت هذه اللّحظة الزّمنية ذات قيمة بالنّسبة لملتقطها والمحافظة عليها (تجميدها)، هو فعل رمزي بحدّ ذاته يعزّز من قيمة النّكرى وارتباط الإنسان بالتّاريخ الذي لا يمكن أن يخلو من الدّالة الرّمزية، ولعلّ التّدليل على ذلك يتجلّى في سعي الإنسان

¹ - دينيال تشاندكر، تر: طلال وهبة، أسس السيميائية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008م، ص 273/279.

على دوام الرجوع إلى الماضي والحنين إليه مجسداً في شكلاً من أشكال السيطرة على الزمن والمكان، مثل: الصورة، التسجيل، النحت، الرسم... وغيرها من الصور المجسدة للحظة بعينها. وفي السياق ذاته تكلم الباحث عن الجسد في الإشهار والهدف المرجو منه؛ إذ يرى أنّ لغة الجسد عامل مهم في تمرير الدلالات والمقاصد للمواقف المختلفة في الحياة من أفكار وآراء وتسويق لمنتجات مختلفة وغيرها من المواقف، سواء كان الفاعل اقتصادياً، اجتماعياً سياسياً، أو غيره من الفاعلين¹.

إذ يَعرى للجسد تمرير هذه الأفكار لاستمالة أذن المتلقّي وإذعانه لها لغاية معينة قد يكون مرادها: التسويق، التأثير اجتماعياً، سياسياً، اقتصادياً، أو تجارياً... ويتمثل ذلك عن طريق الاستعارة المؤثّرة التي يتحقّق التأثير الرمزي لموضوع الجسد في الإشهار، ولعلّ هذا ما يعزّز دور الجسد بفعل الجسدية بمختلف الطرق إشهارياً وصورياً، وقد طّق الباحث هذا المفهوم على فعل إشهاري من أرض الواقع للمجتمع الجزائري بـ "قهوة 1001" بعرضه للمرسل والمرجع والمرسل إليه²، وقناة الاتصال ثم الوسيلة التي تؤثر لتكتمل دائرة التواصل مع إظهاره قيمة المزج التّصوري لإنتاج المعنى المقصود (جرب تعرف أنّها الأفضل)، نتيجة تضامّ النّوال: (الأيقون، الإيقونوغرافيا، والتّصوّر الذهني).

يتعلّق ممّا سبق أنّ الجسد يؤثّر دوره في الجسدية بانفتاحه على استمرار بالاستعارات الرّمز، ما يعني أنّ حضور الجسد في الجسدية هو حضور رّامز، وهذا الحضور يكون بمسالك تواصلية متعدّدة (تعبير لغوي، فعل إشهاري، صور...).

وأخّر ما تطرّق إليه الباحث بتمظهر الجسد في اللّغة والمتخلّي "هو هندسة الجسد لعوالم متخلّليّ قصد الباحث منها ذلك التّمثّل والتّجسّد لتلك الامتزاجات المختلفة من توليفات فنية وجمالية وهندسية للعوالم المتخلّية، هذا التّمثّل يكون ضمن بنية مشكّلة في أيقونة الجسد النّاقلة للتّجربة والاعتقاد والفنّ والثّقافة على نحو: الكتابة على الجسد: (الوشم بأنواعه الاعتقادي -

¹ - ينظر: مباحث لسانيات عرفنية، ص 142.

² - مباحث لسانيات عرفنية، ص 145.

الفال -، ووشم العيشة، السنبل، والوشم العلاجي...)، والألباس، الألعاب، الجسد كنسق ترابي وقد يبين الباحث من خلال هذه المفاهيم الأبعاد الرمزية، التي تحيل عليهم كل من المعتقدات الاجتماعية والدينية، وكيفية خضوع الجسد في إنتاجه لمجمل العلامات لتكريسه هذه التقاليد والعادات والأعراف، أو حتى في تجسيده الألعاب، كالألعاب البهلوانية أو المونولوج أو غيرها من التعبيرات الجسمية لإيصال الأفكار والمعتقدات، ومن هنا يكون الجسد ناقلاً لكل ما هو مادي ولا مادي، ولكل المرجعيات الفكرية والثقافية والطقوس والشعائر والمعتقدات، فيعبر الإنسان من خلال الجسد عن كل ما سكنه بالذلة والظلم والإيماءات بطريقة واعية أو غير واعية¹. وفي آخر هذا العمل المهم والملم بالمقتضيات والجوانب الكثيرة العرفنية، من مفاهيم ومبادئ ونظريات عرفنية مهمة إذ يمد إضافة معرفية في مجال اللسانيات العرفنية باعتبارها آخر ما استجد في الدرس اللساني الحديث بجملة ما طبعه عليها من نماذج شعرية، ونثرية وإشهارية وصورية، ومن الثقافة الجزائرية من عادات وتقاليد مختلفة، إلا أن موضوع هذا الكتاب موضوع شائك وحديث ألا وهو اللسانيات العرفنية بوصفها اتجاهاً جديداً، وقد توصل فيه إلى نتيجة مفادها؛ أن العلاقة بين المستويات اللغوية متزامنة، إذ لا يمكن إهمال أو فصل القيمة ومركزية الدلالة على البنية الذهنية؛ أي البنية العميقة في الذهن البشري، وقد كشف الباحث عن هذه المفاهيم العرفنية بطريقة سلسلة وواضحة مدججة بالأدلة والبراهين، وإلى جانب هذا سهّل الباحث على القارئ إيجاد ما قد يشفي فضوله المعرفي حول اللسانيات العرفنية، إذ لم يتطرق لنظرية واحدة بعينها، بل تناول العديد من المباحث التي تقوم عليها اللسانيات العرفنية، وهذا ما قد يبين ويوضح مسار البحث العرفني ويذلّل الصعاب على المبتدئين، وهذا ما أكدّه بداية عمله.

ثانياً: قراءة في كتاب: التلقي والإنتاج في ضوء العرفنية تنظير وإجراء:

¹ - نفسه، ص 151.

خصَّص الباحث "صالح غيلوس" فصلاً كاملاً تحدّث فيه عن اللسانيات العرفنية بمجموعة مفاهيمها ومبادئها وأيضاً تطبيقاتها على العملية التعليمية والتّعليمية مازجا بين مجالين وعدّة تخصصات، من بينها علم النّفس المعرفي والتّعليمية، وأيضاً ما استجدّ في السّاحة اللسانية الحديثة من نظريات موائمة لطرق التّدريس الحديثة، وقد عنون ذلك الفصل (الفصل الثّاني من الكتاب) باللّسانيات العرفنية، إذ تطرّق إلى تعريف اللسانيات العرفنية وحيثيات نشأتها، موضحاً دور انفتاح الدّرس اللساني على العلوم الإنسانية، وسيطرة علم النّفس المعرفي، والذي حاول بدوره احتواء اللسانيات ممّا أتى إلى بروز الصّواع العلمي بين اللسانيات وعلم النّفس المعرفي في إمكانية احتواء أحدهما الآخر.

لهذا الغرض سارع العديد من الباحثين اللّسانيين العرفنيين إلى دراسة اللّغة في ظلّ انفتاحها على العلوم الإنسانية، وذلك لإيمانهم سيما تلاميذ تشومسكي بمحدودية النّظرية التّوليدية التّحويلية، لما واجهته من صعوبات جمّة في الواقع اللّغوي، ممّا دعت الضرورة إلى تأسيس هذا الاتّجاه العرفني في النّراسات اللسانية، فكان لرأي جاكندوف الفضل الكير انطلاقاً من التّصورات والرّؤى والأفكار التي طرحها لتأسيس هذا العلم اللساني الجديد.

وفي هذا السّياق طرح الباحث مجموعةً من المبادئ التي أرساها "راي جاكندوف" أهمّها جاء فيها النّظرة المغايرة لدراسة اللّغة، والتي تمحورت في مبدأ رئيس وهي ضرورة الابتعاد عن مركزية الإعراب ولا بدّ أن يُعزى دراسة اللّغة وعمل اللّماغ في إنتاجه اللّغة إلى العمليات الذهنية الباطنية المعقّدة، أيضاً ضرورة دراسة اللّغة على أساس الدّلالة المركز، إلى جانب هذا تعرّض الباحث لمجموعة من النّظريات، أولاً نظريّة الهندسة الثّلاثية الموازية، ونظريّة التّصورات الاستعارية (لايكوف وجونسون) ونظريّة الذهنية؛ إذ تركّز نظريّة رأي جاكندوف "نظريّة الهندسة الثّلاثية الموازية على الإكراه العرفني؛ أي القيد الذي يتمّ من خلاله تفسير عمليات الإدراك البشري وعلاقتها بالسلوك اللّغوي وذلك من خلال الاستعانة بآليات علم النّفس المعرفي، ويرى راي جاكندوف في نظريّته هذه، والتي ضمّنها في كتابه: البنية الدّلالية هي البنية التّصويرية المنشور عام 2002 م؛ أن المعنى بنية ذهنية في اللّماغ، ويصفها غيلوس أنّها: "تمثيل ذهني

يشفر المعلومة المدخلة إلى اللّماغ¹. إضافةً إلى هذا الأمر فإنّ الباحث قد صرّح أنّ أهمّ ما جاء في هذه الطّرية بوصفها الرّكيزة الأساسيّة للطّرية، ألا وهي التّوليفية التي يلجأ إليها اللّماغ في حالة عدم توفيقه في اختزان جميع المعلومات اللامحدودة التي تواجه مساره الطّبيعي وفي حقيقة الأمر فإنّ هذا التّصوّر التّوليفي يخضع بدوره لقيدين أساسيين هما: قيد التّخزين الذّاكري وقيد قابلية التّعلم، إلى جانب هذا فإنّ من أهمّ مبادئ هذه الطّرية (العالم الحقيقي/العالم المسقط) وفحواها أنّ العقل البشري يعمل وفق عمليات ذهنية معقّدة تحتوي على تصوّرات ذهنية وعلاقات دلالية ذهنية مختلفة قد تكون عملية ذهنية محضة تُفهم من خلال إدراكنا لها بطريقة لا واعية نظراً لعدم القدرة على الكشف عنها، وجملة هذه التّصوّرات الذهنية قد يكون لها مسوّغات في الواقع الخارجي وما يحيل عليها من أشياء محسوسة وملموسة، وكأنّ اللّماغ في هذه الحالة يقوم بعملية إسقاط تصوّر ذهني خارجي ملموس على تصوّر ذهني باطني داخل اللّماغ، فرويتنا لسلسلة من اللّقاط التي تكون على شكل دائري يعمد العقل الإنساني فيها إلى ترجمة ذهنية وفق علاقات وقواعد وعمليات ذهنية في محاولة فهم ما يدور حوله من أشياء، قد يصل إلى مفهوم شكل الدّائرة وذلك بواسطة التّصوّرات الذهنية والعمليات المعقّدة الخاصّة بالجهاز اللّماغي والعصبي، أو يصل إليها عند طريق إسقاط ما يراه حسب تجربته الإنسانيّة لهذا الشّكل على ما يراه من هذا التّابع للّقاط ليصل في الأخير من خلال ربطه للمتشابهات إلى شكل الدّائرة²، ومن ثمة فإنّ العقل البشري في إسقاطه لما يدور حوله من أشياء يعطيها تمثلاً معيّناً، وقد يختلف ذلك التّمثّل الذهني لشيء حقيقي وغير حقيقي.

لهذا الأمر يكون مفهوم الحقيقة والإحالة منطلقاً لبنية ذهنية موحّدة ومتشابهة بين البشر لقيامها على إجراءات تعدّ جزءاً من الموروث الجيني، ومن هنا نستطيع تفسير ذلك التّفاهم أثناء الحديث عن الأشياء التي لها إحالة على الواقع المعيش وإن اختلفت اللّغة، أمّا عن اللّغة الواصفة فهي التي تمّيز بين العالم الحقيقي والعالم المسقط ويكون من خلال ردود أفعال على

¹ التّلقّي والإنتاج في ضوء العرفنية - تنظير وإجراء-، ص102.

² يُنظر: التّلقّي والإنتاج في ضوء العرفنية - تنظير وإجراء-، ص103/104

سد لسلة من الأحداث العصبية التي تبدأ بإثارة متقبّلات متنوّعة لجملة من الوقائع التي يمرّ بها الإنسان خاصّة المجرّدة منها، كالحبّ، الكره، الألم...، فتتّزلّ اللاّغة الواصفة ما هنا لتنتقل ذلك التّصوّر الذهني، وما يُحال عليه من موضع الألم في جسم الإنسان لتكشف عن هذا التّرابط ما بين العالم الحقيقي والمُسقط.

وفي سياق موالٍ لهذه الطّريّة تحدّث الباحث عن نظريّة أخرى، وهي نظريّة نسقيّة التّصوّرات الاستعارية (لايكوف وجونسون)، والتي تُعدّ حسب رأيه عملية ذهنية مرتبطة أساسا بعمل الفكر، كما ترتبط بأنشطتنا اليومية، وهنا يلعب نسقنا التّصوّري دورا مركّزيا في تحديد ما نعيشه من مواقف وأحداث، ومن ثمّ تتعدّى هذه العملية الذهنية مجال اللاّغة إلى مجال الفكر وما ينبثق عنه من أبعاد دلالية متعدّدة، تتجسّد وفق نسق تصوّري استعاري، ومنه فإنّ النّموذج الاستعاري والذي يمثّل طريقة وآلية تبين من خلالها معرفتنا للأشياء من حولنا بواسطة نقل مجال إلى مجال آخر، أو المزج بينهما، أو ارتباطهما، المجال الأول كما ذكرنا آنفا المجال المصدر والمجال الآخر المجال الهدف، وقد هدف الباحث في عرضه هذه الطّريّة الوقوف على جملة المبادئ التي تأسست عليها الاستعارة التّصوّرية، سيما المفاهيم الأساسية في هذا المبحث، كالجدال والصّراع العاكس لمجموعة المفاهيم الحياتية اليومية لدينا، من تعابير ومشاعر...

ولعلّ ما نعيشه من أحداث ومواقف في الأساس قائمة على مبدأ الجدال والصّراع كمفهوم الشّر وما يقابله من مفهوم الخير، الحياة والموت، متناقضات عدّة كالحبّ والكره، كلّ هذا يدخل ضمن حركة الحياة من ضدّ وردّ، ومن الفعل وردّ الفعل، والرّد والرّد المعاكس كلّها تيّارات تسري في اتّجاهات متعارضة ومختلفة، وقد أورد الباحث نماذج عدّة لتوضيح هذا المبدأ، وفي السّياق نفسه عمل الباحث على مجموعة من نماذج قصائدية تكلمّ فيها عن أنواع الاستعارات التّصوّرية: (الاتّجاهية، والبنوية، الانطولوجية، التزامني)، ممّا أّى به إلى إدراج مبحث آخر؛ وقد تحدّث فيه عن الأفضية الذهنية لفوكانياي 1996م، إذ يرى الباحث في هذه الطّريّة أنّ مجال الفضاء يتضمّن فرعين وهما:

شكل الفضاء وشكل المسارات والاتجاهات، إذ أن الفضاء يحتوي مجموعةً من القطع مرتّبة وفق الأبعاد الثلاثية أشبه ما تكون بالأشكال القطبية للنجوم في الفضاء الكوني، وبالرجوع إلى الفضاء الذهني فإن هذه المجالات للقطع المرتّبة في الفضاء - تنتظم وفق اتجاهات ومسارات مختلفة، كالفوق، تحت، وراء، أمام، خلف، تقم...، وتترجم هذه الحركة من الفضاء الذهني بواسطة عمليات باطنية على درجة عالية من التعقيد، فتؤول إلى حروف فضائية قد تبين فيما بعد وتتجسد على أرض الواقع، فالفضاء الذهني عاكس ومسقط للعالم الحقيقي والمسقط، وما يكون موجوداً أصلاً داخل الذهن، لذلك فإنه ليس من الضروري أن يكون الفضاء خاضعاً للتقييم الذهني المنطقي، إذ تنشأ الأفضية الذهنية نشوءاً فورياً أثناء استعمال اللغة وتتعدّد بطريقة فورية ولحظية في آنيته، وبالتالي فإن الفضاء الذهني بنية عرفنية يبين من خلالها العقل مجموعةً من المجالات والمسارات التي بدورها تنتج تتناسل بواسطة الترابطات العقلية بين مجال ومجال آخر أكثر ما يميّزهما التشابه والتعاضد والتوافق، هذا الإنتاج يكون أثناء التكلّم والسمع، وقد عرض الباحث في هذا السياق على سبيل التوضيح لهذه المفاهيم نموذجاً للقاصة: "زليخة سعودي" والشاعر "عمار بلقرشي" في ديوان "مقام الاغتراب"، حيث يؤكد فيها عن المدى الذي يكون للموقع المتكلم، -الكاتب، القاصّ- من دور متجلّ في بناء تصوّر الفضاء الذي تتواجد فيه، إذ يُعدّ الموقع الذي يتمركز فيه المتكلّم العامل الأساسي والأول في بناء تصوّراتنا الذهنية ويتحكم فيها.

وقد ناقش الباحث جزئية العلاقات شبه الفضائية ضمن هذه النظرية، وذلك بتطبيقها على "الآية 35/34 من سورة الكهف" والتي تعالج قضية الملكية، ويرى الباحث أن وصف الحقول شبه الفضائية يقتضي إسقاط الأفضية توسط جملة من العلاقات، هذه الأخيرة تكون وفق شكلين حسب رأيه علاقات فضائية دالة على الفضاء المائي، والآخر علاقات دالة على الفضاء اللامادي (المعنوي)، ويكون مفعول الحرف في الحالة الأولى مكاناً، ومفعول الحرف

في الحالة الذّانية شخصاً، وقد توصل من خلال هذه الآلية إلى أن "الملكية هاهنا شبه فضاء"¹ تم وفق هذين العلاقتين المادية والمعنوية.

بعد تقديم الباحث مفهومه للسانيات العرفنية وظروف نشأتها ومبادئها، اتجه في دراسته صوب الشقّ الذّاني منها، قد تحدث عما وراء الذّاكرة والمرونة العرفنية مشيراً إلى أن هذا الموضوع حظي باهتمام العديد من الباحثين سيما المتخصصين في مجال علم النفس التّطوري وعلم النفس العرفني، إذ أطلق عليه عدّة مصطلحات: ما وراء الإدراك، التّفكير في التّفكير الواعي والتّفكير، فوق المعرفة... وقد حدّد الباحث الإرهاصات الأولى لهذا الموضوع، والتي كانت بداياته في فترة السبعينيات من القرن الماضي على يد عالم النفس التّربوي "جون فلافل" John Flavell.

ماذا يحدث حينما نفكر في أفكارنا؟! بحسب هذه التّراسة؛ فإنّ هذا السّؤال الجوهرى انبثقت عنه عدّة آراء، من بينها ما ذهب إليه "جون فلافل" كون أن الوعي بآلية عمل الذّاكرة لدى الإنسان سيما عند الطّفل باعتباره أنّه المصدر الأول للمعرفة فإنّه قاصر إلى حدّ ما، ومردّد ذلك لصعوبة هذه المهمّة وعدم التّناسب في الاستجابة لها، وقد لا يتمّ هذا الأمر إلّا بتطوّر بنية الذّكاء وبنية النّكية لدى الإنسان ليصل إلى مصاف التّحكّم في تفكيره عن آلية التّفكير.

فيما يرى البعض الآخر من الباحثين أمثال "براون"؛ إذ لا ينفي وجود هذه الآلية، ولكن في ظلّ ضرورة توظيف استراتيجية هامّة لموارد الفرد وبنيتها معرفياً لتحقيق مسعى الفهم والرّؤية، والتي يستخدمها الفرد بواسطة مهارات التّنظيم الذّاتي، التخطيط، والمراقبة، والتّقييم في حين نجد العالم "ستير نبريج" أن عمليات ما وراء التّفكير أو التّفكير في التّفكير عمليات تحكم عليا وظيفتها التخطيط والمراقبة والتّقييم لأداء الفرد أثناء قيامه بحلّ المشكلة² ومن هنا حدث التّغيير على مستوى الرّؤية المخالفة للنّظام المعرفي المنّدة إلى إيجابية التّفكير، من

¹- الذّلقّي والإنتاج في ضوء العرفنية - تنظير ولجاء-، ص115.

²- الذّلقّي والإنتاج في ضوء العرفنية - تنظير ولجاء-، ص116.

خلال تكييف هذه العمليات العقلية مع الفهم؛ إذ يفكر الفرد من أجل الإجابة عن أفكاره التي تشغل دماغه، ومن هنا يمكننا القول إنجاز لنا التعبير أن التفكير في ما وراء الإدراك والتفكير يكون فيها الإنسان مسلوب الإلوة في التفكير في كيفية عمل التفكير والذاكرة في ذهنه، ثم انتقلت الآراء نحو الإقرار أن العمليات الذهنية التي هي على درجة عالية من التعقيد تتسلح بمهارات النظام الذاتي من التخطيط، المراقبة والتقييم لتحقيق أعلى مستويات الفهم والرؤية فيصبح للعقل قدرة هائلة على التكيف مع هذه العمليات الباطنية المعقدة للوصول إلى عمليات التحكم العليا التي تتم وفق استراتيجية ذهنية معقدة بجملة آلياتها، ومن ثم فإن عقل الإنسان دائماً في حركة تفكيرية تطورية متغيرة عبر الزمن، فهو يفكر والتفكير يقوم على عمليات عقلية منطقية غير مرئية مجردة، تلك العمليات تجري في فلك التخطيط، المراقبة، التقييم، تتم من خلال سعيها للتعليم، إذ أن الإنسان دائماً ما يحاول الإجابة عن الأسئلة: كيف نتعلم الأشياء من حولنا؟ كيف نكتسب المعرفة؟ والمعرفة لا نكتسبها إلا من خلال التفكير فيها، والأكثر من ذلك ما نستطيع الاستفادة منه بواسطة هذه العمليات، تلك المرونة التي تظهر في السلوك الإنساني وقد ترافق المرونة هذه العمليات المعرفية مثل: الوعي، والتماثل العقلي، وتوليد البدائل وإدراك التشابه¹.

ومن هذا المنطلق؛ فإن مكونات ما وراء الذاكرة تقوم على أساسين: الأساس الأول وهو المكون الأول لها والذي يهتم أساساً بمعرفة الإنسان الذاتية بكيفية عمل دماغه مع المهام الموكلة إليه، ناهيك عن معرفة قدراته وخصائصه، ويتم هذا الوعي الذاتي بالمعرفة من خلال المعرفة المفاهيمية والمعرفة الإجرائية، ولعل المقصود من المعرفة المفاهيمية: مدى وعي الإنسان بذاته ليوظف مجموعة هذه المعارف المفاهيمية من الالتزام بالمهام التي يكلف بها وذلك من خلال تحديد المسار والاتجاه نحو تحقيق الهدف، لذلك يتولد لديه الإحساس بالاتجاه من خلال انتباه الفرد، سواء إرادياً أو لا إرادياً لأن الفرد في طريقه واتجاهه نحو تحقيق مهام

¹ ينظر: التلّقي والإنتاج في ضوء العرفنية - تنظير وإجراء -، ص 117.

معينة يتعين عليه الاهتمام والانتباه، ولا يتم هذا الفهم والإدراك والمعرفة إلا بالوعي بالمفاهيم والكشف عنها وعن مدى الارتباط الموجود بينها وبين المعارف والمدارك والمفاهيم الأخرى من جهة، والوعي بمصطلحات المعرفة والمفاهيم المراد الوصول إليها واكتسابها، والوعي بالرموز والقوانين من جهة أخرى.

أما فيما يخص المعرفة الإجرائية، والتي تقوم على عدة إجراءات منها إدراك الخطوات وهو الوعي بالمسار الإجرائي الممنهج من أجل الوصول إلى حلّ المشكلات، إلى جانب هذا ضرورة معرفة نماذج وتراكيب والمعرفة السياقية، والتي تتضمن أولاً معرفة المخططات لتكوينها وتنظيمها، وأيضاً الوعي بخطوات البناء والتّركيب، بالالتزام بشروط وأسباب حلّ المشكلة المراد أولاً الكشف عنها وإيجاد بديل لها أو حلّها، وقد يمرّ بطريقتين ضمن هذه المعرفة السياقية؛ إذ يمكن معرفة أسباب ومبررات المشكلة وإيجاد الحلول لها وذلك عن طريق التّعديل في النمط (تعديل أسلوبه في ظلّ ما تدعوه الضرورة إليه)، أو تبديل الاستراتيجية (الفائدة يراها مناسبة لذلك) وهذا ما قد نمارسه في المجال التّعليمي من أجل الحصول على نتائج أفضل.

والأساس الثّاني المكوّن للتّفكير في التّفكير، أو ما يُسمّى ما وراء الذّاكرة يشمل للتّظيم الذاتي والمتضمّن ثلاثة أنماط: معرفة تصرّحية؛ كتّظيم التّفكير وإعادة بنية المخطّط وتحديد المعالجات المناسبة والوعي بالعلاقات وأسباب حدوثها، من معرفة إجرائية كتّعديل النمط، والتّبدّل، والتّحسين، والتّفكير في كيفية القيام بذلك، ومن معرفة الشّروطية التي تتطلّب إجراءات مختلفة من إعادة بناء، وتعديل مجموعة المخطّطات والأخطاء المراد معالجتها ويتمّ هذا الإجراء وفق تنّظيم التّفكير الذاتي قصد تنمية كيفية عمل الدّماغ للتّحكّم بالذّات، وذلك من خلال حصّة ما يضعه أمامه من منظورات متعدّدة بمقارنتها، واختيار المناظير المناسبة منها، لحلّ المشكلات التي تعترضه، ناهيك عن محاولته إيجاد البديل الّوعي كسبيل إجرائي لعملية الضّبط القائمة أساساً على التّخطيط، والمراقبة، والتّنظيم، والتّقويم...

وفي هذا الصّدد أكّد "غيلوس" على الطّريقة التّربوية المعتادة من أجل ترسيخ كيفية تعامل المتعلّم إزاء المعرفة، وما يجب فعله بشأن ما يريده من تنّظيم تفكيره في أنماط ما وراء إدراكه،

ألا وهي طرح مجموعة من الأسئلة المتمحورة فيما يريده، وما يعرفه عن المهمة الواجبة عليه، أيضاً ما يجب طرحه من أسئلة عن طبيعة موضوع دراسته وجوانبها، وما يسعى إليه وضبط ما يحتاجه منها، إلى جانب هذه الأسئلة في محاولته الوصول إلى المبتغى يطرح أسئلة أخرى إجرائية عما يتطلبه من وقت ليجد ضالته ولإشباع مراده المعرفي ينتهج نهجا وسبيلاً معيناً لمعرفة ما يريد تعلمه، ويستمر في السؤال إلى أن يصل إلى المهمة المراد فهمها وإيجاد الحلول لمشكلاتها ومعرفة كيفية التفكير في ما وراء ذاكرته بمجموعة كل أنواع المعارف التي تطرق إليها الباحث وما حدد من إجراءات لها، وفي الطرح الإجرائي نفسه توصل "غيلوس" إلى نتيجة مفادها أن آليات ما وراء الذاكرة تتمتع بدور هام ورئيس في العملية التعليمية والتعلمية، لما تمكّنه للمتعلم من السيطرة على موارده المعرفية من جهة وتوظيفها بطريقة مرنة، وتبث فيه روح المبادرة من جهة مقابلة، ومراقبة أدائه بصورة أكثر فاعلية من جهة أخرى، إذ تمنحه هذه الدعائم الجاهزية المعرفية سيما الذاتية، والثقة في النفس؛ مما يجعل منه فرداً متميزاً، وفاعلاً، ومبدعاً، ومتفرداً عن بقية زملائه.

وفي مقام موالٍ قّم الباحث عدة تعريفات للتفكير لإيضاح العلاقة القائمة بينه وبين ما وراء الذاكرة، وكانت من أهم التعريفات التي قّمها، كون التفكير: "سلسلة من النشاطات العقلية التي يقوم بها الدماغ عندما يتعرض لمثير يتم استقباله عن طريق واحدة أو أكثر من الحواس"¹. على الرغم من هذا التعريف إلا أن التفكير في الأشياء من حولنا أو بالأحرى تحرك الأفكار، لا يقوم حين التعرض لمثير من المثيرات المستقبلية، فهو أعمق من تلك الاستجابات، قد يكون عملية على درجة عالية من التعقيد الباعث فيها حسي ومجرد بعض الأحيان، إذ لا يمكننا قصر التفكير على الأمور التي تطالها حواسنا فقط؛ وإنما قد يكون المحرك غير مرئي ومجرد يملك قدرة هائلة، سواء على مستوى العمليات الحسابية، الرياضية الإحصائية...، تكون على درجة عالية من التخطيط الذهني اللاواعي، وخصّص الباحث نوعين للتفكير من أصل

¹ -حرون فتحي عبد الرحمن، تعليم التفكير، دار الكتاب الامعي، الإمارات، 1999، ص33.

خمس أنواع ذكرهم كالآتي: العلمي، الإبداعي، والناقد والتّحليلي والتّأملي، وقد اختلّ التّفكير الإبداعي، والناقد، إذ غي من هذا التّقسيم الأخير: التّفكير المطلوب في المواقف التي تحتاج إلى تمحيص والحكم على قضاياها الاجتماعية، والعلمية كانت، أو أثناء إثراء النقاش حول موضوع معيّن مع تقويم الحجج والبراهين الخاصة بقضية يعنيها...¹، أمّا التّفكير الإبداعي فقد أقرّ الباحث عدم وجود تعريف جامع مانع لمفهوم الإبداع وذلك لاختلاف زوايا النظر، فمنهم من رآه من ناحية أهميّة الإنتاج (فائدته، ندرته) ومنهم من نظر إليه من زاوية العمليات العقلية المنظّمة، فيما ركّز البعض الآخر في مسار الفؤ والتّغوّ في حياة المبدع، ويعني عنده -دائماً بحسب رأي الباحث-: "القدرة والابتكار موبّدسم بالتّجديد والأصالة على غير المثال السّابق"²، وقد أشار إلى تعريف كلّ من "جيري" و"شابلن" للإبداع، واختصره أنّه: "رؤية العالم بطرق جديدة ومختلفة أو إيجاد حلول جديدة لمشكلات أو توليد أفكار مفيدة تجمع بين الأنماط القديمة وبين المفاهيم المتجدّدة"³، وقد أسهب الباحث في هذين التّوعين من حيث مفهومهما، وخصائصهما وأشكالهما، وما يسعيان لتحقيقه من أهداف نظراً لأهميتهما في حياة المتعلّم والمعلّم في تعزيز طريقة التّفكير، لهذا يرى "غيلوس" أنّه من غير الممكن المقارنة بينهما لعدم قابلية الفصل والتّفرة بينهما، ومردّد ذلك عنده أنّ أيّ تفكير سليم يحتوي على تقييم معيّن، سواء كان تقييماً خاصّاً بالجودة أو التّوعية، وإبداع وإنتاج لما نصفه بالجّدة، ولكن وبالرّغم من عدم إمكانية الفصل والتّفرة إلّا أنّ الباحث "باير" قد أورد نقاط الاختلاف بين التّفكير النّاقّد والإبداعي، وقد ضمّنه الباحث "غيلوس" في جدول راصدا فيه أهمّ الفروقات من بينها أنّ التّفكير النّاقّد تفكير متقارب، في حين أنّ التّفكير الإبداعي تفكير متشعب، إذ يعمل التّفكير النّاقّد على الكشف عن مدى مصداقية وسلامة أمور موجودة وأيضاً في كون أنّ التّفكير

¹ - جابر عبد الحميد: سيكولوجية التّعلّم ونظريّات التّعلّم، دار النهضة القاهرة، 1983م، ص 10.

² - التّلقي والإنتاج في ضوء العرفنية - تنظير وإجراء -، ص 126.

³ - مروان فتحي، تعليم التّفكير، مفاهيم وتطبيقات، ص 18.

الإبداعي يتميّز بالأصالة، وقد يتّفقان في ضرورة وجود جاهزية ودافعية لدى الأفراد قصد إيجاد حلول للمشكلات وقيامهم بالمهمة المخولة لهم وذلك من خلال التّحكّم في أنواع التّفكير العليا. يتّبع من هذه التّفريقات أنّ التّفكير النّاقّد تفكير نمطي ومألوف، في حين أنّ التّفكير الإبداعي، وإن كان تفكيراً يعتمد على أنماط مقبولة إلاّ أنّه يتمرّد في كثير من الأحيان على نمطية المبادئ والقواعد المنطقية السّائد، لذلك لا يمكن التّنوُّ بنتائجه، وبالرّغم من هذا فإنّ هذا التّفكير شقيّه ونوعيه متجلّية في ممارسة المتعلّم وأدائه مهمّةً ما قصد إيجاد حلّ لها لهذا الغرض يعتمد على مبادئ وقواعد ليكسرها وينتج ويبدع أموراً جديدةً أخرى أكثر ما يميّزها الأصالة والإبداع والإنتاج.

وفي سياق دراسته للبنائية المعرفية، أوضح الباحث أنّها تصوّر ينطلق في تفسير التّعلم هذا الأخير يعتمد على بنيات معرفية، ومن ثمة فإنّ عملية التّعلم ها هنا ليست قاصرة على عملية الفهم والتّفسير فقط، وإنّما في ظلّ ما اتّجهت إليه العملية التعليمية من ضرورة تقديم المعرفة للمتعلّم لفهمها وتفسيرها وحفظها وإرجاعها صار من اللازم إيجاد طرق تعليمية من خلال بنية المعارف بالظّر للمضامين والمحتويات وكفاءة المتعلّم من أجل ترسيخ مبدأ التّطبيق والتّوظيف في الحياة اليومية وتجسيدها على أرض الواقع، فما الهدف من تلقين المعارف دون الوصول إلى مبتغى البراغماتية من المعارف المكتسبة واستثمارها بطريقة واعية.

فبالرجوع إلى الاستراتيجية المعتمدة في بنية المعارف ضمن البنائية المعرفية، نجد أنّها تتوافق ومستجّبات الدّرس العرفي بجملة الظّريّات والآليات التي يحملها من أجل الكشف عن آلية إنتاج واكتساب اللّغة من جهة، والكيفية الذهنية التي يشتغل بموجبها العقل البشري في تمرير المعلومات وحفظها وإرجاعها واكتسابها وتخزينها...، وغيرها من العمليات التي تتمّ من خلال الضّبط والفهم والتّفسير والتّأويل والانتباه والذاكرة.

وبحسب رأي الباحث فإنّ البنائية جاءت ردّ فعل على الظّريّة السلوكية -مثير استجابة- ؛ إذ نشأت في رحاب التّوعية العقلية التي تنفي ذلك التّساوي بين ذلك السلوك البشري والسلوك الحيواني دون الامتثال لسلطة العقل المميّزة للإنسان، ومن هنا أحدثت هذه التّوعية انقلاباً معرفياً

نوعياً، أهم ما يميّزه تلك الرؤية المخالفة لما سبق باعتداد مبدأ التفاعل بين الذات العارفة وموضوع المعرفة¹.

وفي سياق حديث الباحث "غيلوس" عن أسلوب التعلّم البنائي المعرفي معرّفاً إياه أنه: "عملية اكتساب وسائل مساعدة تسهم في إشباع وتلبية الحاجات والّوافع وتحقيق الأهداف ويمكن أن يتخذ هذا النوع من التعلّم أشكالاً متنوعة، ومن هذه الصور التي حدّدها كحلّ المشكلات، والعصف الذهني والتعلّم التبادلي، واستخدام الخرائط الذهنية"².

وقد توصّل من خلال هذا التعريف أنه بالإمكان تطبيق نظرية البناء في عمليات التعلّم من خلال تبادل الأدوار بين المعلم والمتعلّم، حيث يتمّ تحديد دور المعلم كدور للتوجيه والإرشاد، بينما يكون المتعلّم باحثاً عن المعرفة وساعياً نحوها، ومردّ هذا التعريف أنّ موارد المعرفة في حقيقة الأمر لا يتمّ توظيفها واستثمارها إلاّ من خلال الممارسة الفعلية لها، ويرى الباحث في هذا المقام أنّ "جون ديوي" زعيم التّوعية البراغماتية، وما يؤكّد ذلك عنده أنّ الإنسان بوصفه عنصراً حياً، سواءً من خلال جوهره أو ما بيّته، دائماً ما يراهن على التّيمومة والاستمرار، ويتمّ ذلك من خلال تفاعله مع العناصر المحيطة به، ممّا يمكنه من التّكيف مع البيئة التي يعيش فيها من جهة، والتّعامل معها بالشّكل الذي يكفل له التّلاؤم من جهة أخرى، إذ يتيح له التّفاعل الجيد معها بطريقة تلبّي وتحقّق كلّ احتياجاته، ويقرّ جون ديوي أنّ الشّاط الدّاتي والخبرة مصدران أساسيان للمعرفة الإنسانية لذى لا يمكن القول أنّ هناك استقراراً في الحياة أو في المعرفة بحدّ ذاتها، حيث تعتبر الموارد المعرفية متغيّرة باستمرار.

ويعدّ العقل البشري نشاطاً ذاتياً تحوّل من خلاله الفكرة من عالم الخيال إلى العالم الواقعي؛ أي تجسّد على أرض الواقع، والتّفكير إنّ لم يحوّل إلى العالم الخارجي سيبقى حبيس العقل، وقابلاً في الخيال، لهذا الأمر فإنّ الأفكار تتجسّد من خلال اعتراضها لمشكلات ومثيرات خارجية تصبح على إثره ذات قيمة أدائية هامة.

¹ ينظر: الدّلقّي والإنتاج في ضوء العرفنية - تنظير وإجراء -، ص 136.

² الدّلقّي والإنتاج في ضوء العرفنية - تنظير وإجراء -، ص 136.

هذه الأخيرة التي تُكسب الأفكار قيمة مضافة في حياة الفرد، ويتمشى انتقال الأفكار المختزنة داخل الدماغ إلى التجسيد في الواقع اليومي مع النظرية البنائية التي تحفز المتعلم على توظيف معرفته ومهارته في سياق الواقع.

وانطلاقا مما سبق سابقا، فإن الأفكار عندما تشحن بمجموعة من الخبرات والأنشطة الذاتية، وتتفاعل بينها وبين الواقع الخارجي بمجموعة وقائعه وملابساته وتصبح بذلك قادرة على التحول من مجرد أفكار إلى تطبيقات عملية تضيف قيمة للأداء الإنساني.

ومن ثمة، فإن الإدراك الحقيقي للمشكلة ومواجهتها لا يتم إلا من خلال المعرفة الحقيقية بها للوصول إلى كيفية التغلب عليها، فالمعرفة هاهنا يستغلها الفرد من أجل تطويعها وتذليلها لخدمة أهدافها وتلبية حاجاته، فلا تتحدد قيمة المعرفة إلا بتوظيفها واستثمارها، وفي المقابل فإن مجموعة المعارف تساعد لا محالة في حلّ مشكلات الماضي والحاضر معا، ولا وجود للمعرفة إلا حين تعترضها المشكلات فتحاول حلّها، ومن هنا فإن الوقائع متغيرة وبالتوازي فإن المعرفة أيضا متغيرة مما يدلّ على ديناميّتها وتراكميتها.

وفي هذا المضمار يرى الباحث "غيلوس أن مهمة التربية عن جون ديوي تكمن في إعداد الفرد للتعامل والتفاعل الجيد في حياته وفي الحياة الاجتماعية بصفة عامة، إذ أن التربية لا تُعنى بالجانب المعرفي الأكاديمي فحسب، ولكنها تشمل جوانب أخرى خاصة بالفرد والمجتمع.

ولهذا الأمر دعت الضرورة إلى إيجاد آليات واستراتيجيات تعليمية من جهة، وتربوية من جهة أخرى كلّها تسخر من أجل خدمة الفرد والمجتمع، وقد حدّد الباحث وظيفيتين أساسيتين تعدّان وجهان لعملة واحدة، لا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض، تتمثّل الوظيفة الأولى في نقل المعارف المتراكمة والمكتسبة، وغرس المعارف الجديدة، أما الوظيفة الثانية فتهمّ بتخزين المعارف السابقة (القبلية)، وتزويدها بكلّ ما هو جديد، فهي تقوم أساسا بإعداد الفرد ليندمج ضمن الواقع اليومي وذلك من خلال التوظيف والتفاعل مع تلك المعارف واستثمارها.

فإعداد الفرد هاهنا قائم على إعدادين؛ إعداد نفسي والآخر اجتماعي، ولا يتحقّق الثاني إلا بسلامة الأول، ولا يتمّ الأول إلا بحضور الاستعداد الثاني، ولهذا يُعدّ الإعدادان وجهان

لعملة واحدة غير قابلة للفصل؛ إذ تنطلق العملية الإعدادية من الإعداد النفسي وصولاً للإعداد الاجتماعي من أجل الحصول على فرد ذا كفاءة يمكن له التفاعل مع محيطه بشكل يكفل له حقوقه ويضمن له حاجاته، ويحقق به ما أسند له من واجبات.

وقد أشار الباحث إلى الصور التي يتخذها أسلوب التعلّم البنائي كلاً على حده، وفي البداية عدّ حلّ المشكلات خطوة أساسية في عملية التعلّم؛ حينما يواجه المتعلّم تحديات تثير فضوله المعرفي وتضعه في حيرة، ممّا يؤثّر به إلى تشجيعه لإعادة التفكير من أجل إيجاد الحلول المناسبة هنا يأتي دور المعلم في تعزيز قدرات المتعلّم وتشجيعه على التعبير بصدق عن المشكلات التي تعترض واقعه اليومي، ومن ثمّ تذللّ له المصاعب ويكون قادراً على اختيار منهجية معيّنة تكون فاعلةً للحلّ بواسطة التوجيهات والإرشادات المقّمة من طرف المعلم.

فتحديد المشكلة بشكل واضح وجميل يتيح للمتعلّم الفهم الكافي للمشكلة ممّا يجعله متمكناً من إعادة صياغتها بشكل يتناسب ومستواهم العقلي، أيضاً مع مستوى العمر لديهم ولا يتأتّى هذا التّحديد إلّا من خلال ما يجب على المعلم من تسديد وتوجيه، وذلك لأنّ التّشدّات غير مطلوب؛ إذ يجب عليه بناء المشكلة ثمّ تحويلها إلى إشكالية تفتح مجال البحث عن حلول لها وفق خطوات ممنهجة.

لتأتي بعد ذلك مرحلة وضع الفرضيات واقتراح الحلول، ومن هنا يكون دور المتعلّم متجسّداً في قيامه بالبحث وتنظيم المعلومات قبل وضع فرضيات مناسبة لصلب الموضوع المواد إيجاد الحلول له، وهنا يكمن دور المعلم الهام في عملية تدريب المتعلّمين على التفاعل مع المكتسبات ومجموعة المدارك والمعارف باستخدام المصادر المتاحة عند وضع الفروض التي تعدّ بمثابة حلول مؤقتة تحقّق من التجربة؛ وعند التّحقّق من التجربة يجب على المتعلّم أولاً العناية في اختيار الفرضيات والتّحقّق من قابلية تحقيقها من عدمها والنظر في مدى صحتها من خلال الملاحظة والتّجربة، ثمّ يقوم المعلم بتوجيه المتعلّم ليضمن وصوله إلى منهجية سليمة للحلّ.

يتعّن ممّا سبق من خطوات أسلوب حلّ المشكلات خاصّة بعد التّوصّل إلى الحلّ الصّحيح والتّحقّق من صحّته، يتمّ تحليل النتائج وفحصها وتكرار العملية للتّأكّد من استمرار الفعالية، إنّهُ يتيح للمتعلّمين تجاوز المشكلات بطريقة ممنهجة وعلمية تمكّنه من الوصول إلى نتائج حقيقية، يمكن له تعميمها وتطبيقها على ما يعترضه في المستقبل من مشكلات مماثلة ومشابهة لها في شتّى مناحي الحيا وقد اختار الباحث "غيلوس" صورةً أخرى من صور التّعلّم البنائي المعرفي وهي صورة أسلوب العصف الذّهني، إذ عدّه أسلوباً فكرياً يمّوزه التّخّي عن القيود التّقليدية، مركّزاً على الخواطر الفجائية للعقل الباطن لإيجاد الحلول للمشكلات وتوليد أفكار إبداعية¹، وفي المقام ذاته اعتبره آلية فعّالة لتنمية التّفكير وتطوير الحلول الإبداعية، مستندا إلى التّفكير المشترك بين الجماعة قصد المناقشة للوصول إلى حصيلة الأفكار المخزّنة لدى المتعلّم وما يستطيع توليده من أفكار جديدة من خلال عملية العصف.

وتهدف عملية العصف الذّهني لإمكانية استحضار الأفكار وتوليدها، بواسطة استراتيجيات هدفها تنشيط العقل الإنساني وتحفيزه على عملية الحفظ والتّخزين والاسترجاع بتنظيمها وتطبيقها على مشكلة تعليمية ما، إلى جانب هذا فإنّ هذا الأسلوب يُعدّ منهجاً تعليمياً يعمل على تعزيز وإثراء المعرفة وتطوير مهارة المتعلّم، إذ تتجلّى أهمّية العصف الذّهني في تأجيل التّقد لأنّ التّقد هنا يحدّ من عمل دماغ المتعلّم في توليد الأفكار من جديد، لهذا يعتبر التّقد من الشّروط المحصورة في عملية العصف الذّهني لأنّه لا يحقّق الابتكار ولا يحفّز التّفكير الإبداعي، ولكن من جهة أخرى يجب أن يتحلّى المتعلّم به ذلك لتوليد أفكار رائدة، إذ تساعد مهارة التّقد والتّحليل والابتكار المتعلّم في توليده أفكاراً جديدة تسهم وبشكل مباشر في حلّ المشكلات بأساليب إبداعية إلى جانب الاستفادة من آراء الآخرين، فذلك يشجّع على تطوير مجموعة هذه المهارات، وفي هذا السّياق فإنّ جملة المبادئ التي عرضها الباحث من خلال المفاهيم السّابقة لهذا الأسلوب تقوم على مبدئين؛ المبدأ الأوّل: اعتمادها على تأجيل الحكم

¹ ينظر: التّلقّي والإنتاج في ضوء العرفنية - تنظير وإجراء -، ص 136.

في المرحلة الأولى وذلك لترك العنان للأفكار دون كبجها، هذا ما يعزز أولا "مبدأ التعزيز التلقائي للأفكار"، في حين تأكد في المرحلة التي بعدها كمبدأ ثانٍ على أن الكمية تولد النوعية، فحينما تكون النوعية جيدة وصحيحة وسليمة من حيث الأفكار فإن الكمية تتحدد فيها بحسب الكم الصحيح والسليم المولد لهذه الأفكار والمخزنة منها؛ أي كلما كانت الكمية منتجة للنوعية كلما ساعدت في إيجاد أفكار غير تقليدية وغير مألوفة وقيمة وجديدة ويتم هذا الأمر وفق قواعد العصف الذهني -دائما بحسب رأي الباحث "غيلوس" - التي تشمل تجنب النقد لتعزيز حرية التفكير، والابتكار، والإبداع.

وفي هذا السياق الذي يستند لإجراءات التعلم بالعصف الذهني كاستراتيجية مبنية على مراحل محددة لتحقيق نجاح التعلم استعرض الباحث جملة هذه المراحل من وضع الإشكالية حيث يبرز الباحث أهمية مرحلة وضع الإشكالية ويشدد على أهمية توضيح المشكلة وتحديد عناصرها الأولية بشكل دقيق، لأنها تسهم وبشكل دقيق في فهم كنهها والوصول إلى أعماقها. بالإضافة إلى ذلك، يقم الباحث ظرة ماسحة لمرحلة إعادة صياغة الموضوع، وذلك من خلال ما هو مطلوب من المتعلمين في تهيئة جو الإبداع أولا أيضا التدقيق بالوقت وتنظيمه، حيث يؤكد الباحث هاهنا على ضرورة تهيئة الفترة الزمنية المحددة بخمس دقائق لإطلاق العنان لأفكار المتعلمين، الأمر الذي يعزز من إبداعاتهم الفكرية.

ويشير الباحث في مرحلة توليد الأفكار إلى أهمية تدوين الأفكار بدقة وترقيمها بوسائل توثيقية لجملة الأفكار، مع التركيز على تحديد أغرب فكرة من بين الأفكار التي تم توليدها وتدوينها، مما يشجعهم على معرفة كيفية تصنيف الأفكار؛ إذ يطلب من المتعلم في هذه المرحلة مع التشجيع الدائم تصنيف الأفكار، ووفق جودتها وأصالتها ومدى فاعليتها وقابليتها للتطبيق والإجراء مما يساعد على تنظيم الأفكار وارتزائها وفق سلم تراتبي، وتماشيا مع هذه المراحل تأتي المرحلة الأخيرة وهي جلسة التقويم؛ إذ تُختم الجلسة بتقييم المشاركين، إذ يقوم الباحث بتصنيف تلك الأفكار بطريقة علمية ومنهجية؛ كالجداول والأصالة وملاءمة الإجراء وغرابة الأفكار، تجمع هذه الأفكار وفق حقول للوصول إلى أفكار جيدة وذات جودة.

وفي إطار تقديم الباحث للصور التعليمية والاستراتيجيات التي تتسجم مع افتراضات النظرية اللسانية العرفنية تطرق للخرائط الذهنية بوصفها أداة تقنية ومنهجية فعّالة لتسهيل فهم وتنظيم الأفكار في المجال التربوي، إذ يوظف التّصوّر البصري في تمثّل هذه الأفكار العلمية، وقد هدف الباحث إلى عرض تطبيقات هذه التقنية وفهمها العميق من خلال مفاهيم وقد طّبّقها على مجموعة من الأنشطة مع التّمثيل لها بصور مخطّطات وتمثيلات بيانية ورسومات... وغيرها من الطّرق التّصويرية البصرية، وقد صدّف الباحث أنواع الخرائط وعدّها مع إيضاح كيفية توظيفها، إذ تعتمد الخرائط بأنواعها الفقاعية، والمقارنة، والدّعامية والجسرية، وخريطة التدفّق على تخطيط الدّهن، وذلك لتعزيز الإبداع والتّفكير الشّامل، وقد استخدم الباحث مجموعة هذه الخرائط لإبراز أهميتها في جذب اهتمام المتعلّم وتعزيز فهمه وليجسد العلاقات القائمة بين المفاهيم، وقد وضّح الباحث كيفية تعزيز كلّ نوع منها في فهم المفاهيم باستعراض خصائص كلّ واحدة منها، فالخريطة الفقاعية تعتمد على تشكيل دوائر مركزية وأخرى فرعية، تسهم في تنظيم تلك المفاهيم بشكل دقيق ومنطقي، أمّا الخريطة المقارنة فتبرز ذلك لتشابه والاختلاف بين تلك المفاهيم المتعدّدة، من خلال توضيح علاقات الائتلاف والاختلاف فيما بينها ما يعزّز الفهم الجيّد، في حين الخريطة الدّعامية تستخدم من أجل تحديد وتوجيه البحث نحو الهدف مباشرة، إذ يضع الباحث هيكلًا أشبه ما يكون بقوس المحارب، الجزء الخاصّ بالدراسة والبحث يكون بالجانب الأيمن، والأجزاء الفرعية تكون من أعلى شفرة القوس وأسفلها على الجانب الأيسر للوصول إلى الهدف مثلما يسدّ المحارب القوس بسهامه المنتقاة بعناية نحو الهدف، وبذلك فإنّ الباحث ها هنا يعزّز التّوجيه الهيكلي للبحث ليحقّق هدفه من الدّراسة، أمّا بخصوص الخريطة الجسرية وخريطة التدفّق، فإنّ الأولى تُعنى بإظهار المفاهيم المساعدة وتعمل كوسيلة وأداة فاعلة لتوجيه التّفاعّل فيما بينها أمّا الثّانية فخريطة تدفّق الأفكار وتعمل على توضيح العلاقات السّببية بين المفاهيم، ناهيك عن التّعزيز وتوجيهه للاستنتاج الخاصّ ببحث ما؛ أي تركّز على الوصول إلى مجموعة الاستنتاجات التي تخدم ذلك البحث "علاقة

السبب بالنتيجة¹، وقد أبرز الباحث غيلوس على المستوى العملي والإجرائي لهذه الخرائط لما تحمله من أهمية وفوائد أساسية في تنظيم وضبط الأفكار على اعتبار أن هذه الخرائط أدوات مهمة للباحثين في تنظيم وتبسيط وترسيخ وتحليل المعلومات والعلاقات فيما بينها، وتعزيز عملية الفهم والتحفيز على الإبداع في عمليات البحث التربوي والأكاديمي.

- البنائية الاجتماعية الثقافية:

إنّ المتأمل في مضمون النظرية البنائية الاجتماعية لصاحبها "فيجو تسكي" يجد أنّ العملية الاكتسابية تكمن في إدراكنا الأشياء من حولنا؛ إذ أنّ الإدراك يتطور أساساً من خلال الدور الذي تلعبه العلاقة بين توليد المعنى وعملية الاحتكاك الإيجابي لدى الفرد، لهذا الأمر كانت هذه النظرية محتويةً على الاستراتيجيات الفعّالة في تطوير عملية التعلم لدى الطفل وذلك من خلال تنمية قدراته وتمكينه من توظيف الوظائف العقلية العليا بواسطة تفاعله داخل محيطه المدرسي مما يمكنه من إتقان اللغة وحسن الحوار، وبهذا يكون "فيجو تسكي" قد ركّز على الخبرة الاجتماعية للمتعلم...، ومن خلال هذا الطرح انتقل الباحث إلى أهم الفرضيات التي قامت عليها النظرية، من بينها أربع فرضيات هي كالاتي:

أولاً؛ يُطلق عليه التعلم البيولوجي ويسبق الضج، ويمثّل الافتراض الثاني إبداع واستخدام الثقافة المعتمدة على نظام الرموز (التعلم الاجتماعي)، أمّا الافتراض الثالث فيعني الأشياء المتعارف عليها لدى جميع أفراد المجتمع (تعلم إشاري)، وبخصوص الافتراض الرابع فيتمثل في ذلك الانتقال من مستوى أبسط إلى مستوى أعلى (تعلم دلالي).

وبالتالي، فإنّ الباحث هاهنا يقسم مجموعة الخبرات إلى ثلاث، وهي: خبرات تاريخية اجتماعية، خبرات للتكيف، ومن ثمة يحدّد مراحل تكوين المفاهيم إلى مرحلة الأكوام، والتي تُعنى بمرحلة تخزين وحفظ المعلومات، ثم مرحلة العقد الترابطية التي تقوم على آلية الترابط ما بين المفاهيم التي تمتثل لمبدأ التشاكل والتباين (التماثل والاختلاف)، تليها مرحلة تكوين

¹ - التلقي والإنتاج في ضوء العرفنية - تنظير وإجراء -، ص 150.

المجاميع، والتي يتم من خلالها تكوين المجموعات الدلالية والرمزية المنتمية لبعضها البعض، ليتم بعد ذلك إدراك المعاني والصفات المتعددة ليكون المتعلم قد بلغ بذلك مرحلة التطور النوعي، أو ما يُسمى: مرحلة العُد المتسلسلة، ليصل مرحلة العُد الانتشارية، والتي يتم فيها المتعلم بكسر اللفظ السائد لإمامه بالمفاهيم وازدياد المرونة التي يتم بها ومراحل أخيرة يصل إليها المتعلم كمرحلة أشباه المفاهيم والتجريد؛ إذ يجمع المفاهيم دون ربط العلاقات فيما بينها، ثم ينتقل في المرحلة الأخيرة للتجريد - من المحسوس من العمليات الإدراكية إلى عملية تجريد الصفات.

وبعد استعوط الباحث جملة عوامل التعلم البنائي الاجتماعي، كالاستعداد المعرفي ورغبة الأستاذ في نقل المسؤولية للتعلم،... وغيرها من العوامل...، فالمتعلم في سياق نظرية فيجو تسكي يندد ويشدد على أهميته سيما التعلم البنائي، وذلك لما ينشئه من تفاعل المتعلم مع سياقات ذات دلالة؛ إذ يتم هذا النوع من التعليم (النهج) بوصف وإعطاء المتعلم دوراً رئيساً في العملية التعليمية، لذلك عده قطب الرّحى، إلى جانب إيجاد جو يعج بالديمقراطية وحرية المناقشة وطرح الأفكار والتحكم في المعلومات، أيضاً تحفيز التفاعل بين محيطه الخارجي والبيئي مع أقرانه، ويركز "فيجو" بشكل مباشر وخاص على توجيه الرؤية نحو الإجراءات الضرورية لاكتساب الخبرة بحيث يكون الأستاذ في هذا المقام الدافع والموجه والمرشد للتعلم، إذ يقوم بدور الموجه نحو التفاعل الفاعل والنّاصح والمسدد، وذلك من خلال التحليل واستخدام وسائل تعليمية متنوعة لتوجيه وتحفيز المتعلم، منها: السمعية، السمعية البصرية،... وغيرها، ومن خطوات التعلم التي ذكرها الباحث خمس خطوات عدها "غيلوس" على النحو الآتي:

- تحديد وعرض المشكلة؛ إذ يقوم الأستاذ بتقديم مشكلة ذات معنى تعمل هي الأخرى على تحفيزه للتفكير بها؛

- احتكاك المتعلمين مع المشكلة، ويتم ذلك من خلال تفاعل المتعلمين مع المشكلة ومناقشتها ضمن مجموعات صغيرة لفهمها بشكل أعمق؛

-فتح الحوار من خلال توليد الأسئلة وتبادل الأدوار لتنمية المفاهيم والأفكار وتعزيز التفكير ومن ثمة يتحمل المتعلم المسؤولية في ممارسة التعلم بطريقة فردية. ويستعرض نموذج التعلم البنائي أيضاً مراحل التعلم التبادلي، كما ذهب إليها "براون" حيث يقوم المتعلم بتصوير الأفكار قبل القراءة ويتنبأ بها، ثم يقوم بتلخيصها واستنتاج الأفكار وفحصها مع التركيز على الحقائق والمعارف، وهذا ما يعطي أهمية بالغة للنقاش الذي يفتح آفاق التعلم على مجموعة المدارك والقدرة على التحليل المعرفي.

في مرحلة التوضيح يركز على تحديد نقاط الصعوبة والمصطلحات الغامضة؛ إذ يحاول فك شيفرتها وتذليل الصعوبات بوضع مجموعة من الآليات لتجاوزها، وقد أشار الباحث إلى محدّدات التعلم التبادلي في مرحلة التهيئة، حيث يعمل المتعلم هاهنا على استراتيجيات محدّدة يختتم بها بالحديث عن التقييم الذاتي وكيف يجب المتعلم عن الأسئلة التقييمية المطروحة، وقد قام الباحث "غيلوس" بعد عرضه هذه المفاهيم بوضع العديد من النماذج تحتوي مجموعة من الأنشطة ليوضح من خلال إنجازها تمكين المتعلم من استخدام تلك المراحل والخطوات للوصول إلى حل المشكلة والأسئلة المطروحة أمامه في كل نشاط من الأنشطة¹.

وفي مقام آخر تطرق الباحث للتعلم التوليدي الذي يعتمد على النظرية البنائية الاجتماعية، حيث ينظر إلى العملية التعليمية أنها عملية يتم فيها الاحتكاك والتفاعل بين الجماعة إلى الأفراد، تحدث من أجل توليد علاقات بين الخبرات المكتسبة والمعارف الجديدة المراد تعلمها، وتتم هذه العملية وفق أربعة مراحل تبرز من خلالها فعالية التفكير وتوليد مجموعة الحلول للمشكلات، والتي تظهر جليا من خلال أسلوب الحوار والمناقشة كما أن التعلم التوليدي بمجمل مراحل المتضافرة لأجل تحقيق التكامل النشط للأفكار يقوم أساساً على مستويين: النمو الفعلي والنمو الممكن يـ عنى المستوى الأول بالأداء العقلي الحالي بينما المستوى الثاني يـ عنى بإمكانية الفرد على تعلم المدارك والمعارف الجديدة باستمرار.

¹ - Brown A. et campion. j (1992) students as Researchers and teachers in keefe wilber (eds). teaching (p49.57) reston VA National association of secondary school principals.

وقد تناول الباحث استراتيجيات تعزيز الاسترجاع في عمليات التّعلّم، فالاسترجاع يتمثّل في ذلك المخزون المعرفي داخل المّماغ البشري، والذي يقوم في هذه الحالة باستخدام تلك العمليات الذهنية المعقّدة الباطنية التي تعمل على إخراج المعلومات المخزّنة والمتمثّلة في: التّكرار، التّدريب، الممارسة لتحقيق النّجاعة في العملية التّعلمية الفعّالة، والتي تتجسّد فعلياً بواسطة آلية الإدماج والرّبط بين المعارف السّابقة والجديدة، وإعادة صياغتها وفق مفاهيم جديدة متكاملة؛ إذ تزوّد هذه الآلية المتعلّم بطريقة تعلّمية حديثة من شأنها أن ترفع مستواه التّعليمي، وتمكّنه من التّكيف مع حيثيات التّعلّم، من ترتيب وتصنيف وتجميع وتنظيم لنتهيّاً ذاكرته لتخزين ذلك القالب المتسلسل من المعلومات والمفاهيم المتكاملة¹.

ومن هنا، يطلق المتعلّم العنان لأفكاره من جهة وللذهن من جهة أخرى ليولّد مجموعة من الصّور اللامحدودة من خلال التّداعي الحرّ عبر ارتباطات عقلية، والتي تربط بين المدارك الجديدة ومجموعة المعارف السّابقة.

وبالرجوع إلى أهداف الغلّم التّوليدي، فإنّه يشغل على عملية تنشيط وتحريك المّماغ في تعامله مع بنية التّصوّرات البديلة من أجل تعزيز قدرة المتعلّم وتحسينها وتزويدها لوصوله إلى الفهم والاستيعاب الجيّد، كما أنّه يطمح إلى تنمية التّفكير فوق المعرفي (إنتاج عدد لا نهائي من الأفكار)، وغيرها من الأهداف التي تحدث تغييرات على مستوى بنية المعارف في العقل الإنساني، وفي ذات السّياق تكلمّ الباحث "غيلوس" عن مجموعة المراحل التي يتكوّن من خلالها التّعلّم في النموذج التّوليدي، ومن بين هذه المراحل، مرحلة التّمهيد ثمّ مرحلة التّركيز وصولاً إلى مرحلة التّحتي، ثمّ مرحلة التّطبيق، حيث أدرج الباحث في هذا المقام نشاطين تطبيقيين لهذه المراحل، والتي تركز أساساً على المتعلّم وكيفية إدارة أفكاره وتنميتها بصياغة التّصوّرات في المرحلة الأولى، ثمّ التّركيز على التّعاون والتّشارك وتوسيع الدّركات وتقلّي الأفكار كمرحلة ثانية وتشمل المرحلة الثّالثة استعمال طرق محفّزة للتّعليم والتّوجيه، كإعطاء

¹ - ينظر: عيسى إيفال، تر: حسين أحمد الشّافعي، مدخل إلى التّعليم في الطّفولة المبكّرة، دار الكتاب الجامعي، الإمارات المتّحدة، 2006م، ص 92.

أجوبة خاطئة للوصول إلى أجوبة صحيحة ليحقق المتعلم آلية التصحيح الذاتي، ويمر أخيراً بالمرحلة الأخيرة والتي تشجع على تطبيق المعارف والمعارك وتوظيفها في حل المشاكل اليومية، وبإكمال هذه المرحلة يمكن التحقق من فهم المتعلمين وتحديد صحة النتائج¹.

تحدث الباحث "غيلوس" في نهاية فصله عن آخر نوع من أنواع التعلم التي ذكرها وهو "التعلم التبادلي"، حيث يشتمل على استراتيجيات وآليات مهمة ومختلفة تعزز نشاط المتعلم داخل الصف، إذ تساعده على تحلّي المسؤولية تجاه تفوقه العلمي والتعليمي، وتمنحه الحرية المطلقة في اختياره الطريق المناسب للوصول إلى ما يسعى إليه، ويكون التعلم بشكل دائري تستخدم فيه مجموعة هذه الآليات والتمثّلة في²: التساؤل، والتلخيص، التنبؤ، والتوضيح؛ إذ يقوم المتعلم بقراءة ملخص الأفكار، ثم يجري تشاوراً مع زملائه بطرح أسئلة ملّمة بجوانب تلك الأفكار والمتعلّقة بصلب الموضوع المطروح أمامهم، وقد تتم هذه العملية بالتفاعل داخل القسم بمحاولتهم الإجابة عن الأسئلة المقّمة، فتوضح بذلك العناصر الفرعية وكلّ ما يعيق عملية الفهم والاستيعاب ليتنبأ بعدها من خلال وضع فرضيات وصياغة توقعات للحد من تلك المشكلة المدروسة أو الإجابة عن الأسئلة للوصول إلى الحلّ بالتصنيف والتطبيق والترتيب والتّحليل لمجموعة المعارف المختلفة³، وقد ذكر الباحث ممّزات وخطوات هذا الأسلوب التعليمي والذي بحسب رأيه يتمتّع بالمرونة والتّفرّع، ممّا يدفع بالمتعلم للتّركيز على أكثر من مفهوم واحد فقط، أيضاً مساعدته على معرفة كيفية بناء طريقة للتّد البناء، إلى جانب هذا دفعه للتّميّز بين أقرانه، وضبط أفكاره بطريقة تبعده عن كلّ ما هو عشوائي غير مؤسّس فكرياً ومعرفياً وعلمياً، خلص الباحث من خلال هذا الأسلوب إلى وصفه أنّه "إجراء تعليمي ينتهج

¹ ينظر: النّجدي وآخرون، اتّجاهات حديثة لتعليم العلوم في ضوء المعايير العالمية وتنمية التّفكير والنّظرية البنائية، دار الفكر العربي، القاهرة، 2005، ص65.

² ينظر: عبد الباري ماهر شعبان، استراتيجيات فهم المقروء، أسسها النّظرية وتطبيقاتها، دار المسيرة للنشر والتّوزيع الأردن، 2010، ص174.

³ آمال محمّد، استراتيجيات التّدريس والتّعلم، نماذج وتطبيقات، دار الكتاب الجامعي، العين، الإمارات العربية المتّحدة، 2010، ص287.

خطة محكمة البناء، وتمتاز بمرونة التطبيق، إذ تتيح استخدام الوسائل المناسبة، وتضمن التفاعل بين المتعلم والمعرفة¹.

توقف الباحث "غيلوس" عند هذا الحد، وختم كتابه بدعوة للباحثين من أجل الاهتمام بهذا الاتجاه، الذي يبقى نهاية المطاف علماً مثله مثل العلوم الأخرى المتعلقة مع موضوع التلقي والإنتاج، والذي يتميز بدوره بالتجدد والتغير، مما لا يمكن عده مستقراً وثابتاً، بل مجالاً متاخلاً مع مجموعة من التخصصات المختلفة، لهذا الأمر استطاع الباحث دراسته من الناحية النظرية والتطبيقية وفق آليات واستراتيجيات تتواشج مع المستجد اللساني العرفي بجملة مفاهيمها ومبادئها ونظرياتها، سيما وأن هذا العلم يتداخل هو الآخر مع تخصصات ومجالات أخرى، وقد حاول الباحث في هذا العمل المعرفي تقديم المفاهيم والمبادئ والنظريات العرفية من خلال مجال التلقي والإنتاج من طرف المتعلم والمعلم بالتّظهير والإجراء لتذليل صعوبات الاكتساب والتّقييم، إن جاز لنا القول وبتوخينا الموضوعية فقد قام الباحث بعملية الربط بين لعملية التّعليمية والتّعليمية وما نتج عنها من أساليب مختلفة قصد التّعلم، وبين ما انبثق عن هذا العلم من نظريات وآليات مساعدة على تطوير القدرات التّفكيرية والمعرفية لدى المتعلم، أيضاً تمكينه من اكتساب طرق ذهنية فعّالة للحفظ والتّخزين والاسترجاع.

ثالثاً: قراءة في كتاب: دراسات في اللسانيات العرفانية الذهن واللغة والواقع، تحرير: صابر الحباشية، تأليف: عبد الرحمن محمد طعمة، ود. عمر بن دحمان وآخرون، المنهج المعرفي في المقام التربوي:

إنّ المتمنى في هذا المؤلّف يجد أنّه يصبّ في مجموعة البحوث والدراسات المهمّة بتطبيق المناهج العرفانية (المعرفية/الإدراكية) خاصّة في المجالات ذات الصّلة بإنتاج الخطاب وتلقّيه في المقام التربوي.

¹ - الانتاج والتلقي، ص 170.

في هذا المقام التربوي بدراسة مجموعة الآليات والاستراتيجيات التي من شأنها أن تستتق الخطابات المعتمدة، ولكن الباحث في هذا السياق ركّ على آلية التفكير التمثيلي أو القياس (Analogical Thinking) الذي يساعد في الفهم والإفهام والتواصل بشكل عام مبرزاً أهميته ضمن ثنائيتي اللغة والخطاب من الناحية العرفانية والمعرفية.

ويؤكد الباحث في السياق ذاته على أنه خطوة فعّالة أسهمت وبشكل مباشر في بناء المعنى وتأويله أثناء التواصل وما للاستعارة من دور فعّال وأهمية مركزية، والتي تدخل ضمن إطار الخبرات والأنشطة البشرية الحياتية اليومية فتعزز بذلك المعرفة الإنسانية والتواصل، وقد أصدر الباحث حكماً مطلقاً نوعاً ما حينما أقرّ أن الدراسات اللسانية العرفانية تمتاز بالحضور الاستعاري والتمثيلي في المقام التربوي أكثر من غيره من الآليات والاستراتيجيات، وذلك كون المجال التربوي بنشاط إنساني خصب تستعمل فيه الآليات التواصلية والإبلاغية من طرف البيداغوجيين والمعلمين لأداء دورهم في إيصال الأفكار والمعلومات والبيانات المعرفية للمتعلّمين خلال نشاطهم التعليمي والتعلّمي.

وقد استهلّ الباحث فصله الخاص من هذا المؤلف، والموسوم: المنهج العرفاني في المقام التربوي بداية بتمهيد لما سيدرسه تطبيقاً على المقام التربوي باستخدامه آلية الاستعارة بوصفها مظهرًا رئيسًا لمظاهر التفكير التمثيلي وعلاقتها المباشرة بآلية الاستعارة في بعض مناحي العملية التربوية.

بداية، انطلق بسؤال جوهري يرمي إلى ماهية اللسانيات العرفانية (المعرفية) (cognitive linguistics)، والتي يعتبرها مدرسة لسانية معاصرة برزت كإطار عامّ للعلم العرفاني أواسط القرن العشرين، وقد حدده جورج لايفوف أنه مجال جديد يجمع ما عُف عن الذهن في اختصاصات أكاديمية عديدة؛ علم النفس واللسانيات والأنثروبولوجيا وعلم الحاسوب، وهو ينشد أجوبة مفصّلة عن هذه الأسئلة: ما التفكير العقلي؟ كيف نعطي معنى لتجربتنا؟ ما الفسق التّصوري؟ وكيف يتم تنظيمه؟ أيستعمل الناس جميعهم الفسق التّصوري نفسه؟ إذا كان الأمر

كذلك، فما هذا الفسق؟ وإذا لم يكن كذلك، ما هو بالتّحديد الشيء المشترك بين البشر في طريقة تفكيرهم؟ هذه الأسئلة ليست جديدة، ولكن نوعية الأجوبة الراهنة هي كذلك؟¹.

ومن خلال عرضه نشأة اللسانيات العرفانية وتحديداتها من طرف جورج لايكوف، منوهاً أنّ اللسانيات العرفانية تمّيز بين اتجاهين لسانيين عرفانيين يشتركان في تسمية واحدة ألا وهي اللسانيات العرفانية تمّيز بين اتجاهين لسانيين عرفانيين يشتركان في تسمية واحدة الأولى منها هي اللسانيات العرفانية، ومن ملامح هذا التمايز حسب رأيه اتجاه عني بدراسته العمليات الذهنية لاكتساب المعارف واللغة واستخدامها على خلاف النوع السلوكية المركزة على السلوك الذي يقبل الملاحظة، والهدف من هذه الدراسة العرفانية البحث في البنية والتّظيم العرفانيين أو الذهنيين من خلال تحليل الاستراتيجيات العرفانية التي يستخدمها البشر في التّفكير وتخزين المعلومات وفهم اللغة وإنتاجها².

أما الاتجاه الثاني؛ فقد اختاره من معجم اللسانيات والتّداولية لألين كروز التي حدّدها بأنّها "مقاربة لدراسة بنية اللغة والسلوك اللّغوي موجزاً حركتها التّطورية منذ الثّمانينيات، التي تقوم على فرضية مفادها أنّ اللغة غرضها تبليغ المعنى، وسواء كانت بنيتها دلالية أو نحوية أو صوتية لا بدّ أنّها ترتبط بهذه الوظيفة، وفرضية أخرى أنّ مجمل تلك البنيات ليست منفصلة عن القدرات العرفانية الكلّية، وفرضية ثالثة قوامها أنّ المعنى ذو طبيعة تصوّرية وأخيراً، أنّ للسانيات العرفانية اتّصال وثيق بعلم النفس العرفاني، وأنّها تتكلّف بشكل خاصّ على بنية التّصوّرات وطبيعتها...>>³.

وفي حقيقة الأمر أنّ مردّ هذا الاختلاف، أولاً يرجع إلى البداية لتاريخية لهذا الفرع من الدّراسة اللّغوية، فالأول يرجعه الى الخمسينيات، أمّا الثاني إلى بدايات الثّمانينيات، أمّا المسوّغ الثّاني كون أنّ هذا الاتجاه الثاني جاء كرّة فعل للاتّجاه الأول الذي يمثّله أفرام نعم تشومسكي

¹ vu: George laKoff , Women , friand Dangerous things , what catégories Reval about the mind , the university of Chicago press , Chicago and London 1987,p.xi (préface)

² vu: hadmud bushman.routledge dictionary of lanuage and linguistes.translate and edited Gregory Truth and Kerstin kazzazirddition Publisher with Taylor et Francis Library London and New-York.2006.p197.

³ cfa lan curse a glossary semmantives and pragmatism. Edinburg university press 2006.p26

الذي يعتبرها هذا الباحث نظرية عرفانية، أيضاً إضافة إلى نظرية دلالة شروط الصدق المنطقية، ويعنى بهذه الأخيرة الأفكار التي ارتبطت بما يُسمى: فلسفة اللغة، وتركز هذه الأفكار على المعنى والصدق والحقيقة والواقع وكيف يمكن للمعنى أن يمثل وفقاً للغة واصفة صورية مستمدة من المنطق، هذه الأفكار كان لها تأثير كبير على اللسانيات الصورية في السنوات الستينيات والسبعينيات¹.

وقد حدد الباحث المبادئ التي تقوم عليها اللسانيات العرفانية في ثلاث نقاط رئيسية: اللغة ليست ملكة عرفانية مكتفية بذاتها، والنحو عبارة عن بناء صوري، وجل المعارف اللغوية تنبثق من الاستعمال اللغوي، ونظراً لصلة هذه الفرضيات اللسانية العرفانية بمبحث الاستعارة أو ما تُسمى: اللغة المجازية عموماً، فقد برزت من خلال التطور الذي طال العلم العرفاني منتصف السبعينيات وبداية الثمانينيات وأصبحت مهمّة لهذا العلم، وقد سُميت هذه الفترة: الثورة العرفانية المنددة بتجسد الذهن والرافضة للاتجاه التوليدي والمنطقي، وقد مرّ هذا العلم بالطورين الأساسيين يسميهما جورج لاكوف في حوار أجراه مع جون بروكلمان: الجيل الأول والجيل الثاني².

أولهما: الجيل الأول، قام على صياغة وبناء فرضيات الفلسفة الأنجلو أمريكية والآخر مستقلّ عن الفرضيات الفلسفية المخصوصة التي تقيّد نتائج البحث، فالأول كما سمي: العلم العرفاني غير المتجسد، والذي يرمي إلى إمكانية دراسة الذهن من خلال وظائفه العرفانية؛ أي من خلال العمليات العقلية الباطنية التي يؤتيها بشكل مستقلّ عن المماغ والجسد، ويمكن نمذجة هذه العمليات بواسطة معالجتها بالرمزية الصورية الشكلية عديمة المعنى، وإلى رؤية الذهن بوصفه معالجةً مجسّدة للرموز الصورية عديمة المعنى.

¹ vu: William croft et D.A lan cruse ,cognitive linguistics Cambridge université presse.2004,p446

² يُنظر: الحوار الذي أجراه مع جون بروكلمان المنشور على شبكة الانترنت:

John bock man «philosophie in the flash atlas with georg cloff. from: <http://serabl.pntic.mec est emmurez //interview PDF>.

وقد أجاب لايكوف عن هذا الطرح الذي قّمه هيلاري بوتنام أنّه يجب على التّصوّرات أن تكون حرفية إذا ما خصّص التفكير العقلي من خلال المنطق الصّوري التّقليدي، فإنّه لا يمكن أن يكون هناك شيء يُعدّ تصوّراً استعارياً، وليس ثمة شيء يُعدّ فكراً استعارياً. التّصوّر والتّفكير العقلي بالتّصوّرات لا بدّ لهما من أن يكونا متلازمين ومختلفين متمايزين عن التّخلّي العقلي، أمّا فيما يخصّ معالم الجيل الثّاني للعلم العرفاني الذي انبثق منتصف السّبعينيات، فقد اتّجه البحث اللّساني فيه نحو نظريّة تجسّد الذّهن، مثل الفيزيولوجيا العصبية للألوان، ومقولات النّماذج الأساسية، والمستوى القاعدي، وعمل طالمي على تصوّرات العلاقات الفضائية، وعلم دلالة الإطار لفليمور، هذه النّاتج أقنعت جورج لايكوف بعد مسيرته البحثية اللّسانية التّوجّه نحو دراسة النّظريّة التّوليدية التّحويلية ذات المنطق الصّوري ولكن سرعان ما اكتشف أنّ هذا البحث أمر لا جدوى منه خاصّة ما تعلّق بالجانب العصبي والذهنوي، ممّا دعا إلى ضرورة تأسيس علم جديد ولسانيات جديدة مع كلّ من ليونارد طالمي وليونارد لانغكر، وجيل فوكوني تسعى لوضع جسور التّقاء وتقاطع مع العلوم المعرفية وعلم الخلايا العصبية سميت: اللّسانيات المعرفية.

وقد أوضح الباحث أنّ لايكوف قد اكتشف أنّ الاستعارة ليست مجالاً بحثياً يدرس الاستعمالات المجازية في الشّعْر، وأنّها هي استراتيجية تدرس كيفية تشكّل عمل اللّماغ، وقد سرد الباحث الإطار التّنظيري الفعلي للاستعارة من منظور لساني عرفاني التي كانت بدايته مع كتاب لايكوف عام 1980 بمؤلّفه: الاستعارات التي نحيا بها *méta phorésie* وقد تشمل العديد من المفاهيم التّأسيسية التي تتركز عليها الاستعارة من أفكار، واللّور الذي تلعبه في المعرفة الإنسانية واللّغة، وقد عدّها الباحث في أربع نقاط موجزة من التّأسيس التّجريبي وافترض الذّهن المتجسّد والمعرفة المتجسّدة بدلاً نوعياً عن المعرفة الشّكلية الصّورية المحوسبة، وقد ندّد بحسب رأي لايكوف على مركزية الاستعارة كآلية أساسية من استراتيجيات عمل العقل الإنساني تندرج هذه النّقاط حول أساس مهمّ أسّس لهذا الاتّجاه الجديد وهو فرضية التّجسّد أو الجسدنة، هذا المفهوم الذي يُعدّ أحد المبادئ المركزية الموجهة للدّلالة العرفانية،

ومن مفاهيمه أن العقل ليس عمليات شكلية صورية خوارزمية غير متجسدة، ولها عمليات تنشأ وتحتكم لأنواع التنظيم المنعكس في الخصوصية البيولوجية والتشريحية، والكيميائية الحيوية، والفيزيولوجيا العصبية للجسد والدماغ؛ فالبنية التّصورية متجسدة حينما تحدّد طبيعة أجسادنا وتعيد نوع التّصوّرات المشفّرة، والتي تتحقّق بواسطة اللّغة، ومعنى هذا الكلام أن التّشكّل اللّغوي يتأتّى من خلال المعنى الذي يتكوّن من خلال التّصوّرات التي يبنّيها موقع الجسد وتجسّد الأشياء من حولنا.

ويمكننا القول إن جاز لنا التّعبير: أن التّجربة الإنسانية تسهم أيضاً في بناء تصوّراتنا من خلال موقع الجسد من هذا العالم بصورة اتّجاهية.

وهذا ما يؤكّده كلّ من جورج لاكوف ومارك جونسون كون استخدامنا العادي اللّغة مبنيّ في معظمه على مبادئ استعارية وكنائية تكشف عن الاستعارية (الافتراض أن الإنسان ينظّم ويبين فكره) من خلال تجربته الجسدية.

هذه الاستعارات الاتّجاهية موقع الجسد خلال تنظيم فضائي معيّن مثل: (فوق - تحت - داخل - خارج - أمام - خلف...) وقد استعرض الباحث مجموعة من التّأريخات للتّفسير العرفاني للاستعارة، خلص فيها إلى مجموعة من المفاهيم العرفانية للاستعارة بصفتها رؤية جديدة تتعدّى وجهة النظر التّقليدية باعتبارها مسألة لغويّة وليست فكرية. وأنّ اللّغة اليومية ليست لغة استعارية، بل هي لغة تنتمي إلى مجال اللّغة الحرفية¹، هذا وأنّ طريقة عمل الاستعارة تكون في المستوى الذهني ببناء تصوّر لمجالات ذهنية مختلفة، كلّ تصوّر لمجال ذهني معيّن يبني تصوّر مجال ذهني آخر بواسطة ترابط ما بين المجالين، ويتعلّق الأمر بالتّصوّرات اليومية المجردة على سبيل المثال: الزّمن، الحالات، التّغوّ، السّببية، الفرض التي هي تصوّرات استعارية، لهذا الأمر يقرّ كلّ من لاكوف وجونسون أن الفسق التّصوريّ الإنساني هو استعاري؛ أي أن طريقة التّفكير والتّصرّف بالنّسبة للإنسان هي استعارية بشكل كبير.

¹ - عبد العزيز الحويّدق، نظريات الاستعارة في في البلاغة العربية من أرسطو إلى لاكوف ومارك جونسون، عمان، كنوز المعرفة، ط1، 2015، ص75.

وقد اكتفى الباحث في عرضه مبادئ الأسانيات العرفانية بذكر الالتزام وتعميم الالتزام من خلال محاولة الأسانين العرفانيين بوصف اللغة ونمذجتها في ضوء براهين مجتمعة من علوم الذهن، والعلوم العرفانية الأخرى والالتزام بالتعميم عن طريق الالتزام بوصف المبادئ التي تشكل المعارف اللغوية وطبيعتها باعتبار اللغة بنيةً قلبية منفصلة كلياً ومستبطنة في الذهن. كانت هذه أهم المحطات التي أسس لها الباحث على المستوى النظري لجملة المفاهيم

الاساسية لكل من اللسانيات العرفانية والاستعارة من حيث المفهوم أولاً ثم النشأة والمبادئ.

انتقل بعدها مباشرة إلى الشق التطبيقي والاجرائي للاستعارة في المقام التربوي، لم تكن دراسة عمر بن دحمان التطبيقية آتية من فراغ وإنما لاتحاد رأي العديد من الباحثين حول امكانية استخدام الاستعارة كوسيلة تعليمية، إيماناً منه بما يمكن أن تساعد به الاستعارة في تيسير الموضوعات المختلفة وتبسيطها مما يساعد المتعلم من آليات التخيل والتذكر خاصة في ما يتعلق بالظواهر الفيزيائية والكيميائية المستجدة في الدرس العلمي، هذه الظواهر تكون حائلة دون الفهم لأنها غير ملاحظة وغير مرئية كالكهرياء، بنية الذرة،... وغيرها من الظواهر التي تستدعي الاستعارة لفهمها إلى جانب هذا قد تمكن المتعلمين من تذكر المعلومات وحفظها وتخزينها والوصول باستنتاجات وإيجاد إجابات تحت الاسئلة المطروحة، أيضاً إيجاد الحلول لها¹.

وفي حقيقة الامر يرى الباحث أن دور الاستعارة في العملية التعليمية لا ينحصر في وصفها أداة مساعدة فقط تتوسع لتؤدي دور الوسيط والناقل الذي لا يمكن الاستغناء عنه في توصيل المعارف الجديدة وإذا ما رجعنا إلى هذا الطرح سنجدّه يقارب الصحة، كون أن الاستعارة إذا ما سلمنا بها حسب رأي جورج لايكوف أنها تعبر عن الآلية التي يمكن من خلالها تشكيل لغة عن طريق تصوراتنا المتجسدة من خلال تجربتنا الجسدية فاستقبالنا لأي معلومة أو معرفة إنسانية وتخزينها لا يكون إلا وفق هذه الآلية بصورة مباشرة بوصفها أداة مساعدة وبصورة

¹ - ينظر: الاستعارة في الخطاب، ص220/221.

خاصة كونها ناقل ووسيط، بل الأبعد من ذلك أننا مزودين فطريا بقدرات لغوية ومعرفية وتصورية كلها تؤدي إلى عملية الفهم والادراك بصورة لا واعية حسب ما جاء في الدراسات اللسانية العرفانية واللسانيات العصبية، وعلم النفس المعرفي في الآونة الأخيرة من الأبحاث والدراسات.

والاستعارة بحسب ما يراه وفقاً لآراء الكثير من الباحثين، أبرزهم الباحثة "إيلين بوتا" حيث كان منطلقهم حول مفهوم الاستعارة أنها أولاً أداة مساعدة من جهة، ومن جهة أخرى آلية للتفسير ومحاولة مقارنة المفاهيم بالأشياء والأفعال والأحداث المماثلة، ثانياً كونها ذات حمولة إبداعية ابتكارية تسعى من أجل ربط السابق باللاحق من المعارف الإنسانية، وقد شمل دورها الهام في المقام التربوي التغيرات وتأثيرها ودورها الحيوي في العملية التعليمية وقد صاحبت هذه التغيرات النماذج التعليمية من النماذج ذات التوعية الموضوعية إلى التوعية الكلية والتربطية مما جعلها تنعكس على جملة الاختيارات للأساليب التعليمية.

إلى جانب هذا، فإن الاستعارة عندهم لها حمولة عرفانية وإيديولوجية، فهي من الأدوات الفكرية التي تتيح للفرد تشكيل رؤيته للعالم.

وبالرغم من هذا التحول في مفهوم الاستعارة إلى أن الباحث هنا يؤكد أن الاستعارة بمفهومها الجديد لم يُعطَ له تلك الأهمية البالغة في المجال التعليمي، لأنه لا زالت تلك النظرة على أنها مجرد أداة شعرية وأدبية يستعملها الشعراء والأدباء بشكل خاص، وبالتالى ما زال المعتقد أنها تحقق وظيفة جمالية وتزيينية وتوَجِّج المشاعر والعاطفة والأحاسيس، في حقيقة الأمر أن هذا الطرح يُولدُ هوةً بين اللغة الحرفية واللغة الاستعارية، إلا أنهما مفهومان لمفهوم واحد؛ أي أنهما وجهان لعملة واحدة، لهذا نلاحظ الكثير من النتائج السلبية لهذا الفهم المزدوج للغة، الأمر الذي يؤدي للتقليل من اللغة المجازية ودورها العرفاني في تأسيس العديد من النظريات الفلسفية والعلمية، وتفسير العالم وبنية رؤية خاصة عنه ونقله باعتبارها وسيطاً للمتعلّمين.

وقد قَمَّ الباحث في هذا المقام نماذج بحثية على سبيل المثال الاستعارة واستثمارها في الخطاب التربوي وتعليم النحو، والمعجم، وتعليم الحاسوبيات لينتقل بعد ذلك إلى مخاطر الاستعارة في الخطاب التربوي مُوجِّزًا إياها في بعض النتائج المتعلقة بملامح الاستعارة ودورها في العملية التعليمية والتربوية، إلى جانب آليات عرفانية مثل: الكنايات.

وبالرجوع إلى تأثير استثمار الاستعارة في الخطاب التربوي، نجد أن الباحث قد استعرض جملة من الآليات التي تتسم في تحريك العجلة الينامية للعملية العملية والتعلمية والتعليمية لدى المتعلم عن طريق ما رصده "راندي غارنر" من الجمع بين الفكاهة والتّمثيل والاستعارة، فكلّما كانوا أكثر مناسبة للموضوع المُعالج، كلّما كانت النتائج المُحصَل عليها أكثر نجاعة لتحقيق الفهم الجيد والقدرة على التذكّر، وإتاحة الظروف الملائمة لوسط تعلّمي سليم ومريح، فآلية الاستعارة والآليات الأخرى تمكّن المتعلّم من الرّبط بين تصوّر وتصور آخر، يكون أكثر قابلية للتعرّف على هذا فيما يخصّ المتعلّم من جهة، أمّا فيما يخصّ المعلم -بما يراه الباحث- فإنّ الاستعارة توفّر له إمكانية استعمال أفكار، أو كلمات، أو وفقت أو بديلا مشابها لهما بالتّمثيل الذي يحدّد بدوره استعارة موسّعة، ولهذا "راندي غارنر" يحدّد أنّ التّفكير البشري هو استعاري في الصّميم واستخدام الاستعارة في الميدان البيداغوجي يقع في صلب الموضوع.

بناءً على هذا؛ يرى الباحث أنّ العملية التعليمية، لا توصف إلّا من خلال الآليات خاصّة في شقّها الاستعاري، على سبيل المثال ما نجده في مائة العلوم كزراع الأزهار وإضاءة مصباح كهربائي...الخ)، هي في حقيقة الأمر استعارات من الواقع الخارجي والتّمثيل لها بتجارب مصغّرة مُسقطّة على مُدركات منطقية ملموسة من أجل الوصول إلى الفهم والرّبط بين المعارف وما يحيل عليها من وقائع ملموسة ومرئية من خلال استعارة مجالات مختلفة، الغاية منها توصيل الأفكار خاصّة في المجال التّعليمي.

وفي مقام موالٍ فقد تطرّق عمر بن دحمان إلى استثمار آلية الاستعارة في تعليم النحو والمعجم، من خلال ما طرحه "يورغ مايتاس روش" في مقاله الذي تحدّث فيه عن تعلّم اللّغة وبيداغوجياتها للحديث عن الاستعارات التّصوّرية وتعليم النحو¹.

ووفقاً لمصادر الباحث فإنّه يقرّ أنّ الاستعارة لا تنحصر في المجال المعجمي فقط، وأنّما تُعدّ وسيلةً هامّةً ومفيدةً في تعليم القواعد النّحوية للّغات الطّبيعية ككلّ، سواء اللّغة الأم أم اللّغات الأجنبيّة الأخرى، ولهذا الحال يحتاج المدرّسون معرفة ميتا-لغوية (الأساس التّصوّري لهذه القواعد للحالات النّحوية أو الإعرابية)، ويختار مجال الحركة في الفضاء أساساً تجريبياً للبناء التّصوّري والنّحوي لدى البشر؛ [أي أنّ المتنقّلات (المتحرّكات) تدرك من خلال معارضتها للخلفية أو المعلم]، وبالعودة إلى رأي الباحث عن اصطلاحات "لانتاكر" في هذا السّياق، فإنّ المعلم عنده يشكّل الحيز الفضاوي الذي يتموضع من خلاله المتنقّل، وقد يحافظ على موضعه ضمن هذا الحيز، أم أنّه يغادر الحيز إلى حدود أخرى وحيز آخر.

ومن ناحية أخرى؛ فإنّ الباحث يبرز أهميّة أجرأة الاستعارة بخصوص ما تعلّق بجانب المفردات المعجمية من خلال التّأكيد على دورها المهمّ والفاعل فيما يخصّ التّوسّعات المعجمية تماشيّاً - على حدّ قوله - مع ما ذهب إليه الباحث "فاتشان تشانغ" في مقاله الخاصّ باستخدام الاستعارات التّصوّرية وتطبيقها في تعليم معجم اللّغة²، حيث تقوم آلية الاستعارة هاهنا بربط معاني معجمية بمعاني أخرى تنتمي إلى مجال آخر من أجل إيضاحها وإيصالها للمتعلّم، وكلّ كلمة وما يقابلها في الاستعارة التّصوّرية، وقد عقد الباحث مثلاً في هذا المقام: كلمة هشّ التي تنتمي إلى حقل البناء يتمّ استعمالها وفق مجال تصوّري ما يُسمّى في الطّريقات اللّسانية العرفانية التّصوّرية: نظريّة البنايات من خلالها يمكن تفسير معنى اللّبونة والانهيّار، ويتوسّع المعنى من هذا الحقل إلى مجالات أخرى قد تمسّ مثلاً الأمور الفسيّة والمائيّة الأخرى...

¹ Vu: cf. jorj Matthias roche , « lanuage a quintin and lanuage pédagogie ».in: the bloomsbriry compaignon to cognitive linguistes, edited by jeannette little more and John A. Taylor. Bloomsbury académie 2014, p325/351.

² Vu: CF. FACHUN ZHANG « A study of metaphor n ditz application in language learning and teaching », in international education studies.vol.2.no.may.2009.

ويقترح فاتشان تطبيق هذه الطريقة بيداغوجيا من خلال إعطاء المعلم للتمييز نصوصا تتضمن استعارات تصوّرية بتعيين المجالين (المصدر، الهدف) بعد توجيههم عدة أسئلة لهم، والتركيز على أهم المفردات المستعملة استعاريا ومن ذلك يستنتج التلاميذ مجمل الاستعارات التصورية وإسقاطها على الوجه الآخر من الأشكال الكلامية للحقل الآخر، ويكون بذلك المجال الأول حسيًا والآخر مجرد أو أقل حسيّة وبالتالي يجعل التمييز من تلك الكلمات إسقاطات استعارية في دماغه تساعده أكثر على الفهم والتذكر وحفظها.

تندرج الاستعارة واستثماراتها في مجال تعليم الحاسوبيات ضمن أعمال الباحث، " ويليام جون وولارد " خلال بحثه الموسوم: دور الاستعارة في تدريس الحوسبة¹.

وقد حصر دورها بعدة نقاط؛ فعّد الدور الأساسي لها بوصفها مضمّنة في تصميم أجهزة الحاسوب والبرمجيات، وجزءًا من واجهة الجهاز الحوسبي، فإنّها تقوم بتسهيل مهمة كالأيقونات، وعمل المؤشرات، وعرض اللّواظ...، إذ تؤّتي دورًا أساسيًا ومهمًا أيضا في معرفة المحتوى البيداغوجي الخاصّ بمعلّمي الحوسبة.

وأوضح الباحث "عمر بن دحمان" اللّتايج التي أسفرت عن هذا البحث من بينها وجود منظور جديد بخصوص معرفة المحتوى البيداغوجي فيما يتعلّق بتدريس الحوسبة في التّعليم ما بعد المرحلة الأولى، وقد شدّدت المقاربة الفونجية هذه على اللّور الذي تؤّيه الاستعارة في معرفة استراتيجيات التّدرّيس ومعرفة موضوع الحوسبة الذي من شأنه أن يساعد المعلّمين على تحديد المقاربة أو المقاربات الخاصّة بهم، وقد أكّد الباحث ما اقترحه "وليام" من ضرورة مواصلة البحث مستقبلا في هذا المقام لتحديد مدى نجاعة آلية الاستعارة وكفاءاتها الخاصّة سيما أنّ دور المقاربة التّدرّسية غير حرفية يمكن أن تتيح للمتمدرسين الصّغار فهم مبادئ الحوسبة وضمان تحفيزهم أكثر للّراسة بطرق أيسر.

- مخاطر استعمال الاستعارة في الخطاب التربوي:

¹ Vu: William john woo lard , « the role of metaphor in the teaching of computing lowards a diseconomy of pedagogies content know legs: from: http://rprints.soton.ac.uk/11227/1/thesis_jowoollard_2004.Pdf.

ختم الباحث دراسته بالإشارة إلى جملة المخاطر التي تعترض استعمال الاستعارة في المجال التعليمي بصفتها استراتيجية تعليمية بعدما أن تطرق لأهميتها البالغة في هذا المجال من خلال عرض مجموعة من الأبحاث التي قام بها العديد من الباحثين مستخلصا أهميتها ودورها، ثم أكد على عدم اهتمام البعض الآخر من الباحثين بهذه الآليات التي باتت عنصراً فاعلاً في العملية البيداغوجية، إلى جانب هذا استتبط العديد من المخاوف التي تعتري الاستخدام الخاطئ وغير المؤسّس للاستعارة في التعامل معها، مدججاً رأيه بحسب ما ذهب إليه كلٌّ من: "راندي غارنر، إيلينا سيمينو"، وأهم ما أشار إليه "غارنر" من مخاطر كالتأسيس الخاطئ وغير المؤلف من التمثيلات والاستعارات قد يؤدي إلى تشويش عقل المتعلّم وغموضاً جلياً في فهم الفكرة المراد إيصالها، لهذا وضع شرط "الاعتیاد على الفكرة وألفتها لدى التلميذ" مما ينجم عنها الوضوح والدقة والضبط الذي يمكن من الوصول إلى تأثير المطلوب في الفهم الجيد للموضوع أو المسألة قيد النظر.

وفي نفس السياق نفسه تُورد إيلينا بواسطة ما نقلته عن "لين كامرون" وهو نصٌّ مأخوذ من كتاب مدرسي في مادة العلوم لتلاميذ في السن العاشرة والحادية عشرة موضوعه (القلب)، إذ يحتوي العديد من التعبيرات الاستعارية المختلفة مشبهة القلب بمخطّط بناء يحتوي على العديد من الغرف، لكل غرفة جزء منه، وكل جزء يؤدي وظيفة في ضحّاها للدم لإحداث النبض فيه؛ أي تصوير استعاري لما يحدث للقلب طيلة عمر الإنسان، وقد قُسمت "كاميرون" هذه التعبيرات الاستعارية الواردة في النصّ إلى شبه فنية، فنية، وفنية مكوّنة للنظريات.

فالشبه الفنية تصف الدم أنه نظام للقل، والشرايين: أنابيب، والقلب: قدرة تكيفية، وتعبير الدفع يدخل ضمن هذه الفئة، ولا تعدّ هذه التعبيرات التصورية من التعبيرات المكوّنة للنظريات في أي سياقات أخرى، ولكنها استخدمت لتوصيل المعلومة للمتعلّم، ومن ثمة يسهل على المعلّم شرح بعض جوانب المجال المُستهدف: (كاللّورة الدموية، ووظيفة القلب فيها)، وتشمل التعبيرات الفنية كلاً من (الغرف، الجدران) لتمثيل مكونات القلب، ولكن هذه التعبيرات لا تعكس التعبير عن وظيفة القلب بمعنى أن القلب لا يعبر عنه يمثّل بشكل بناء - ولكن يحتاج

للتّمثيل بتعبيرات استعارية مجرّدة لإيصال المعلومة وذلك من أجل الحصول على الفهم الجيّد، ومن هنا تتأدّى التّناقضات والمشكلات التي تعترض استخدام هذه الاستعارة داخل الخطاب التّربوي.

وأشارت سيمينو لما اقترحتّه "كاميرون" عن طريق العمل الذي قامت به على هذه المجموعة من الأطفال، أنّه يكشف عن مدى صعوبة توقّع التّفسيرات بالنّسبة للدارسين لأنواع الاستعارات الواردة في النّص، إذ هناك من المتعلّمين الذين وقعوا في الخلط بين التّعبيرات المغلوقة والأخرى مفتوحة، ومردّد ذلك تطبيق ما لديهم من معرفة محتشمة عن المجال المصدر على تفسيراتهم للنّص، فأعطوا كلّ كلمة تصوّراً موسّعاً آخر، على سبيل المثال لا الحصر كلمة "الغرف" التي أحالتهم إلى تفسير أنّ هناك مساحة للتّخزين، في حين أنّ المقصودة منه التّقسيم لكلّ قسم له دوره ووظيفته المحالة له، وليس المكان الذي تحفظ فيه الأشياء وتخزن... ويخلص الباحث من خلال هذا المقترح، إلى أنّ المشكلة فيما يخصّ هؤلاء الأطفال أم غيرهم من غير المتخصّصين تبرز في عدم تمكّهم من التّمييز بين الاستعارات المطرّدة الاستعمال والمتداولة، والمصطلحات الفنيّة والتي قد تكون استعارات وضعيّة.

وقد بيّن الباحث أهمّ النّصائح التي قنّتها "سيمينو" لمستخدمي الاستعارة في التّعليم بتوخي الحذر والعمل على أن يتوفّر لدى الدّارس أكثر من نموذج استعاري واحد للظواهر التي يدرسها، من أجل تقليل احتمال الفهم الخاطي، أو الفهم الناقص للظواهر التي تكون موضع التّراسة.

وخلاصة ما توصّل إليه الباحث في آخر دراسته؛ ضرورة محاولة علاج النّقص وحلّ المشكلات المطروحة ممّا يعايشه المشاركون يوميّاً في العملية التّعليمية والتّربوية بشكل عامّ ولّى آخر مستجدّات الدّرس اللّساني العرفاني وما توصّل إليه من أبحاث ونتائج من شأنها أن تحلّ الكثير من تلك المعضلات التي تواجه العملية البيداغوجيّة، مادام أنّ الدّراسات اللّغوية العرفيّة ترمي إلى البحث في المعرفة والسلوك الإنساني سيما في ظلّ ما تشغل عليه اللّسانيات العرفانية من آليات عمل العقل البشري، أضاف الباحث في الأخير أنّ هذه التّراسة اشتملت

على مجموعة من الاستراتيجيات المتغافل عنها، والتي يمكن للباحثين مستقبلا الوقوف عليها من أجل تحسين منظومة التعليم في عصرنا والاستفادة منها في دعم آليات التعليم عامة.

إن الملاحظ من خلال هذا المؤلف لصاحبه الباحث "عمر بن دحمان" أن اهتمام الباحث منصب على الآليات الإجرائية المستمدة من النظريات العرفانية الخاصة بالنظرية التصورية ومالها من فائدة وأهمية بالغة في فهم وإدراك وإيصال وإفهام المعارف الإنسانية بطريقة علمية دقيقة تعتمد العمليات الذهنية الباطنية المعقدة وتعاملها مع التعبيرات الاستعارية كآليات ميسرة لعملية الربط بين الدلالة المعجمية للكلمة ودلالة أخرى من مجال آخر لمشابتها وتسهيل فهمها وشرحها أيضا، كأدوات تقنية تقارب العقل البشري للآلة من خلال مشابقتها الذكاء الاصطناعي وتنزيل تلك العمليات العقلية البشرية إلى حيز الآلة، كما أنها توازن الاستعارات بين المفاهيم التي تنبعث أولا من الدلالات والمعاني وإيصالها بالاستعانة بدلالات تصورية مماثلة في حقل دلالي آخر، أيضا إلى جانب هذا التمكن من تيسير النحو وتسهيل عملية فهمه وحفظه وتخزينه واستخدامه، كل هذه الأمور الإجرائية تساعد في رفع جودة العملية البيداغوجية بشكل شامل وموسع من منظور عرفاني ذهني، سواء كان على مستوى المناهج أو المقررات التعليمية، أو داخل الصف.

ولمّا ما نبه إليه الباحث من ضرورة الاشتغال على هذه الآليات قد يحقق الكثير نوعا ما من الغايات التربوية، إلى جانب هذا فإن العملية التعليمية أحوج ما تكون لهذه الآليات والاستراتيجيات العرفانية نظرا لأهميتها ودورها الفعّال، خاصة ونحن في أمس الحاجة من ذي قبل لهذه الإجراءات سيما وأن هذه التوصيات جديرة أن يتبناها ويعمل بها المقررون والتربويون، والعاملون بالقطاع التربوي.

ولا يسعنا في الأخير إلا أن نشتمن هذا الجهد الذي جعلنا نقف على أبحاث ودراسات أجنبية لهذه الآليات التي أسهمت في تبين أهميتها ودورها، والمخاطر التي تعترها من أجل معرفة إيجابياتها وتدارك مخاطرها، والسعي من أجل العمل عليها بما يناسب ويلائم ويوائم التعليم في البلاد العربية بصفة عامة، وفي الجزائر بصفة خاصة.

أما فيما يخص الجانب الإجرائي، فأتينا نلاحظ أنها دراسة ناقلة وشارحة نوعاً ما لبعض التطبيقات من طرف علماء غربيين، حاول فيها الباحث إمدادنا بالآليات التي تمكّن من رفع مستوى التعليم وتطبيقها على اللغة العربية من جهة، وعلى مجموعة المعارف والمدارك من جهة أخرى، كما أنّ هذه الدراسة في جانبها النظري الذي وقف فيها الباحث أولاً على المفاهيم التأسيسية للاستعارة والخطاب والمقام التربوي، ثم إنّ الآليات لم تخل من الجوانب التطبيقية، ومحاولة الباحث فيها تبين كيفية تطبيق تلك المفاهيم من خلال عملية إسقاط المستجد الغربي على ما يقابله من مستجدات العملية التعليمية في الوطن العربي، وهذا ما جعل محاولة عمر بن دحمان تتسم نوعاً ما بالتّظهير عن طريق الشّرح والتّقل والتّطبيق بواسطة وضعه جملةً من الآليات والإجراءات المناسبة لممارسة عملية التّعلّم والتعليم وتحديد مجموعة المخاطر الواجب تفاديها في المقام التربوي.

رابعاً: قراءة في كتاب: مجالات اشتغال اللسانيات في ضوء التّصور العرفاني:

تطرق مؤلّف هذا الكتاب "عبد القادر صام" على المستوى النظري لثلاثة فصول: استهلّها بمقّمة، وابتدأ الفصل الأول الموسوم: اللسانيات العرفانية والحقول المعرفية المجاورة وفق مدخل، ثمّ وضح فيه العلاقة القائمة بين اللسانيات العرفانية، وبين كلّ من علم النفس وعلم الأعصاب، والنّكاء الاصطناعي، والأنثروبولوجيا، واللّسانيات العامّة والفلسفة، ضّمه ستّة وعشرين صفحة، إذ اعتبر العلوم المعرفية بمختلف تخصصاتها العامل الرئيس لظهور وانبثاق اللّسانيات العرفانية¹، التي هي نتاج تداخل مجموعة من العلوم المعرفية، حيث ساعدت كلّ من منطلقات ومقولات والمفاهيم التّأسيسية، والآليات الإجرائية لكلّ علم في بروز هذا التّوجه اللّساني الجديد، ولعلّ من بين هذه التّخصّصات علم النفس، والنّكاء الاصطناعي وعلم الأعصاب، واللّسانيات والأنثروبولوجيا، والفلسفة، حيث عمد فيها الباحثون إلى تبني أساليب

¹- ينظر: مجالات اشتغال اللّسانيات في ضوء التّصور العرفاني، ص 6.

ومناهج مختلفة بغية تطوير نظريات الذهن البشري ودراسته دراسةً علميةً تجريبيةً ممنهجةً، ومحاولة إعطاء تفسيرات متداخلة ومتربطة لمعرفة كيفية اشتغال الذهن البشري¹. ويرى الباحث أنه بهذه الكيفية أصبح لعلم اللسانيات العرفانية حقلٌ ألسنيٌ ببنّي بامتياز تتربط فيه مجموعة من العلوم والتخصصات أكثر ما يميزها ذلك التّواشج من خلال علاقة التّأثير والتّأثر، فكلّ علم يمتاز بمنهج علمي يضيف عليه الصّبغة العلمية، كالتّماسك الصّوري بالنسبة للمنطق والمنوال المائي الذي تتم من خلاله، رصف المصفوفات اللّغوية والخوارزميات بالنسبة للنّكاء الاصطناعي، والملاحظة النّفسية بالنسبة للّسانيات، والتّجريب بالنسبة لسيكولوجيا المعرفة والعلوم العصبية².

ذهب عبد القادر صام فيه إلى رصد العلاقة القائمة بين اللّسانيات وعلم النّفس من خلال تعريف علم النّفس أولاً أنّه العلم المركزي الأساسي الذي شكّل بروز العلوم المعرفية ولعلّ بداياتها كانت رتّة فعل ضدّ التّوعية السلوكية التي بدأ في الانفكاك عنها خاصّة في فترة الخمسينيّات، وبخاصّة في أمريكا الشّمالية³، وبذلك أصبح يدرس العمليات التي تدخل المعلومات الحسيّة إلى اللّماغ وكيفية تنظيمها وتخزينها، واستعادتها واستخدامها في ميادين الحياة⁴.

وبهذا؛ أصبحت موضوعاته متشابكة ومتداخلة مع المعرفة والعمليات العقلية، إذ يعتبر كلّ من الأسس التي انبنت عليها مبادئ اللّسانيات العرفنية، كالإدراك واللّغة ومعالجة المعلومات

¹ يُنظر: عمر بن دحمان، نظريّة الاستعارة التّصورية والخطاب الأدبي، دار رؤية للنّشر والتّوزيع، ط1، 2015، ص31.

² - ينظر: بن عيسى زغوش، التّجريب بين علم النّفس وعلوم الأعصاب: اشتراك في البراديغم واختلاف في التّقنيات وتشابه في النّتائج، مجلّة عمران للعلوم الاجتماعيّة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ع 29 المجلّد الثّامن، صيف 2019م، ص13.

³ - نفسه، ص34.

⁴ - ينظر: عدنان يوسف العدّوم، علم النّفس المعرفي النّظريّة والتّطبيق، دار المسيرة للنّشر والطّباعة، عمّان، الأردن، ط3، 2012، ص24.

والتفكير والذاكرة والانفعال كلّها عمليات ذهنية عقلية مسؤولة عن إنتاج لغة مفهومة ذات دلالة¹.

وقد قام التطور الحاصل في علم النفس نتيجة علاقته بالعلوم المعرفية، والذي يُسمى: علم النفس المعرفي على مجموعة الافتراضات الأساسية نجمها فيما يأتي؛ الإنسان معالج نشيط للمعلومات بالدرجة الأولى مع الإقرار بوجود نشاطات عقلية، مع مراعاة معايير الصدق البيئي في البحث ومقاييس الزمن والدقة².

وقد أشار إلى أن مكونات هذا العلم شكّلت نقطة تحول أُنّى إلى بروزه، ومن أهمها: الإدراك: الذي يقوم على عملية الكشف عن المثيرات الحسية ومحاولة تفسيرها والوقوف عند الإشارة الحسية.

علوم الدماغ: يهتم بفهم التفسيرات العصبية والنتائج المتوصل إليها من طرف علماء الأعصاب بهدف معرفة وتبيين ملاحظاتهم، فجميع العمليات المعرفية يمكن ربطها بناء على تلك العمليات الكهروكيميائية التي تحدث في الدماغ.

إضافة إلى هذا، تعرّض الباحث لمجموعة المكونات، نذكر منها المكونات الآتية: الانتباه والذاكرة، وتمثيل المعرفة واللغة والفهم المعرفي، وحلّ المشكلات والتخيل أو التصور الذهني. يؤكد "عبد القادر صام" أن جملة هذه المكونات والمجالات النظرية والإجرائية لعلم النفس المعرفي قد ساهمت وبشكل ملفت في تحريك عجلة مسار الدرس اللساني من مدار الدراسات العقلية إلى مدار الدراسات الذهنية العقلانية العرفية من ذكاء وانتباه وتذكر وتخيل وتفكير.

وخرج عبد القادر بالعلاقة المبنية بين العلمين من خلال توضيح مفاده أن "الجمع بين اللسانيات والسيكولوجيا في نظرية واحدة تختص بدراسة الذهن، ويكون الهدف منها إمارة اللّاثام عن الأنساق المعرفية، وذلك بتحديد خلائصها انطلاقاً من دراستها دراسة مفصلة"³.

¹ - ينظر: علي عبد الرحيم صالح وآخرون، ومضات في علم النفس المعرفي، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2013، ص18.

² - ينظر: رافع الصير الزغول، عماد عبد الرحيم الزغول، علم النفس المعرفي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د.ط، د.ت، ص22.

³ - الأسس الإستراتيجية للنظرية اللسانية البنوية والتوليدية، ص187.

ومن هذا المنطلق التّجديدي يرى "عبد القادر صام" أنّ التّحاقل المعرفي بين العرفانيات وعلم الفّس، حين انتقل بذلك الدّرس اللّساني الحديث إلى اتّجاه الدّراسة العقلية الدّهنية لمستويات اللّغة المختلفة، وقد برز من خلالها البراديغم العرفاني في الدّراسات اللّغوية المعاصرة.

- اللّسانيات العرفانية وعلم الأعصاب: يُعدّ علم الأعصاب من العلوم المعرفية والمجالات البحثية التي تتداخل مع عدّة مجالات وعلوم معرفية، وعلى سبيل المثال علم الفّس، فهو تخصّص يهتم بوصف كيف يعمل الدّماغ لكي ينتج الأفكار تاريخيا بواسطة بعض أجزاء الدّماغ من خلال دراسة تلك الأجزاء¹.

ومن هنا؛ فإنّ هذا العلم قد شكّل مركزا أساسيا ضمن العلوم البينية المعرفية؛ إذ "أنّه يقوم بتحليل الشّاط الدّماغي على المستوى الفيزيولوجي، ويتعلّق بالمناطق الدّماغية المتأثّرة بالعمل الدّهني؛ أي يهتم بدراسة البنية العضوية ووظيفة العقل"².

وهذا ما يجعل علوم الأعصاب لها علاقة بكلّ نشاط دماغي يقوم به الدّهن البشري وبكلّ الأعضاء التي تساهم في التّقصير اللّغوي "فالتّغوّات التي تحدث في البنية العصبية المواكبة للدّهو العقلي المعرفي تقف بالضرورة خلف التّغوّ في الوظيفة المعرفية من ناحية أخرى"³.

ولعلّ من بين هذه الوظائف الوظيفيّة اللّغوية والنّشاط الكلامي للإنسان، وبناءً على هذا يرى "عبد القادر صام" أنّ اللّغة يمكن اعتبارها عملية معقّدة تسهم في بنائها عدّة مكوّنات مآنية بيولوجية، فاللّغة مقرّها الدّماغ حيث تتكوّن وتنمو نتيجة عدّة عوامل أهمّها الاستعداد

¹ - حيدر لازم الكناني، علم الأعصاب المعرفي، الحوار المتّمنّ، العدد 86، 2015/4/24م، مقال إلكتروني www.ahewar.org

² - امتثال زين الدّين، علم الفّس المعرفي ودراسة الهندسة المعرفية والوظائف العقلية، دار المنهل الدّباني للطباعة والنّشر، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص10.

³ - فتحي الزّيات، الأسس المعرفية للتّكوّن العقلي وتجهيز المعلومات، دار النّشر للجامعات، القاهرة، مصر، ط2، 2006م ص1.

الفطري الداخلي، ومنها ما هو اكتساب خارجي مستمد من البيئة الاجتماعية التي تحيط بالإنسان¹.

ومن هنا؛ نستنتج أن "الماغ مركز أساسي في الإصدار اللغوي، إذ تتوزع العملية اللغوية في النصف الأيسر منها، وترتبط بواسطة عدة خلايا، ولعل أهم هذه المناطق نجد"²:
- منطقة بروكا: هذه المنطقة موجودة في مقمة النص الأيسر من الماغ.

- منطقة فيرينك: وتقع بالقرب من منطقة السمع في الفص الصدغي من القشرة الماغية³.
ومن هنا، يمكننا القول إن معالجة الإنسان للشط اللغوي تستدعي حضور عدة شبكات عصبية معقدة؛ إذ "محاولة فهم معالجة الإنسان مختلف المعلومات تتطلب ما يجري داخل الماغ بدلاً من التركيز، ومحاولة فهمها كعملية معرفية مجردة"⁴.

وبما أن اللغة بوصفها عملية دماغية مصدرها عضوي بيولوجي فطري مائي، فالوظيفة اللغوية مرتبطة بالاستعداد الفيزيولوجي والعصبي والجسمي والعقلي للإنسان. وأساسها كل ما له علاقة بالذهن وبالأسس المائية الفيزيولوجية.

ردفًا على ما سبق ذكره، فإن "العمليات العقلية التي تصدر عن الإنسان متعلقة بالماغ البشري، خاصة منها العمليات التخاطبية التي تسهم في انتقالها أجهزة الإدراك التي يحتويها عقل الإنسان، فجميع حواسه تعطينا إحساسات ولفات متنوعة تمكّننا من التواصل مع العالم الخارجي، خاصة الوظيفة المهيمنة (اللغة) والتي تعتمد الكلام وتمثلاته المختلفة"⁵.

ومن هنا؛ نصل إلى فكرة مفادها أن الجهاز العصبي بكل مكوناته وعناصره مسؤول عن العملية اللغوية ومعالجة المعلومة.

¹ - عبد العزيز إبراهيم العصيلي، علم اللغة النفسي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ط1، 2006، ص142.

² - مجالات اشتغال الأسانويات في ضوء التصور العرفاني، ص13.

³ - نظر: الأسس المعرفية للتكوين العقلي وتجهيز المعلومات، ص158/159.

⁴ - علم النفس المعرفي النظرية والتطبيق، ص49.

⁵ - الجمعي بولعراس، مدخل إلى الأسانويات النفسية العصبية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية السعودية، الرياض، ط1، 2017، ص103.

والنتيجة التي وقف عليها الدكتور "صام" أن علم الأعصاب له أهمية كبيرة في المعرفة البشرية، خاصة اللغة حدث وراثي كامن في الذهن؛ أي دماغ المتكلم، وتصدر عن موروثه مسؤولة عن إنتاجها، تسمى: "موروثه إنتاج اللغة"¹.

وهذه الأخيرة وجدت أن الإنسان مجموعة من القدرات الكامنة في دماغه.

ووفقا لهذا يرى "عبد القادر صام" أن علم العصاب أسهم في نشأة اللسانيات المعرفية خاصة مع أبرز جهود بعض الباحثين، منهم "هيو بات، ويزك المذتصين في علم وظائف العصبية للأعضاء، حيث توصلنا إلى أن هناك مجموعة من الخلايا تستجيب للخصائص المختلفة للمثيرات، هناك بحوث وجهود بادرت في هذا العلم، كالباحث روجر سيري الذي اكتشف تمايز الصّفين الكرويين للمخ ووظائفهما.

- اللسانيات العرفانية والنّكاء الاصطناعي: يعدّ الباحث النّكاء الاصطناعي من العلوم المعرفية التي لاقت رواجاً في البحوث الإنسانية المعاصرة، حيث كان له الفضل في الوصول إلى نتائج علمية دقيقة والمساهمة في حلّ بعض القضايا المعقّدة، ولهذه الأهمية أصبحت كلّ الرّاسات المعاصرة تعتمد عليه كونه حقل وتخصّص معرفي يدخل ضمن علوم الكمبيوتر وله تأثيرات هامة على تطوّر العلم المعرفي، مثلاً تصميم برامج حاسوبه تكسبه في كيفية عملها طريقة العمل الإنساني².

وقد أوضح الباحث العلاقة بين اللسانيات العرفانية باعتبارها العلم الذي يدرس كيفية عمل الدماغ في إنتاجه اللغة من خلال الشّاطات العقلية المختلفة، وبين النّكاء الاصطناعي بعده موضوعاً علمياً دقيقاً يهتم بتصميم برامج الحاسوب وتوصيف اللغة آلياً عبر آلة الحاسوب وما يتضمّنه من برامج بطريقة اصطناعية، وتلك العلاقة قائمة على أساس المقاربة بين الآلة

¹- عبد العالي العامري، اللغة ونظرية الذّهن: مبادئ معرفية وذهنية مجلّة اللسانيات العربية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، العدد 6، يناير 2018م، ص9.

²- ينظر: علم النفس المعرفي، ص22.

والعقل الإنساني وكيفية اشتغاله؛ أي تقوم بتنزيل العقل الإنساني وعملياته الذهنية إلى حيز الآلة¹.

وبالتالي القيام بمقاربة معرفية بتنميط الاستدلال البشري ومقاربة إجرائية يتم بواسطتها البحث عن فعالية مماثلة نوعاً ما إلى فعالية الإنسان².

وسرعان ما اكتسحت هذه النظرية الجديدة عدة ميادين، لعل من أهمها: اللغات الطبيعية، الرؤية والحاسب، علم الروبوتات نظرية الحاسب والبرمجة الآلية، النمذجة المعرفية للإدراك³. كل هذه المسوغات جعلت من الدرس اللساني يلتحق بركب التكنولوجيا ومجال التحليل التقني والذهني والرمزي، فاحتلت بذلك مكانة مهمة ضمن العلوم المعرفية⁴.

وبذلك أصبح "علماً دقيقاً تقنياً ذا صبغة تكنولوجية، ما أكسب اللسانيات الصفة المعرفية الدقيقة حولتها مرتبةً مضاهية مرتبة الرقمية والحوسبة والآلية بدمج اللغة الطبيعية ومعالجتها آلياً بطريقة رياضية منطقية خوارزمية"⁵.

وبحسب رأيه "فإن الذكاء الاصطناعي استمد من اللسانيات العرفانية المقولات الذهنية والتصورات العرفانية التي ركزت على جوانب الدماغ البشري وقدرات الذهن الإنساني"⁶.

كما أنه في سياق آخر، يقر بأن "فلسفة الذهن بأسسها ومقولاتها ومضامينها وتحليلاتها المفاهيمية الجديدة قد أتت لانبثاق براديغم التيار العرفاني والنموذج الحاسوبي، أضف إلى ذلك

¹ ينظر: نظريات لسانية عرفنية، ص19.

² ينظر: العلوم المعرفية بحث في الشأ والمفاهيم، ص40.

³ محمد علي الشقراوي، الذكاء الاصطناعي، والشبكات العصبية الكتاب الأول ضمن سلسلة علوم وتكنولوجيا حاسبات المستقبل، مركز الذكاء الاصطناعي للحاسبات، ص29/28.

⁴ ينظر: بن شريحة نصيرة النموذج الصوتي العربي، ومسارات التحول في رحاب الذكاء الفطري إلى الذكاء الاصطناعي ضمن أعمال الملتقى الوطني، اللغة العربية وبرامج الذكاء الاصطناعي، جامعة معسكر، منشورات المجلس الأعلى للغة، 2020م، ص75.

⁵ حافظ اسماعيلي علوي، محمد الملاح، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009، ص92.

⁶ مصطفى بوعناني، الصوارة المعرفية والمسارات الذهنية للإنجاز اللغوي، تقديم مبارك حقون، عالم الكتب الحديث، إريد، الأردن، ط1، 2013، ص8.

فتحت أطراف الجدل على مشكلة العلاقة بين العقل والجسم ومشكلة معنى التفكير، وما إذا كانت الآلة تفكر أم لا؟ في نطاق الذكاء الاصطناعي¹.

- **علاقة اللسانيات العرفانية بالأنثروبولوجيا:** إن أبرز ما عالجه الأنثروبولوجيا هي قضايا الإنسان، لذلك كان لها التأثير الواضح في الدراسات اللغوية الحديثة خاصة اللسانيات العرفانية. وبطبيعة الحال، فقد مست هذه المعالجة في الشق اللساني العرفاني فرعاً من فروعها ألا وهو: الأنثروبولوجيا العرفانية الذي يعنى بدراسة العلاقة بين الثقافة والذهن من خلال البحث فيما يدرك ويفهم الإنسان بالنسبة للأحداث والتجارب والملابس الخارجية التي تدور في محيطه فيجعل منها كيئاً ونظاماً ذا معنى².

ويقر "صام" بالعلاقة الرابطة بين الثقافة والعرفنيات، إذ يرى أن الثقافة تكون نظاماً عرفانياً جماعياً له بسائر النظم الثقافية علاقات شبه وعلاقات تميز واختلاف³، ومنها فإن الأنثروبولوجيا أتت دوراً مهماً وفعلاً في تطوير العرفانية.

5- **اللسانيات العرفانية واللسانيات:** عرف الباحث في هذا السياق اللسانيات بأنها الدراسة العلمية الموضوعية للغة البشرية ثم انتقل وعرفها بشرح مبسط أنهما "العلم الذي يدرس اللغات الطبيعية الإنسانية في ذاتها ولذاتها" مكتوبة كانت أم منطوقة، ويهدف هذا العلم أساساً للدراسة الوصفية وتفسير أبنية اللغات واستخراج القواعد العامة المشتركة بينها "والقواعد الخاصة التي تضبط العلاقات بين العناصر لكل لغة على حدى"⁴.

وكأية دراسة من البحوث العلمية نجدها تخص موضوعاً معيناً كما هو محدد في مجال الدراسات اللغوية وهو اللغة، لكن بالرغم من توافق الكثير من الباحثين والعلماء حول موضوع الدراسة إلا أنهم دائماً سرعان ما يختلفون في الرؤى والتصورات وزوايا النظر، خاصة في

¹ - آفاق جديدة في دراسة العقل، ص 147.

² - ينظر: نظريات لسانية عرفنية، ص 21.

³ - نفسه، ص 21.

⁴ - عبد العزيز خليلي، اللسانيات العامة واللسانيات العربية (تعريف أصوات) منشورات دراسات سال، المغرب، ط 1، 1991م،

أهدافهم والمنهج المتبع في الدراسة كما هو معروف بتعدد المناهج (تاريخية، وصفية، تحليلية تفسيرية...)، كل هذه المناهج كانت بمثابة مصوغات لبروز فروع لسانية متعددة من عامة ووصفية وتاريخية ونظرية وتطبيقية¹.

إضافة إلى هذا أتى ذلك التطور إلى تطور النماذج اللسانية من البراديغم البنوي وصولاً إلى البراديغم التوليدي التحويلي لصاحبه أفرام نعم تشومسكي، والذي أسهم بشكل مباشر في بروز العرفانيات في الدراسات اللغوية المعاصرة، وبذلك فإن الباحث قد ذهب في قضية نشأة اللسانيات العرفانية إلى ما ذهب إليه الباحثون العرب على رأسهم الأزهر الزناد على سبيل المثال لا الحصر، التوجه الزاعم أن اللسانيات العرفانية جاءت كرد فعل لاذع على طروحات تشومسكي اللسانية التي ظلت تراهن على الشكل والتركيب دون التركيز الفعلي على الدلالة. ومن هنا، جاء الاهتمام بمركزية الدلالة عكس ما كان سائداً عنده من الاهتمام بمركزية الإعراب.

من هذا المنطلق أكد الباحث أن اللسانيات العرفانية برزت من خلال التحوّل الذي شهده الدرس اللساني منتصف القرن العشرين، هذا التحوّل طال النظرية اللسانية السلوكية والتعامل الآلي الميكانيكي، والمرجعية الأخرى تمثّلت حينما نشأت تلك العلاقة بين اللسانيات والحاسوبيات، ومن ثمّ تعرّف على الكيفية التي يشغل بموجبا الذهن البشري وآلية الاشتغال التي تؤبّيها تلك النشاطات العقلية².

6- **اللسانيات العرفانية والفلسفة:** حينما تكلم الباحث عن الفلسفة من حيث مفهومها وقضاياها ومواضيعها أوضح من خلال كلّ هذا إسهام الفلسفة في الدرس اللساني العرفني، سيما وأنّ الفلسفة عالجت الكثير من القضايا العقلية وحدّث الغيبية الميتافيزيقية وجميع العلوم، فهي وسط يجمع ما بين اللاهوت والعلم، لأنّها مبنية على تأمل الموضوعات التي لم تبلغ بعد علم اليقين،

¹- ينظر: محمّد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد التّحدّث، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص15/13.

²- آفاق جديدة في دراسة العقل، ص173.

ومصوغه في ذلك الذي جعل منها علماً لذاته أنها تخاطب العقل البشري أكثر مما تستند على الإرغام¹.

هذا ما جعل الفلسفة تدرس اللغة² وقضاياها خاصة مشكلة العلاقة بين اللغة والفكر أولاً شك أن الدراسات اللسانية الحديثة لم تكن بمنأى عن البعد التأثيري للفلسفة عند دراستها اللغة خاصة في القضايا التي تحتاج فهم الظواهر العقلية لتفسير اللغة³، وبالتالي لا يمكن أن نفصل الدراسات اللغوية الحديثة والمعاصرة عن الدراسات الفلسفية والمعرفية الأخرى.

وإذا ما رجعنا إلى تأثر الدرس اللساني العرفاني بإسهامات الفلسفة، فقد يتجلى لنا في ذلك الصواع القديم في الفلسفة الغربية الذي انبثق عنه اتجاهان، وهما:

أولاً: الاتجاه الإمبريقي: مثله فلاسفة الجزر البريطانية؛ إذ يقرون أن العقل صفحة بيضاء تتأثر بالمحيط الخارجي والارتباط بين هذه المثبرات تنتج عنه المعرفة، أما الاتجاه الثاني: الاتجاه العقلاني: فيمثله فلاسفة القارة الأوروبية، ديكرت وكانط؛ إذ يرون أن "هناك مقولات عقلية فطرية في الذهن البشري هي المسؤولة عن إنتاج المعرفة"⁴.

من هنا أتت علاقة التأثير والتأثر بين اللسانيات العرفانية حينها كان الاهتمام بالمذهب العقلاني الذي يرى بأن "إنتاج المعرفة لا يكون إلا بالاهتمام بموارد المنطق والعقل الذي ينطلق من الحقائق الأساسية التي يطلب أن تكون موجودة وليست نابعة من الخبرة"⁵.

كانت هذه حوصلة مجموعة العلوم المعرفية المجاورة وعلاقتها باللسانيات العرفانية، فقد كان عبد القادر ها هنا واصفاً وناقلاً وشارحاً جملة العلاقة التي تربط هذا العلم الحديث بالعلوم

¹ - ينظر: حسين علي، ماهي الفلسفة؟ دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2011م، ص39.

² - ينظر: الزاوي بلغورة، الفلسفة واللغة، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 2005م، ص7/5.

³ - ينظر: جون سيرل، تر: سعيد لغانمي، العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، منشورات الاختلاف، ط1، 2006م، ص8.

⁴ - آفاق جديدة في دراسة العقل ص173/174.

⁵ - جولييات باجيني، تر: أديب يوسف شيش، الفلسفة موضوعات مفتاحية المعرفة، العقل، الأخلاق، الدين، السياسة، دار التكوين للتعريب والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2010م، ص30.

الأخرى المجاورة، ومساهمة كل علم منها إلى بروزها ونشأتها. كل هذا كان في الفصل الأول من كتابه.

- **الفصل الثاني:** انتقل إلى جزئية أخرى وهي مجالات اشتغال اللسانيات العصبية في ظلّ التّوجه العرفاني تطرّق فيه لموضوع اللّسانيات العرفانية، وهو كالآتي:

- **اللّغة والّماغ:** خلص الدكتور "عبد القادر صام" دراسته العلاقة القائمة بين العقل واللّغة أنّها استغرقت دراساتٍ عديدة متوّجة عبر الزّمن؛ إذ نجد العديد من الباحثين الذين اهتموا بدراسة هذه العلاقة، وقد يرى "صام" أنّها دراسة ضاربة بجذورها في عمق التّاريخ، إذ يعود تاريخ دراسة كيفية تنظيم اللّغة في الّماغ إلى خمسة آلاف سنة خلت¹.

وقد غي بهذا العلم الجديد اللّسانيات العصبية الذي يتعامل مع ترميز المقدرة اللّغوية في الّماغ، فمهمّته معرفة كيفية امتلاكنا اللّغة داخل عقولنا، فالتّكلّم في حقيقة الأمر ما هو إلّا ترجمة لجملة الشّشاطات العقلية وقدراتنا الفطرية ومهمّة هذا العلم الوقوف عندها واكتشافها وتفسيرها². ودعته هذه الرّاسة إلى طرح الإشكاليات الآتية: "ما اللّغة؟ وكيف تكون في المخ؟"³. كيف تعالج في الّماغ البشري؟، وما المراكز المسؤولة عن العملية اللّغوية وإنتاج الكلام؟ ممّا أدّى به إلى تقصّي هذه المسارات التي تقطعها اللّغة للوصول إلى الّماغ البشري ومعرفة المراكز المسؤولة عن الإنتاج اللّغوي وإصدار الكلام، وقد بنى العملية الآلية التي تدخل فيها اللّغة إلى الّماغ وكيفية إخراجها وإنتاجها⁴.

وانتهى إلى مجموعة من القدرات من بينها:

¹ - محمّد إسماعيل بن شهداء، إنتاج اللّغة في الّماغ (دراسة في علم اللّغة العصبي)، مجلّة لسان الضّاد، ع2، رقم1 أفريل، 2015م، ص83.

² - ينظر: عطية بن سليمان أحمد، اللّغة في الّماغ (رمزية، عصبية، عرفانية)، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط1، 2009م، ص143.

³ - نفسه، ص142.

⁴ - ينظر: الاستعارة القرآنية والنظرية العرفانية، ص157.

أ- **القدرة الكلامية:** وهي القدرة الإنتاجية عبر الإدراك والتعبير عن المعاني الموجودة في الدماغ بجملة لانفعالات حسية أو معنوية، والتي تتم بواسطة الترميز الصوتي.

ب- **القدرة المعرفية:** تمكن الإنسان من التفكير الواعي، المنطلق من الرغبة في التعلم وتصبح بعد ذلك وسيلة لجمع الأفكار وتخزينها وترسيخها في الدماغ.

ت- **القدرة على التفكير الرمزي والتمييز الصوتي:** "تمكن الإنسان من تحويل الأفكار إلى رموز نفكر بها وتحقق بها التواصل مع الأشياء في غيابها، وينقسم الجهاز العصبي بالنسبة إليه إلى قسمين، هما"¹:

- **الجهاز العصبي المركزي:** يتكون من الدماغ والحبل الشوكي.

الجهاز العصبي الخارجي: يتألف من ألياف عصبية محيطية وألياف عصبية حركية وبدوره يقسم إلى قسمين: الجهاز العصبي، الجسدي الجهاز العصبي الذاتي، ومن خلال تفصيله لكل هذه الأشياء توصل الباحث في الأخير إلى أن "الجهاز العصبي من أعقد الأجهزة في جسد الإنسان، لأنه يسيطر سيطرة تامة على جميع العمليات الحيوية الإرادية واللاإرادية"²، ولعل بناءنا العصبي "هو المسؤول عن مقولاتنا. للأشياء موضع تجربتنا ومن ضمنها اللغة ومكوناتها"³.

- **مناطق ومراكز معالجة اللغة في الدماغ:** يعد الدماغ البشري المركز الأساسي في معالجة اللغة، وقد فصل في مكوناته وجزئياته ومناطقه، وكل منطقة ومهمتها نحو اللغة؛ إذ يتألف من كتلتين دائرتين متماثلتين في الحجم نصف المخ الأيسر ونصف المخ الأيمن، وقد وضّحها في شكل بياني توضيحي للفصوص الأربعة للدماغ مع شرح لكل فص، والور الذي يقوم به بالنسبة للغة وامتلاكها وقدرته على تخزينها وتفسيرها وترجمتها عبر العمليات العقلية إلى كلام مفهوم. في الحقيقة هي قضايا علمية تشريحية تتمحور حول مهمة العقل الانساني لإنتاج اللغة

¹- أيمن الشربيني، علم الأنسجة، دار طبية للشر والتوزيع والتجهيزات العلمية، د.ط، 2011م، ص 80/79.

²- وفاء البيه: أطلس أصوات اللغة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1994م، ص 1197.

³- النظرية اللسانية العرفانية، دراسة أبستمولوجيا، ص 68.

وآليات اشتغاله في تكوينه للغة؛ فاللغة لا تعالجها طاقة عامة للتعلّم، بل منظومات فرعية إدراكية غير متجانسة من حيث وظائفها، وليس من بينها ما يعدّ، "وفق تصميمه"، معالجاً مركزياً عصبياً للغة وتعالج عبر المسارين: "السمعي والبصري، ومنضبطة بالبرنامج الجيني اللماغي الذي يتطوّر ذاتياً"¹.

ولم يتوقّف عند هذا الحدّ، بل ذهب إلى الأجهزة المتحكّمة في العملية التّخاطبية اللغوية وتطرّق لمراحله والمسارات التي تمر بها هذه الأجهزة². هذه الأخيرة بمثابة مراكز معالجة اللغة في اللّماغ البشري وهي متعدّدة، ممّا أدّى لبروز دراسات ونظريّات لدراستها، "لهذا شرعت التّقنيات الحديثة الخاصّة بتصوير المخّ من شأنها أن تكمل المعلومات حول مناطق اللغة داخل المخ"³، وقد توصّل في الأخير إلى نقطة مفادها أن "مراكز معالجة اللغة في اللّماغ البشري متعدّدة؛ فالرموز اللسانية المفردة لا وجود لها في مكان محدّد، وأنّ تكوينات المخّ الضّروية لتحليلها موزعةٌ عبر مناطق كثيرة"⁴.

والعلم ما زال يتطوّر، إذ بدأت تظهر دراسات ونظريّات تنفي ما سبقتها، وهذا بسبب التّطوّر التّكنولوجي.

وقد توجّه في دراسته على المستوى التّظري والتّطبيقي إلى:

أولاً: المعالجة العصبية لمستويات اللغة في ظلّ التّوجّه العرفاني: يرى المستوى الصّوتي وهو أصغر وحدة لغوية يمكن معالجتها عصبياً؛ إذ عدّها من العمليات المعقّدة التي تتمّ في اللّماغ البشري ولكن بمساندة العديد من العلوم والحقول المعرفية على نحو الكيمياء الفيزيولوجيا والأعصاب، كلّ هذا يصبّ في غرض واحد وهو معرفة كنه الصّوت وإدراك عملية اشتغاله

¹ - البناء الدّهني للمفاهيم، بحث في تكامل علوم اللّسان وآليات العرفان، ص85.

² - ينظر: مدخل إلى اللّسانيات النّفسية العصبية، ص103.

³ - جين إيتسن، تر: عبد الكريم محمّد جبل، اللّسانيات مقدّمة إلى مقمّات المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2016م، ص290.

⁴ - تيرنس ديليو ديكون، الإنسان... اللغة... الرّمز، التّطوّر المشترك للغة والمخّ، ترجمة: شوقي جلال، المركز القومي للترجمة، ط1، 2014م، ص546.

والوقوف على طبيعته العصبية اللماغية، وقد حدّد طبيعة الصّوت من نفسية مشيراً إلى قول "ستيفن بينكر" الذي أشار بدوره إلى فكرة وهمية الصّوت، وأنّه يحدث داخل النّفس البشرية دون شعور أو إدراك أو إحساس من أيّ صورة لا واعية¹.

وقد أشار إلى الباحث العربي سعد مصلوح بشكل مكثّف في طرح أفكاره التّجديدية متأثراً بعلم الأعصاب المعرفي نحو معرفة الحقيقة العصبية للصّوت، وقد توصّل إلى أنّ مقارنة سعد مصلوح على المستوى العصبي باعتباره أساس العملية التّواصلية؛ إذ بالصّوت يتمّ وصول رسالة من المتكلّم إلى السّامع، وبذلك يمكن القول أنّ المقاربات الألسنية في ظلّ التّوجّه المعرفي (اللسانيات العصبية) قد حولت وغيّرت آليات الاشتغال مع الصّوت من التّراسة الفيزيولوجية إلى التّراسة العصبية النّفسية الإدراكية، وبالتالي شهد الدّرس اللّغوي تجاوزاً للبحث في المقاربة الصّوتية من اللّسانيات إلى ما بعدها، كما يعبر عنها بتعبير رومان جاكسون قد خرج الصّوت عن اللّسانيات، كما خرجت كيمياء الألوان عند نظرية فنّ الرّسم².

اتّجه فيما بعد ذلك إلى المستوى النّحوي مضيفاً للسيرورة التّطورية له ضمن المقاربات الألسنية الجديدة، هذا الانتقال تمثّل في مراحل مختلفة من النّحو التّقليدي إلى التّوليدي، ثمّ العرفاني ليصل في النّهاية إلى مرحلة النّحو العصبي³.

وقد أوضح الباحث في هذا المؤلّف أنّ هذا الانتقال رافقه انتقال منهجي من النّحو المعياري إلى النّحو الافتراضي وصولاً إلى الأنموذج العرفاني الذي يعتمد على النّحو كعملية تصوّرية ذهنية تحت من خلال المخّ ليلج بها التّيار العصبي وبالتالي يحدّد النّحو ظاهرة لغوية أساسها الجهاز العصبي، وقد تحدّث عن حقيقة النّحو وطبيعته النّفسية؛ إذ لا يمكن الفصل بين ما هو نفسي وما هو عصبي، لأنّ العمليات العقلية مضمرة تظهر للعيان حين التّكلّم وقد

¹ يُنظر: ستيف بينكر، تر: حمزة بن قيلان الزّيني، الغريزة اللّغوية، كيف يبدع العقل اللّغة، الرّياض، مكتبة المّريخ، 2000م، ص203.

² يُنظر: رومان جاكسون، تر: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، محاضرات في الصّوت والمعنى، المركز الثّقافي العربي، ط1، 1994م، ص75.

³ يُنظر: المعالجة العصبية للّغة، ص464.

يسبق هذه العملية التفكير في الكلام وفي العناصر اللغوية وغير اللغوية التي تصنعه ويبقى اللّماغ البشري هو المسؤول الأول والأخير من خلال العمليات الباطنية تحديد التراكيب المواد التعبير عنها عبر الكلام¹.

وقد خرج بنتيجة مفادها أنّ النحو ذو حمولة نفسية عصبية، وانطلق الباحث في معالجته فكرة النحو على أساس معرفي، وهو أنّ اللّماغ هو الآلة الضابطة لقواعد النحو من خلال تكوين الجمل البسيطة والمركبة والمعقدة الصحيحة وفق قواعد نحوية سليمة ودقيقة نظراً لامتلاكه القدرة على الإبداع والتطور، وعلى التعميم والاستنتاج.

و قد فصل في كلّ المناطق الموجودة على مستوى اللّماغ والنور المخول لها في المعالجة العصبية للمستوى النحوي، ثم انتقل في دراسته للمعالجة العصبية للمستوى الدلالي، حيث استهلّ كلامه بتعريف الدلالة ونشأتها، ثم أكد أنّ الدراسات الدلالية قد لاقت رواجاً ونجاحاً على يد الأنثروبولوجيين والسيكولوجيين أكثر منها على يد اللغويين، وقد برز هذا المستوى بشكل جلي في اللسانيات العرفانية بسبب رئيس وهو تمركز البحث العرفني على جزئية الدلالة في ظل ارتباط هذا العلم بالعلوم الأخرى، فأعطاهم المعنى أهمية عظيمة جعل انبثاق مشروع الدلالة المعرفية يظهر ويسطع نجمة مع التّصور العرفني.

وقد خلص إلى أنّ "المعالجة العصبية للدلالة تُعدّ من أعقد العمليات، ومناطق تحديدها أصبح محلّ اختلاف العلماء والدارسين، لكن رغم ذلك إلا أنّ الدراسات في هذا المجال ما زالت متواصلة خاصّة في ظلّ التطور التكنولوجي..."².

بعد تبيان الباحث لكلّ مستوى من مستويات اللّغة الصوتية والنحوية والدلالية، وكيفية معالجتها عصبياً باعتبار أنّ كلّ مستوى خاضع للمعالجة العصبية وفق أماكن مختلفة في اللّماغ البشري.

¹ يُنظر: المعالجة العصبية للّغة، ص464.

² - بيولوجيا اللّسانيات، مدخل إلى الأسس البيوجينية، للتواصل اللساني من منظور اللّسانيات العصبية ص48/49.

- الفصل الثالث: آليات الاشتغال اللساني ومستويات اللغة في ضوء علم الذكاء الاصطناعي:

تطرق الباحث ضمن هذا الفصل إلى الأهمية والثور الذي لعبه الذكاء الاصطناعي في عدة مجالات؛ عسكرية منها وصناعية واقتصادية وتقنية، وأوضح مدى اتّساع تطبيقاته على المجالات الطبية والتّعليمية والخدمية وغيرها¹.

لم يبق الذكاء الاصطناعي محصوراً في هذه المجالات، بل طال العلوم المعرفية والتي كما يرى عمر بن دحمان في نظرية الاستعارة التّصويرية والخطاب الأدبي أنها تحاول تطوير برامج حاسوبية معقّدة لتكون قادرةً على أداء مهام معرفية صعبة بواسطة الجهاز الحاسوبي. وفي هذا المضمار أشار الباحث إلى مجموعة المفاهيم المتعلّقة بالذكاء الاصطناعي، وخلص من خلالها إلى عدة تعريفات شاملة لها منها:

تعريف جامع يراه ملماً للذكاء الاصطناعي إذا يقول بأنه فرع من فروع الحاسوب يمكن من خلاله تصميم برامج للحاسبات تحاكي أسلوب الذكاء الفطري الانساني يتمكن على أساسها الحاسب من أداء مهام بدلاً من الإنسان تتطلب التّفكير والتّفهم والسمع والتّكلم والحركة وفي الحقيقة هذا التّعريف نفسه الذي ذهب إليه محمّد علي الشّرقاوي في مؤلّفه "الذكاء الاصطناعي والشبكات العصبية"، وإذا ما رجعنا إلى علاقة الذكاء الاصطناعي بالذكاء الفطري فإننا نجد العقل وعملياته وكيفية اشتغاله والآلة والعمليات التّقنية التي تقوم بها متلازمان، لأنّ الذكاء الاصطناعي كعلم يبحث في حلول والإمكانات التي تمكّن من تنزيل العقل بجلّ العمليات الباطنية لديه إلى حيز الآلة، وهذا لا يتمّ إلاّ عبر أجهزة حاسوبية تشتغل بموجب عمليات خوارزمية بشدّة مدخلاتها ومخرجاتها البيانية التي تتزوّد بها بواسطة الإنسان، على سبيل المثال لا للحصر نذكر المجالات التي تتواشج مع هذا العلم لتحقيق هذا الغرض: نظم خبيرة، إثبات التّطبيقات آلياً، اللّغات الطّبيعية، علم الرّوبوتات، تمثيل المعارف آلياً، التّعليم والتّعلّم باستخدام الحاسبات، الوسائط المتعدّدة.

¹ - أحمد ماجد، الذكاء الاصطناعي بدولة الإمارات العربية المتّحدة، إدارة النّرسات والسياسات الاقتصادية الامارات العربية المتّحدة، مبادرات الرّبع الأول، 2018م، ص3.

وقد استنتق الباحث اتّجاهات الذكاء الاصطناعي ليصل إلى اتّجاهين؛ "الأول استعاري يركّز على طبيعة ذكاء البشر ومحاولة مطابقتها لهاواتّجاهٍ إجرائي تطبيقي يستعرض السلوك الذكي للآلة، ناهيك عن مشابهته ذكاء الإنسان. كلّ هذه المصوغات أثّرت في علم اللّغة (اللّسانيات)، وغيرها من العلوم"¹.

كلّ هذا يُعدّ انعطافا أساسيا في تحوّل الدرس اللساني في الحديث من مدار اللّسانيات الوصفية والعقلية إلى مدار الدّراسات الذّهنية والحو سبية، إذ أصبحت الأبحاث اللّسانية في دراستها اللّغة باعتبارها بنيةً معقّدة ذات نظام حوسبي تراهن على الآلة والعمليات التّقنية الخوارزمية تعتمد على برمجة الحاسوب ليكون مشابهاً للعقل البشري في كيفية إنتاجه اللّغة وعملية اكتسابه لها وبهذا اتّخذت اللّسانيات مركزاً جديداً أساسه الدّقانة والرّقمنة والحوسبة وسط العلوم المعرفية فبرز ما يُعرف: اللّسانيات الحوسبية، وما يُعرف: اللّسانيات الحاسوبية.

أخذ هذا السّياق العلمي الباحث إلى جدلية مهمّة حول علاقة الحاسوب باللّغة ليخرج في الأخير بما مفاده أنّ تأثير الحاسوب شمل اللّغات اللّغوية واللّسانية وجعلها أكثر دقّةً وعلمية وتجريبيةً ورمزية وفي ظلّ علاقة التأثير والتأثير فإنّ الحاسوب أثّر وبشكل مباشر على الدّراسات اللّسانية التي أثّرت بدورها فيه بشكل بالغ من خلال حصيلة الباحثين اللّسانيين في تطوير خوارزميات تقبل الإدماج في برامج الحاسوب انبثقت حسب رأيه هذه العلاقات من اللّسانيات الحاسوبية التي يراها ميداناً بحثياً دقيقاً يمكن إدراجه ضمن العلوم الصّلبة؛ أي الرّقمية التي تركّز على التّجريب والهندسة والآلة في معالجة اللّغة، فهي محاكاة العقل البشري في فهم الظّاهرة اللّغوية تنظيراً وإنجازاً، هذه المحاكاة تستدعي تمازج عدّة علوم والمجالات السّالفة الذّكر، وفي هذا السّياق المعرفي تكلم عن المجالات التّطبيقية للّسانيات الحاسوبية كتطبيقات التّرجمة الآلية وتطبيقات نظم الاسترجاع الآلي للمعلومات، تطبيقات الأنظمة التّفاعلية، كلّ هذه التّطبيقات تدخل في مجال الدّراسات اللّغوية وأصبحت تعالج مستويات اللّغة

¹ - عبد الله موسى، أحمد حبيب بلال، الذكاء الاصطناعي، نورة في تقنيات العصر، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2019م، ص181.

بصفة عامة صوتاً وصرفاً ونحواً ومُعْجَماً ودلالة، وعلى حدّ قوله: " تهياً الحاسوب للقائه مع اللغة بالسّوية الفائقة، وفخامة الذاكرة، وصغر الحجم وأساليب النّكاء الاصطناعي، ولغات البرمجة الرّاقية؛ بناءً على هذا انتقل الباحث في دراسته النّظرية إلى دراسة تطبيقية تمحورت حول المعالجة الآلية لمستويات اللغة في ضوء علم النّكاء الاصطناعي والحاسوبيات بعد ما ذكر المفاهيم الأساسية والمجالات لهما.

واندرجت هذه النّراسة التّطبيقية حول اللغة بمنظوماتها المختلفة، من صوتٍ ونحوٍ ودلالة، وما للآلة من دور فاعل في معالجتها؛ إذ يرى أنّ الحوسبة "معالجة اللغة تُعدّ من أهمّ تطبيقات النّكاء الاصطناعي، والذي يهدف إلى محاكاة الذّهن البشري"¹.

وبعد عرضه للصّوت كظاهرة فيزيائية والعلم الذي ينتمي إليه ألا وهو "الأكوستيكية" والعلوم التي تشغل على وظيفة الصّوت (الفونولوجيا)، تمّ عرض الفضل الكبير الذي يعود للنّكاء الاصطناعي في تطوير مجالات البحث الصّوتي والبرامج التي تعالجه آلياً خاصّةً في جانبه الأكوستيكي من خلال الرّمزية، ولعلّ من أهمّ هذه البرامج والأجهزة: جهاز المطياف (الزّمن، التّردّد، الشدّة) والتي يظهرها على شكل خطّ، ونجد برنامج Wasp، Praot Wave Surfer وغيرها. كلّ هذه البرامج تشغل على المعالجة الآلية للصّوت والموجات وتحويلها إلى أرقام يمكن التّعامل معها بسهولة في الحفظ والإرسال والاستقبال إلى جانب هذا تحليل الصّوت، وإجراء عمليات التّركيب الآلي في الكلام وتوظيف مختلف البيانات القاعدية لـ: "التّحليل الصّوتي، والبناء الكلامي، والنّحو..."².

وقد أوضح الباحث مجموعةً من الأجهزة التي تسجّل وتحلّل الصّوت الى جانب هذا مهمّة كلّ من البرنامج، المسجّل، السّماعات، الحاسوب والقرص، استنتج من خلال ذلك أنّ

¹ - وليد بن عبد الله الصّانع، طرق ومستويات اللغة في النّكاء الاصطناعي ضمن الكتاب خوارزميات النّكاء الاصطناعي في تحليل النّص العربي، مباحث لغوية 61، مؤلّف جماعي، مركز الملك عبد الله ابن عبد العزيز التّولي لخدمة اللغة العربية السعودية، 16-2019م، ص17.

² - ابراهيمي بوداود، الطّبيعة الفيزيائية لمنطوق الهمزة العربية، الملتقى الوطني للغة العربية والتّقانات الحديثة، الجزء الأول، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2018م، ص283.

آلية اشتغال الصوت في ضوء نظرية النكاء الاصطناعي والحوسبة اللغوية عملية معقدة تستند إلى معالجة ذهنية عصبية قوامها الجانب الذهني للصوت، حيث يتم تزويد الآلة لبرمجيات حاسوبية تعكس لنا التمثلات الذهنية الخفية للصوت ومعالجة حاسوبية مخبرية أساسها الواقع الإنجازي للصوت اللغوي من خلال البرامج والأجهزة المذكورة سابقا، انتقل في هذه الجزئية إلى عرض النحو كمستوى من المستويات اللغوية والأنساق ومكونات نظامه كالمفردات المعجمية والأدوات التركيبية وما لهما من أهمية مكنتها من الدولة والمعالجة التطبيقية والحاسوبية، منوها أن المستوى النحوي أخذ حظه الوافر في الدراسة التطبيقية على مستوى النظريات الألسنية، كالنظرية التوليدية التحويلية مشيرا إلى أعمال ميشال زكريا في هذا المجال. ومن هنا كانت نقطة الالتقاء والتقاطع بين الدراسات اللغوية الممتزجة مع الحاسوبيات وبرامج النكاء الاصطناعي، وأشار إلى أن الدرس النحوي لا يكتمل إلا باكتمال أركان التحليل عامة كالتحليل الصوتي لإزاحة اللبس والتحليل الصرفي للمفردات اللغة، سيما الأوزان والصيغ والتركيب المتعلق بالسياقات المحتملة لكل مفردة، والتوصيف الكتابي-الإملائي- لكل كلمة وكل تحليل متعلق بصفة إلزامية لكل المستويات السابقة الذكر مجتمعة في كل معالجة لمستوى معين يخدم معالجة المستوى الذي بعده لكي تكتمل التحليلات المستويات الأربعة¹.

وقد أشار إلى أن حوسبة النحو تمر بالخطوات التمهيدية (مرحلة الفذجة وتقسيم النظام الآلي إلى أجزاء وتكوينات، ثم يقوم بتصميم نموذج مجرد ومبسط، ثم يطوره ثانيا الخطوة اللغوية، ويتم فيها تحليل الجملة لفهم معناها وينفذها عن طريق التقانة بترجمة لغة الجملة المدخلة في الحاسوب، إلى أجزاء دلالية غير مركبة، عن طريق الرمز أو تحويلها إلى لغة مصطنعة مصممة من طرف الحاسوب، أدرج الباحث مجموعة الطرائق التحليلية للنحو بطريقة آلية.

¹- يَ نظر: الدرس النحوي في ضوء الحاسب الآلي، ص 263.

وقد أكد الباحث في نهاية عرضه لجملة الآليات والطرائق التحليلية والمشاريع الحوسبية لللغات الطبيعية بصفة عامة واللغة العربية بصفة خاصة، إلى أنه بالرغم من التطور الحاسوبي والنكاه الاصطناعي وتحدد هذه البرامج والمشاريع بطريقة دقيقة إلا أنها لا تزال فتية، وفي بداية الطريق مدججا قوله برأي " فارس شاشة" في مؤلفه، المعالجة الآلية للغة العربية " (ليس با لشيء السهل أو اليسير)، وذلك لما تتفرد به لغات البشر من خصائص قواعدية، كالمرونة النحوية في التقديم والتأخير، والحذف والإبدال الذحوي¹.

أما بالنسبة لمستوى الدلالة، فقد تطرق لمفهوم الدلالة كما أشرنا سابقا لهما، مبينا أهميتها البالغة، إذ يعد أسد أسلا لفهم المعاني والدلالات.

وفي حقيقة الأمر، فإن الباحث أقر أن المستوى الدلالي أعقد المستويات تحليلا في البرنامج الحاسوب التقني ومصوغه في ذلك كونه أساس المنظومة اللغوي في فهم المعاني والدلالات، وإذا ما رجعنا إلى هذا الحكم نجده صحيحا نوعا ما خاصة وأن الآلة في مقاربتها لعقل الإنسان قد تتمكن من مشابهة الكثير من العمليات العقلية الباطنية من آليتي الفهم والإدراك وطرائق الإدخال والإخراج، وحفظ البيانات وتخزين المعلومات وإفراغها، إلا أن الآلة دائما ما تقف عاجزة أمام جزئية النوق والحدس والحس والابداع الذي لا تستطيع توفيره الآلة مهما بلغت من النقة والعلمية، ولهذا تبقى عاجزة أمام توليد المعاني وإعطاء دلالات كل العناصر، ويبقى هذا الأمر نسبيا حينما تزود بدلالة العناصر آليا وتقنيا، في هذا السياق يعمل الباحثون والمبرمجون على تطوير عملية المعالجة الآلية للدلالة، خاصة وأن المعالجة الآلية للنحو تبقى قاصرة أيضا إذا ما حاولت السيطرة على المعنى، فالسلامة النحوية لا تقتل إلا من خلال سلامة المعنى والدلالة، ولذلك فإن كل مستوى لغوي مرتبط بالمستوى اللغوي الذي يليه، هذا الارتباط يمثل للمعالجة الآلية وأولا كل مستوى على حدى، ثم لا تتم المعالجة الآلية إلا بالمعالجة التي قبلها والتي تليها، ويتعين مما سبق أن المجال المعرفي (الأنطولوجي) الذي:

¹ - المعالجة للغة العربية، ص44.

"يمنح للآسانيات الحاسوبية فرصة أكبر في خدمة الشبكة الدلالي والمحتوى اللغوي حاسوبيا، مما سييسّر تقانة اللغات التي أصبحت مقياساً لحضارة الأمم وتقدمها وبقائها"¹.

- **الخاتمة:** من خلال ما سبق، خلص "عبد القادر صام" إلى مجموعة من النتائج التي استمدّها من هذه الدراسة الموسّعة في جملة العلوم المختلفة وعلاقتها بالآسانيات العرفانية، ثمّ تحديد مناطق ومراكز اللغة في الدماغ البشري لمعرفة كيفية إنتاجها من جهة، واكتسابها من جهة ثانية، وإبداعها من جهة أخرى، باعتبار اللغة بنية معقّدة ذهنية، كلّ هذه المصوغات ألّت وبشكل مباشر إلى تحوّل الدرس اللساني من الدراسات الوصفية إلى دراسات تركز على عملية الربط بين اللغة والدماغ، ثمّ الجهاز العصبي، ثمّ الدّهن البشري، وفي ظلّ انفتاحها على العلوم المعرفية الأخرى، سيما النّكاء الاصطناعي والعلوم النفسية والعصبية والرياضية والفيزيائية والطّية، وغيرها من العلوم أتى إلى تشكّل ما يُعرف الآن في الآسانيات المعاصرة بالآسانيات العرفانية.

ومن جملة النتائج الجوهرية التي توصل إليها الباحث أن البراديغم اللساني العرفاني ذو طبيعة بينية تتعالق وتتواشج فيها مجموعة من العلوم السابقة الذكر وفق علاقة التّأثير والتّأثر، إلى جانب هذا فإنّه يرى أن المعالجة العصبية لمستويات اللغة في ظلّ التّوجّه العرفاني لم تحقّق نتائج مرجّوة، ومصوغه في هذا أن هذه المعالجة تقوم على أساس عضوي عصبي بحث، في حين أن الدراسات العلمية لا زالت نتائجها نسبية لا يقينية، ويعدّ هذا الطّرح سليما نوعاً ما إلّا أنّنا نشهد في السّنوات الأخيرة من اللّوات البحثية اللسانية التي تتّجه دائماً صوب العلمية والدّقّة، سيما الدراسات اللّغوية في الآسانيات العرفانية في مقاربتها للغة ومعالجتها آلياً قد اتّجهت صوب التّائج اليقينية أكثر من أيّ وقت مضى، إلّا أنّها تبقى فرضية؛ أي علم فرضية قابلة للحض والرفض والتّجديد قائماً ووارداً.

¹ - علم الدّالة والأنطولوجيا، من منظور حوسبة اللغة العربية، ص 24.

أما النتيجة الأخرى في رحاب الذكاء الاصطناعي فإنه يقوم على أساسين؛ أساس نظري يسعى من خلاله لصوغ برامج حاسوبية ونماذج مرمزة صورية تعكس الجانب الذهني للغة وأساس إجرائي تطبيقي يقوم على تغذية الحاسب الآلي بتلك البرامج والنماذج.

- خامسا: قراءة في كتاب من قضايا اللسانيات المعرفية، تقديم: جعفر يايوش، الإشراف: طيب بوقرط، -دراسات علمية أكاديمية محكمة-:

في مقال بمجلة الخطاب العدد الرابع عشر الذي أصدره مخبر تحليل الخطاب - جامعة مولود معمري- تيزي وزو - الجزائر، قامت الباحثة "حمو الحاج ذهبية" بدراسة تخص المجال العرفي من خلال عملها المرسوم: "مقمة في اللسانيات المعرفية"، وهو ورقة بحثية في إطار أعمال الملتقى الولي حول "واقع البحوث المعرفية وتحليل الخطاب أيام: 13، 12، 11 مارس 2013م تطرقت الباحثة من خلال هذا العمل للمفاهيم الأساسية للغة بعدها: "الوسيلة التي اعتمدها الإنسان منذ أزمان سحيقة، لذلك استخدمها لأغراض متعددة الأشكال معوا عن قدراته التواصلية والاستنتاجية والاستدلالية، وفي الإطار نفسه أوضحت الباحثة العلاقة الكائنة بين اللغة باعتبارها وسيلة للتعيين والذهن باعتبارها لوسيلة الفاعلة لضبط مفهوم ما، وفيما يخص الجانب المعرفي (العرفي) فإن الباحثة عملت على الوقوف بالجانب التاريخي للسانيات المعرفية إلى جانب هذا مفهومها وتطورها وفق علاقتها مع جملة العلوم الأخرى من: علم الحاسوب، العلوم العصبية، الذكاء الاصطناعي، وما لها من دور فعال في تطوير العملية المعرفية والإدراكية المنبثقة من تساؤل معرفي جوهري¹:

- ما علاقة الفكر باللغة؟ هل من وجود للسانيات المعرفية (العرفية)؟ وما طبيعة المعارف التي تشكل اللغة من حيث مكوناتها المختلفة: الصوتية، الصوفية النحوية، الدلالية، للدّاولية؟ وقد خلصت إلى أن اللسانيات هي التخصص الذي يتخذ من اللغة هدفا خاصا مضبوطا من خلال تعدد اللغات وبالتالي فإن اللسانيات²: "علم اللغة الوحيد، ومن هنا يمكن وجود نقاط

¹ - ينظر: مقمة في اللسانيات المعرفية، ص 27.

² - ينظر: محمد حسن عبد العزيز، سوسور رائد علم اللغة الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، 1989، ص 14.

اتّصال بالتّخصّصات الأخرى التي تعالج اللّغة، وبالأخصّ تلك التّخصّصات المشاركة في البحث المعرفي، فالهدف الحقيقي للّسانيات مشكّل بوساطة تلك اللّغات، لأنّ اللّسانيات تعالج التّغيّرات والاختلافات التي تطرأ على اللّغات (اختلاف الوضعية الوصفية والتّاريخية)، في حين استبعدت الباحثة وجود علاقة بين اللّغة والتّخصّصات الأخرى، وذلك في جانب من جوانب أخرى في معالجتها اللّغة خاصّة في إطار المفهوم الخاصّ بأنّ تعدّد اللّغات يبدو بحسب رأيها ظاهرة غير أساسية بحسب اللّسانيات الشّمولية (لسانيات تشومسكي وشومان ونحو مونتاغ)، والتي تختلف نوعاً ما عن اللّسانيات العامّة، فهي تتقابل حيناً وتتعارض حيناً آخر، وبالتّالي من الأهمية طرح السّؤال: هل هناك علم معرفي؟ ومن هنا أجابت الباحثة من خلال عرض نشأة هذا العلم وتطوّره، إذ أكّدت أنّ البداية كانت من خلال التّوظيف الأمريكي لهذا المصطلح في مجلّة العلوم المعرفية. Science cognitive، أو ما وظّفه جاردنر Gardner في 1985م¹. (The minds new science)، والفضل في نشأتها يرجع إلى تيارين أمريكيين أولهما التّيار السلوكي في إطار النّموذج الكلاسيكي للّقوة المعرفية cognitivisme، وثانيهما تيار النّحو المعرفي الذي يستند على نموذج آخر يوصف بالبنائي أو النزعة البنائية (constuctisme).

وقد طرحت الباحثة سؤالاً جوهرياً يحتاج مزيداً من المعرفة والتّحليل ومفاده معرفة ما إذا كان هناك فعلاً لّسانيات معرفية من عدمها " هل توجد لّسانيات معرفية؟ " وعلى إثر طرحها هذا السّؤال التي حاولت الإجابة عنه من خلال الوقوف على أهمّ التّحديدات المهمّة لهذا المفهوم من النّاحية المعرفية - النّظريّة - ثانياً، متابعتها جملة الأسئلة المطروحة في هذا المجال: وهو مدى اعتبار أنّ هذه اللّسانيات المعرفية لّسانيات بحدّ ذاتها، أو بالأحرى كما ذكرت: هل كلّ لّسانيات لّسانيات معرفية؟، لتتوصّل نهاية المطاف لهذا السّؤال والإجابة عنه من خلال تقديم اللّسانيات التي يّقال عنها أنّها لّسانيات معرفية بصورة مبسّطة حول نشأتها وموضوعاتها

¹ - نفسه، ص 28.

والمرجعيات التي قامت على أساسها، وقد اهتم العديد من العلماء بهذا الموضوع بالتّطرق إليه بكل حيثياته.

وكان أهم ما قنّمته الباحثة من مفهوم للعلوم المعرفية تعريف "لازارد"، حيث عرفها: "تلك العلوم التي يكمن هدفها في المظاهر المختلفة للنشاط الحسي والذهني، والتي يتعرّف الإنسان من خلالها على العالم الذي يحيط به، نجعل في هذا الإطار علم النفس، والذكاء الاصطناعي، وفلسفة الذهن، ..."¹

كما أن "لازارد" أورد رأيه في اللسانيات المعرفية: "ندمج عادة اللسانيات، وهو أمر وارد باعتقادنا أن الفكر الإدراكي مرتبط باللاغة، وإن كنا واعين بخصوصية الظواهر اللغوية، فإتّا ننظر إليه كعلم مقرون، ولكن متميّز، وفي كلتا الحالتين يبقى مفهوم اللسانيات المعرفية غامضاً؛ فالحالة الأولى² تعتبر أن أية لسانيات هي لسانيات معرفية، أما الحالة الثانية فتفترض أنه لا توجد أية لسانيات معرفية.

وعلى أساس هذا الطّرح أورد "لازارد" إشكالية مفادها: هل للسانيات المعرفية من معنى وهل هي مبررة نظرياً؟ وكإجابة عن ذلك فإنه يرى -بحسب ما ذهب إليه حمّو الحاج ذهبية- أن الجانب المعرفي أصبح من صميم الموضة، فاللسانيات المعرفية ليست تيّاراً موحّداً ولكنها تشمل عدّة تيّارات متضاربة، والتي ذكرتها الباحثة آنفاً.

وبمفهوم كاترين فوك (2004م) لشروط تطوّر وبروز ما ينطوي تحت مصطلح اللسانيات المعرفية يسمح لثارة هذا التّنوع، من خلال ما تطرّقت إليه كاترين طرحت الباحثة سؤالاً آخر: "هل كلّ لسانيات هي لسانيات معرفية؟"³.

¹ - Le Moigne, J.L., « Genèse de quelques nouvelles sciences: de l'intelligence artificielle aux sciences de la cognition », In Le Moigne, J.L., Editions Mécanismes de l'intelligence, intelligence des mécanismes, Fayard, Paris 1986, P239.

² - ينظر: مقّمة في اللسانيات المعرفية، ص29.

³ - مقّمة في اللسانيات المعرفية، ص37.

وجوابها في ذلك؛ أن كلّ علم وموضوع يتعلّق بدراسة العلاقات بين الشّكل والمعنى باستثناء النظريّات التي تقوم على المنهج البيهافوريّ التي ترفض كلّ ظواهر المعنى من مجال دراستها، فهي دراسات لسانية لها الحقّ في تسميتها بالمعرفية.

وفي هذا الصّدّد بحسب رأيها يقول آندلر Andler: "إنّ مقارنة (العلوم المعرفية) عن طريق الهدف والإجراء لا تقمّ إلّا مجموع برامج بحث منبثقة من تخصّصات متعدّدة وتتساءل: ما النّور الذي تلعبه من التّخصّصات؟ ومن الذي يبادر بالخطوة العلمية؟ سوف يكون هناك حذف عدّة أشياء (...) وما هو غير متوقّع، وجوب رفض الأعمال المنبثقة من التّخصّصات التي تشكّل ما يدعى: السلوكية المعرفية - اللّسانيات، علم الفّس، الأنثروبولوجية، علم الأعصاب، النّكاء الاصطناعي، المنطق والفلسفة"¹.

أمّا بخصوص نشأة اللّسانيات المعرفية؛ فقد أوردت الباحثة نبذة مختصرةً حولها، إذ أشارت إلى أنّ نشأة اللّسانيات المعرفية في الو.م.أ أتت إلى المنعرج النظري في حالة النّحو المعرفي وإعادة الطّرح في الفرضيات النّحوية التي يُستثنى منها التّيار ما بعد الوظيفي-Nèofonctionnaliste، الذي يشكّل تطوّرًا خاصًا، ومن خلال ذلك نفهم إثبات (lazard) الذي اعتبر اللّسانيات المعرفية عبارة مصطنعة خارج الو.م.أ إن لم يتعرّض لسلطة النّزعة التّوليدية التّحويلية.

وبالعودة إلى السّؤال المركزي الذي طرحه "لازارد"، والذي يمسّ شروط وجود اللّسانيات المعرفية. فأبى نظريّة لسانية تريد أن تصبح معرفيّة بالضرورة ستواجه مشكلةً ومعضلةً، وبهذا يقول "لازارد": "إنّ الصّفة كبيرة: اللّسانيات المعرفية هي اللّسانيات العامّة فقط، أو أنّها تخرج عن ميدان تخصّصها محاولةً إيجاد معلّات خارجية للظواهر اللّسانية الموصوفة أو استنتاج خصوصيات عامّة للدّهن البشري انطلاقاً من الملاحظات، وفي هذه الحالة لن يتعلّق الأمر

¹- Andler, D, «introduction. Calcul et représentation: les sources» in Andler, D, (éditions) introduction aux sciences cognitives, Paris Gallimard, P14-15.

باللّسانيات، لأنّ هذا اللّفظ يحتمل خطراً وهو انحلال اللّسانيات في الجانب المعرفي، وبطريقة أخرى هو تجاهل خصوصيتها"¹.

وترى البلّحة أنّ التّاريخ الرّسمي للتّيار المعرفي يعود إلى سنة 1956م، وما جمعته محاضرات تقوم تشومسكي وهربرت سيمون (عالم الفّس) ومارفين منسكي (مختصّ في الذّكاء الاصطناعي).

تهدف هذه المؤسّسة المتعدّدة لتحديد عمل الذّهن من خلال الملّكات التي يطورها وبالخصوص ملّكة اللّغة.

فالفرضية في الأساس تتمثّل بإمكانية تحديد المعرفة الإنسانية بطريقة الحسابات المطابقة لمعالجة المعلومات التي يستقبلها الإنسان، وبالتالي فاللّسانيات الصّورية وجدت مكانة هامّة في المؤسّسة العامّة للعلوم المعرفية.

فالّظام الكلاسيكي يترأس مؤسّسة تسمّى الإحصاء التّمثيلي الرّمزي، فهو مؤسّس على فكرة الحسابات على الرّموز، وهذه الرّموز تدخل في إطار التّماغ وتمثّل العالم، أمّا الشّاط اللّغوي فيقوم بمعالجة المعلومات باستخدام قواعد تركيبية للتّعامل الرّمزي، وهذا يتبنّى وبطريقة غير مباشرة إلى التّوعة البنائية والتّوعة المعرفية، كما شكّلت نظريّة تشومسكي عدداً من الخيارات الطّريّة والمنهجية؛ فهي خطوة افتراضية استنتاجية (منظور وحداتي على طريقة فودور) تقول أنّ (الملّكة اللّغوية فطرية لأنّها ترتكز على القدرات الخاصّة المنفصلة عن الجانب المعرفي العام، وبحكم إدراك اللّغة باعتبارها وسيلة لنقل المعلومة الخاصّة بالعالم).

- المنظور المعرفي الاحتمالي لتشومسكي: "الفلسفة الذّهنية التي نادى بها تشومسكي هي التّحوّل الجذري للّسانيات التي كانت تسيطر عليها التّوعة البيهافورية، فالأمر لم يكن سهلاً على نعوم تشومسكي لإعادة الطّور في كيفية نشوء اللّغة فوجب عليه العودة إلى الطّرية العقلية، كما ركّزت الباحثة على أعمال تشومسكي حول قواعد التّحويل التي تنطلق من الفّاة،

¹ - Lazard. G, «What are we topologists doing? », P 14.

وهي أساس مفهوم اللسانيات الإحتسابية، وأساس الدراسات التي تستوحي من اللغات الصورية¹.

وهناك وحدات تتميّز بمظاهر آلية لا واعية سريعة متوازية ومستقلة، وذلك مقابل النظام المركزي المتميّز بالوعي، فالعمل الذهني خاضع للتّراتبية في مناقشة المعلومات. كما أشار فودور Jerry Fodor إلى ثلاثة مكونات تشكّل هذه الأنظمة، وما يميّزها استقلال بعضها عن بعض، وهي: "محول الإرسال traducteurs والنظام المحيطي s.pèripèrique والنظام المركزي s.central"².

محول الإرسال يترجم الرسائل إلى لغة، أما النظام المحيطي فهو نظام يقوم بمناقشة ومعالجة المعطيات المدركة من طرف أحد القنوات محول الإرسال فيوجه المعطيات اللسانية إلى أنظمة لسانية ثانوية وأنظمة لسانية فرعية.

أما النظام اللساني فهو نظام مميز ذلك أنه يعالج المعطيات اللسانية بطريقة وضعية. كما يسمح النظام المركزي بتمكين الإنسان من فهم دلالة كلّ المعطيات المتضمنة في الرسالة.

وبالتّالي، الدماغ المركزي يوظف عمليات استدلالية محدّدة تفرضها لإدراك المنطقية والسّياق المتشكّل في الذاكرة.

وفي خلاصة هذه الورقة البحثية توصّلت الباحثة في الأخير إلى عدّة نتائج مهمّة وذلك أنّ للإنسان قدرةً على التّفكير، ممّا يؤتي به إلى صياغة تلك الأفكار والمكتسبات إلى لغة تجعل من الإنسان كائنًا متفردًا عن باقي الكائنات الأخرى، وذلك لتميّزه بالعقل، كما أنّ للغة القدرة على تفسير الوقائع الخارجية والدلالات المختلفة، كما أنّ الباحثة ناقشت جدلية وجوده منذ أزمان سحيقة ألا وهي علاقة اللغة بالفكر، وهذا ما أظهرته من خلال تحدّثها عن معالجة الفلسفة هذا الموضوع وما آل إليه هذا الأخير من تطوّرات بارزة على مستوى الدراسات اللسانية

¹ - مقّمة في اللسانيات المعرفية، ص39.

² - نفسه، ص40.

المعرفية، والذي أقرّ فيها بعض الباحثين أنّ الفكر أسبق من اللغة، وأنّ الفكر يمكن له أن يكون دون لغة، في حين يرى البعض الآخر أنّ اللغة ملازمة للفكر ولا لغة بلا فكر، ولا فكر بلا لغة، فاللغة تشغل حيزًا خاصًا بالعمليات، ولهذا احتلت اللغة مكانة هامة ضمن جميع الدراسات الإنسانية والاجتماعية والعلوم التجريبية، وقد يستشف من خلال عملها هذا أنّ الباحثة كانت بصدد المترجمة والناقلة لهذا العلم المستحدث (العرفنية)، إذ قامت بشرح وتفسير حيثيات هذا العلم بمجمل مفاهيمه، إلى جانب هذا طرحها العديد من الأسئلة ومناقشتها مجموعة التساؤلات التي شغلت العديد من الباحثين اللسانيين حول قضية تلقّي العلوم المعرفية عموماً، واللسانيات المعرفية خصوصاً في الدرس اللساني العربي ويمكننا القول إنّ هذا المقال قد شرح كيفية وحيثيات هذا التلقّي.

- سادساً: وفي عمل آخر يخص دراسة متعلّقة بالمزج المفهومي ودوره في بلورة المعاني المجازية للأستاذة سلمى شويط عن جامعة جيجل - الجزائر:-

قامت بدراسة تطبيقية على بعض الاستعمالات العربية وذلك من خلال تقسيمها ورقتها البحثية إلى جانب نظريّ يتخلّله الجانب التّطبيقي، وقسم آخر خصّته بنماذج تحليلية بصفة انتقائية اختيارية بطريقة عشوائية دون تعيين خاص.

وفي هذا الصّد مهّدت الباحثة لموضوعها بمقّمة تكلمت فيها عن تأسّس المزج المفهومي في النّظرية العرفنية في الدرس اللساني العرفني القائمة بذاتها، وذلك لانفتاح الدرس اللساني على العلوم الأخرى من جهة، والتّطور العلمي والمعرفي الذي مسّ الدرس اللّغويّ من جهة أخرى، وما للسانيات تشومسكي من دور فاعل في بروز هذا العلم الفتّي.

إلى جانب هذا عرضت الباحثة فكرة تطوّر اللسانيات العرفنية بحدّ ذاتها كمرتکز انبثقت منه مجموعة من النّظريات التي مّوّت مسارها المنطلق أساساً من الأفضية الذهنية ودورها في التّمثيل اللّغوي وإسقاطاته، إضافة إلى الفكرة الأساسية التي تتّميّز بها اللسانيات العرفانية والمتمثّلة بـ: "العقل المجدّد" والتي تمثّل حسب رأيها التّجربة اللّغوية من المنظور العرفاني وقد

أشارت إلى أن ملاكة المزج المفهومي من النظريات العرفنية الأساسية، والتي تتطلق وترتبط بنظرية الأفضية الذهنية.

خصّصت الباحثة مفهوماً خاصاً بالمزج المفهومي على أنه نظرية عرفنية تسعى إلى التفسير التمثيلي للمعاني المتولدة من ذلك لتربط ما بين صيغتين مختلفتين؛ أي تقوم بتفسير المعنى المجازي المولد عن المعنى الحقيقي.

وقد أوردت الباحثة تعريفاً للسانيات المعرفية كما سمّتها، وذلك مقابلاً لمصطلح (العرفنية)، وقد عنّتها باكورة التطورات التي مسّت الدرس اللساني بشكل عام، والدلالي بشكل خاص خاصة من خلال الاشتغال على اللغة وما يتطلبه التفسير العقلي، أو الذهني، أو حتّى الإدراكي منه، إذ أن هذا العلم يخصّ دراسة كيفية اشتغال العقل في محاولته فهم وكشف سماته وطريقه عمله، والوقوف عند ذلك الإبداع الذي تحدّثه تلك المنظومة التّواصلية من خلال اللغة. حدّدت الباحثة تعريفاً للدراسة اللغوية العرفنية: "دراسة الفكر البشري بكلّ أشكاله من القواعد العصبية البيولوجية إلى الحالات العقلية الواعية"¹.

وتهدف هذه الدراسة لمحاولة تفسير ذلك الشّاط العقلي الداخلي المتحكّم في المظهر الخارجي ككلّ، وقد ولدت العلوم المعرفية أواسط الخمسينيات، وقد اندرج تحت ظهورها وسط تصوّر عقلي يتميّز بحسب ما ذهب إليه الباحثة إلى ظهور الحاسب والنّكاء الاصطناعي ومقاربة نفسية جديدة تتناول وظيفة الدّهن أو العقل الإنساني².

وفي سياق ذاته تحدّثت عن علاقة اللسانيات العرفنية بالنّكاء الاصطناعي ومفهومه إلى ما يرمي إليه موضحةً جملة الاختلافات المصطلحية في تسمية اللسانيات المعرفية أو العرفانية أو العرفنية مشيرةً أنّها مجرد تسميات متعدّدة لتعدّد الاختلاف في ترجمة المقابل الأجنبي لها،

¹ - المنجي القلّفاط - الصّر والخطاب في المباحث العرفانية، أعمال الدّوة الدّولية الثّانية-المعهد العالي للآغات جامعة قابس، تونس، دار كنوز المعرفة للنّشر والتّوزيع، عمّان، الطّبعة الاولى 1439هـ/2008م، ص05.

² - ينظر: جان فرانسوا دورتييه، معجم العلوم الإنسانية، جورج كنورة بيروت، مجد المؤسّسة الجامعة للنّشر والتّوزيع، ط2، 1432هـ/2011م، ص259.

خاصّة وأنّ تطوّرها زامن التّطوّر التقني لعوالم الحواسيب، وقد أوصلت هذه المقاربة الجديدة والتي تطرّقت فيها لدراسة العقل الإنساني إلى بعث إشكالية رئيسة طرحتها الباحثة على شكل سؤال مهمّ: هل يمكن مقارنة الفكر مع إجراء حسابي؟¹.

فانطلقت من فكرة مفادها حداثة هذا العلم — المنظور اللساني الهجين — لا ينفي تاريخها الطويل الذي يمتدّ إلى فلسفة أرسطو، والذي يتميّز بالتّشعب العلائقي مع الميادين الأخرى المختلفة وتمتدّ نشأتها:

مروراً بجهود القرن 19 م في الدّلائيات الرومانية، ولحياء الاهتمام بالبلاغة والوظائف الاجتماعية للاستعارة والدّهن خلال القرن العشرين، وهي تغطّي الآن معظم الأرضية التي تغطّيها اللسانيات العامّة وتركّز الباحثة على المجالات التي يشغل عليها هذا العلم انطلاقاً من الأعمال الفونولوجية وصولاً إلى التّداوليات عبر التّركيب والدّلائيات...، وهي ترتبط بالتراسات الأدبية لدراسة الدّهن الأدبي، وترى الباحثة أنّ "اللسانيات العرفنية دراسة ترتبط بعلم النفس العصبي لدراسة الدّهن المجسّد، أيضاً ترتبط بعلم الاجتماع بدراسة التّفاعّل بين العقل واللّغة"².

كلّ هذه المسوّغات بحسب رأيها أدّت إلى بروز هذا العلم الجديد-اللسانيات العرفنية- وفي هذا الإطار نوهت الباحثة على أنّ تسمية اللسانيات العرفنية قد تطلق على تيّار أو حركة أو عدد من النظريات التي تشترك في الأسس والمنطلقات، وتختلف وتتّوّع وتتداخل في بنائها ومشاكلها وتوجّهاتها ومجالاتها التي تعني وتدعّى بها³.

¹ - نفسه، ص 661.

² - بريجيت نرليش ودافيد كلارك، تر: حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات الإدراكية وتاريخ اللسانيات، مجلّة أنساق، قطر: كلّية الآداب والعلوم، قسم اللّغة العربية، ع1، مايو 2017م، ص 285.

³ - ينظر: نظريات لسانية عرفنية، ص 242.

وقد عرّفها الباحثة أنها "أفق تنظيري منفتح المعالم على العلوم الأخرى والتي تخدمها في ذات الانشغال، فهي نوعٌ من الدراسة العلمية المنتظمة للألسن البشرية من خلال الوحدات والترتيبات المسؤولة عن تنظيم العملية الإدراكية"¹.

وبالتالي دائماً وفق رأي الباحثة، فاللسانيات العرفنية تعدّ "سابقة علمية تستند على العمليات اللغوية داخل العقل الإنساني عبر ملكات عرفنية كالإدراك، التذكر، التصوير العمل، التجسد وتمثيل البيئة والسياق"².

ومن ناحية أخرى فإن "اللسانيات العرفنية تهتمّ بالوصف أو التوصيف لتلك العمليات الداخلية، ووصف قدرات الدماغ البشري كالمقولة والتعبير باللغة والاستدلال والإدراك، وعلى تفسير أسبابها وكيفية اشتغالها"³.

هذا الاهتمام ينصبّ في عملية تفسير نظام اشتغال الوظيفة اللغوية من خلال هذا المنظور العرفني -المعرفي-

تطرّقت الباحثة في عملها لمقّمة عن نظرية المزج، وذلك بعدها نظرية مستجّة في الدرس اللساني العرفني، وبالخصوص بالجانب الدلالي منه، ذكرت الباحثة أهمّ عامل تقوم عليه النظرية وهو العامل أو الفضاء الاستعاري أو المجازي الذي يتمّ من خلاله المزج الدلالي بين تصوّر وتصور آخر، إنّ هذه النظرية امتداد لنظرية الأفضية الذهنية التي تحاول بدورها تبين الطريقة الذكية التي يتمّ بها الدماغ من خلال توليده المعاني اللغوية انطلاقاً من فضاء ذهني محدد، ويعدّ فوكانياي وتورنر 1994-1998⁴ واضعيها.

حدّدت الباحثة بعضاً من تسمياتها على النحو الآتي:

¹ عبد الكريم جيدور، اللسانيات العرفنية ومشكلات تعلّم اللغات، مجلّة العلامة، جامعة ورقلة، ع02، ص303.

² نظريات لسانية عرفنية، ص242.

³ جليلة حوّد، المعنى وآليات مقولته في اللغة العربية -مقاربة دلالية عرفانية- الدار التونسية للكتاب، ط1، 2017م، ص15.

⁴ نظريات لسانية عرفنية، ص223.

نظرية المزج، نظرية المزج المفهومي، نظرية الإدماج المفهومي، وهي مقابلات للمصطلح الأجنبي الأم Belanding theory، وبحسب رأيها فإنها تسمية لمفهوم غربي فحواه أنها نظرية تعمل على الارتكان على الدلالات ذات المستوى المولّد من المستويين الدلاليين السابقين قد يتمّيزان بالبعد الدلالي، إلا أنّ العقل الإنساني يقوم بالمزج التّصوّري بينهما وذلك لوجود ضرورة أتت إلى ذلك الإدماج الدلالي، هذه الضرورة قربت الباحثة مفهومها لما يوجد أو يعرّ عنه علماء العرب في الدرس البلاغي بالقرينة.

وترى الباحثة في المقام نفسه أنّ عملية المزج عملية عرفانية تلقائية يقوم بها كلّ فرد بصفة لا واعية - لا شعورية - ولكن ما يدلّ عنها هو ذلك الإنجاز الفردي من الكلام وطريقة تفكيره وكما ذكرنا سابقاً في هذه الحالة تتحدّد طريقة الفهم والإفهام خلال العملية التّواصلية التي تتمّ من خلال اللّغة بعدها وعاءاً للفكر وأحد أهمّ عوامل النّمّو الفكري، فباللّغة ينتقل الفكر من حالة الصّمت (الجمود) والكتمان إلى حيّز الوجود بواسطة ما ينتقيه الإنسان من ألفاظ وتعابير لينقل تجربته وأحاسيسه ومشاعره، وأمّا فيما يخصّ المعاني المولّدة، ففي حقيقة الأمر هي نتاج ما يرتبط بالصّورة الذهنية المكوّنة بحسب تفاعل جسد الإنسان وفق ما يحيط به من وقائع ضمن هذا العالم الواقعي فيكون بذلك كيانات تصوّرية عند تأويل تجربته عن طريق عمليات ذهنية فطرية معقّدة تضمن له عملية الفهم والإدراك للتّواصل¹.

وبحسب ما ذهب إليه الباحثة فإنّ تمظهر هذه التّظريّة يتمّ وفق صيغتين، فالصيغة الأولى تدخل فيه التّظريّة في المجال الإبداعي؛ إذ تدمج العلاقات الدلالية في فضاءات مختلفة وتعقد الوشائج بينها في قالب تعبيرية يعرّ عن موقف المبدع وما يريد إيصاله فيحدث الدهشة ويستميل بها أذن السّامع، وهذا ما يشبه إلى حدّ ما الانزياح عند "ريفاتير" يكون خرقاً للقواعد

¹ يُنظر: بوشعيب راغين، البنى التّصوّرية والأسانديات المعرفية في القرآن الكريم جدار للكتاب العالمي الأردن، عمّان، ط1،

حيناً، ولجوءاً إلى ما ندرك حيناً آخر، فأما في حالته الأولى فهو من "مشمولات علم البلاغة، فيقتضي إذا تقييماً بالاعتماد على أحكام معيارية"¹.

ولكن يحدث ذلك الخرق بحسب هذه النظرية على مستوى اللماغ فيختار المبدع بطريقة مزجية بين مجال ومجال آخر مجالاً ثالثاً يتميّز بروح الإبداع، وقد عقدت الباحثة مثلاً على ذلك من خلال قول الشاعر أحمد شوقي حينما رثى مصطفى باشا فهمي: في شخصه.

لو أخرت في العيش بعدك ساعة *** لبكت عليك بمدمع الخنساء

فالمجال الأول هاهنا: رثاء شخص مصطفى باشا والمجال الثاني: رثاء الخنساء أختها والفضاء الجامع (المجال المزجي) بينهما هذه الكتابة الإبداعية لهاتين الصيغتين على نحو:

- السلم ← محدثا الفعل ← الخنساء
 - رثاء السلم ← أساس النقل ← رثاء الخنساء
 - مصطفى باشا ← رابط النقل ← رثاء صخر
 - حقيقة مجازية ← طبيعة النقل ← حقيقة تاريخية
- ﴿ مسوغ النقل هو شدة الفجيرة ﴾

أما الصيغة الثانية التي أدرجتها الباحثة فمتعلقة بالاستعمالات اللغوية التي تثري كلّ مرة المعجم من خلال كلّ استعمال جديد للألفاظ والتعابير، فهناك ألفاظ تجمع وتمزج بين صورتين حسية وصورة معنوية، وقد تمزج بين صورتين حسيتين مختلفتين كالصوت والصورة ومثال ذلك: حينما نقول: رفع عقيرته، فهي تدلّ على رفع الصوت والصياح، وهذا هو المتداول من معناها لوفي جانب آخر من حيث التأصيل التاريخي اللغوي للفظة فهي رفع موضع الألم مع الصياح، ورفع الصوت فنقول: رفع عقيرته، وبالتّالي دمجنا الصوت مع الصورة، وقد تتخذ هذه النظرية عدّة صور أخرى على سبيل المجاز.

¹ - عبد السلام المستني، الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، ط3، ص103.

تبلورت نظرية المزج الدلالي من خلال عدة مؤلفات، من بينها كتاب الاستعارة التي نحيا بها لجورج لايكوف ومارك جونسون، والذي ينطلق من التأسيس الدلالي وفق المقاربة العرفية، ومفاد هذا التيار بلورة نموذج معرفي عام يحاول مقارنة كيفية حصول المعاني وما يحفزها انطلاقاً من خصوصيات الإدراك البشري وعوامل التجربة التي تفعل فيه، ويستند هذا التيار على مركزية البعد المعرفي عند البشر في قيام المعاني اللغوية وتأويلها...؛ أي إسناد المعنى إلى شيء ما؛ أي إدراكه، بحيث يصبح الإدراك مرادفاً لإسناد المعنى وقيامه¹.

وبالتالي، فإن هذا التيار يراهن على النموذج يراعى فيه الإدراك كملزم لإنتاج المعاني وإسنادها إلى الأشياء وفق ما تمليه التجربة الإنسانية وانفعال البشر مع ما يحيطه من معان ومرادفات واقعية، ولما له من إسقاطات في الفضاء الذهني لدى العقل البشري.

وعليه؛ " فإنّ الدلالات التي ننتجها بواسطة الاستعارات ليست ذات صيغة أدبية تعتدّ بالإبداع بقدر ما هي دلالات نستعملها في حياتنا اليومية بالشكل الذي نحيا به، فالتواصل الإنساني الكلامي إنما يكون من خلال الاستعارات المتداولة في لغة من اللغات الخاصة بمجتمع لغوي معيّن، ولهذا من الملاحظ أنّ الاستعارة دائماً حاضرةٌ ولها وجود فعليّ في كلّ مجالات الحياة اليومية"².

ومن هنا يمكن القول أنّ قضية المزج الدلالي وقضية الاستعارة قضيتان متناقضتان (انعكاسيتان) لما يتطلبه التفكير الدلالي والاستعمال اللغوي، مرتباً كيفية تفاعل اللماغ أو الذهن من الداخل بمجمل عملياته المختلفة، فكلّ قضية ضرورة عقلية محضة كما ذكرت الباحثة سابقاً، وكلّ من هاتين القضيتين يدور في فلك الطرح العرفي.

وانطلاقاً مما سبق خلصت الباحثة إلى العلاقة التي تجمع بين نظرية المزج والمجاز على أنّها علاقة غير مباشرة، إذ ظاهرياً لا يبدو أنّهما على علاقة فعلية وذلك باعتبار أنّ نظرية

¹ - ينظر: تر: عبد المجيد جحفة، الاستعارات التي نحيا بها، ص5.

² - نفسه، ص21.

المزج تمزج بين فضائين لتصل إلى فضاء ثالث هو الفضاء المزيج، وما يربط هذا الأخير بالفضائين الآخرين الأبعاد السببية (العالية) وأدوار المشتركين والانتظام الزماني والهوية.

كما بينت الباحثة في المثال السابق ما لهذه الأبعاد من دور في توليد الفضاء الممزوج¹. أما قضية المجاز (المعنى المجازي) فهو المعنى المضمر من الكلمة وبالتالي لا يُعدّ المعنى الحرفي للكلام وإنما المعاني المستخلصة من مجموعة الاستعمالات البلاغية: "كالمحسنات البديعية، الاستعارات، الكنايات، والأشكال البلاغية الأخرى"².

ومن هنا يتعنى الفرق بين نظرية المزج والتي تُعنى بتقديم التفسير للعملية التي يقوم من خلالها العقل البشري باستحداث المعاني بواسطة آلية الربط داخل الذهن، أما المجاز فهو المعنى المستحدث والمضمر لا المعنى الحرفي للكلام المنتج، ولكن ما يبرر العلاقة غير المباشرة بينهما هو أن المجاز أو باصطلاح آخر الاستعارة ضرورة عقلية محضة قائمة على مزج فضائين حقيقيين أو غير ذلك مختلفين في الأصل، وهذا المزج والربط قائم على أساس شرط المناسبة، في حين أن المزج في المقاربة العرفنية يقوم على الأسس العرفنية التي تمكن الذهن من مقولة عدد غير محدود من الخطابات تحت عدد محدود من الخطابات، تحت عدد محدود من المقولات الدلالية، وذلك باعتماد فكرة البنية الكبرى.

وعليه، فإنّ الدلائل المنتجة من خلال هذا المزج قائمة على البعد المجازي أو الاستعاري أو غير الحقيقي أساسا في بنائه للمعاني بعيداً عن اعتبار المجاز، هاهنا شكل من الأشكال البلاغية أو نوع من أنواعها، بل هو ذلك التّجاوز العقلي باللاّغة إلى لغة مخالفة قائمة على مواضعة مضاعفة³.

¹ يُنظر: لسانيات عرفنية، ص225.

² -سمير حجازي، المتقن، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة، دار الراتب الجامعة، بيروت، ط1، 2004م، ص461.

³ - يُنظر: سلمى شويط، المزج المفهومي ودوره في بلورة المعاني المجازية، دراسة تطبيقية على بعض من الاستعمالات العربية، ألفا للوثائق، ع32، ص148.

وبعد هذه المفاهيم النظرية والتأسيسية لمفهوم العرفانية واللسانيات العرفنية، وأيضاً نظرية المزج الدلالي (المزج المفهومي) وما له من علاقة مع المجاز عملت الباحثة سلمى شويط على مجموعة من نماذج تحليلية اختارتها بطريقة انتقائية وهي عناوين قصص وروايات مختلفة: أولاً: تكلمت عن عنوان قصة قصيرة " رجال بلا شمس "، وهي قصة ضمن مجموعة قصصية " الورد والرماد"، موضحة العلاقة الجامعة بين المفهوم الحرفي للعنوان والمفهوم المجازي (الاستعاري) لها من خلال المزج بين فضائين ليتولد فضاء له المعنى الحرفي، وهو انتقاء الشمس عن الرجال.

الرجال ≠ الشمس ← لا وجود للشمس مع وجود الرجال
ثم بينت الفضاءين:

- الفضاء الأول = حقيقة الجنس البشري (الرجال)
- الفضاء الثاني = حقيقة لغوية غير طبيعية (انعدام الشمس)
- الفضاء المزيج = (الفضاء الثالث المولد): وهي دلالة مجازية قائمة على المزج ← (وهم الرجال المسجونون).

أما بالنسبة للعنوان الآخر لقصة: طعم القصة ورائحة المطر، عنوان بحسب تحليلها لا يحمل معنى صريحاً وإنما معنى ضمني كونه الأشكال البلاغية فأعطت دلالة مستحدثة من دلالات مجازية فانزاحت عن تعبيرها الحقيقي: فالقصة في الواقع لا تؤكل ولا طعماً حقيقياً لها، ولا للمطر رائحة في ذاته، ولعلّه عند دث الرهام على الثرى تحدث الرائحة، وعندما نعيش القصة بحذاقها نستطعم كل حرف منها على سبيل المجاز.

انتقلت الباحثة إلى عنوان جديد، وهو عنوان رواية: دعاء الكروان للأديب "نجيب محفوظ" وهي سرد للواقع الاجتماعي المصري بطلته "آمنة" وقد حلتها الباحثة بالشكل الآتي:

- فضاء أولي = الكروان = الطائر المغرد صاحب الصوت الجميل.
- فضاء ثاني = الدعاء = الابتهاال الروحاني ما بين العبد وربّه.
- الفضاء المزجي = دلالة مزجية الشكوى لا تكون إلا للمولى عز وجلّ.

وجه المناسبة المزجية = قائم على أساس حقيقة مفادها أن هذا الطائر عندما يغرد كأنه يقول: الملك لك يا صاحب الملك على لسان من يفقه لغة الطير.

أما عن اختيارها رواية " البحث عن الزمن المفقود " للكاتب الفرنسي " مارسيل بروست"، هذا العنوان الذي عالجت به الباحثة من الناحية الدلالية المفهومية له؛ إذ لاحظت ذلك الانتحاء بالدلالة نحو عوالم الماضي المفقودة مع أن لفظها الزمني "البحث" له دلالات زمنية في الزمن الحاضر، فهناك دلالات زمنية ضمنية في العنوان "متفاوتة ومختلفة " ما بين الحاضر والماضي"، وهي دلالات تحيل على احياءات مختلفة: كالضياع الذي يعيشه ويتعايش الكاتب معه، وذلك من خلال ما استحضره من ذكريات قديمة في عمله.

- الفضاء الأول: الزمن المفقود ← الماضي.

- الفضاء الثاني = البحث ← الحاضر.

الفضاء المزجي = ارجاء لحظة قديمة (ذكرى معينة) في لحظة زمنية ضمن الحاضر في آنية الاسترجاع ← عيش الماضي في الحاضر بذاته.

وهذا ما أكسب عنوان الرواية جمالية وعمقا دلاليا وصبغة إبداعية.

ثم انتقلت في تحليلها إلى آخر رواية منتقاة من طرفها:

رواية "كراف" للخطايا" للأديب "عيسى لحيلح" كراف الخطايا رواية تتحدث عن واقع معيشي في مرحلة من المراحل التاريخية الجزائرية، فدلالة كراف الحرفية (اللغوية): هي "الزهمة" وتعني دلالة الشم لما فيه من قذارة وكراهة الرائحة.

- الفضاء الثاني = الخطايا = مفردة خطيئة ودلالاتها ما عظم من ذنب.

وبين فضاء الكراف وفضاء الخطايا يتولد لنا فضاء مزجي من خلال الربط بين الأبعاد الدلالية لكلا الفضاءين فينتج عنه معنى مجازي (استعاري) دلالي مفهومي لمعنيين مجازيين.

- أولها: دلالة مجازية لمفهوم القذارة المادية.

- ثانيهما: دلالة مجازية لمفهوم القذارة المعنوية.

ومنهما تولدت دلالة إبداعية تسقط بظلالها على حقيقة السرد الأدبي المصور في العمل الأدبي.

وقد نستشف من دلالة العنوان: دلالة مزجية مجازية تدلّ أن الخطيئة لها رائحة قذرة لذبوعها وشيوعها فكلّما شاعت الخطايا والذنوب في مجتمع معيّن انتشرت رائحتها الكريهة وهذا ما يتناسب مع دلالة الشمّ فلا يوجد شمّ دون انتشار رائحة ولا تعرف الخطيئة إلاّ بذبوعها ولا تنتشر الخطيئة إلاّ بالتعود والاستمرار على ارتكابها، وهذا ما يبرر العلاقة المزجية بين الفضائين الكراف والخطايا، والفضاء المزيج المتولد عنهما.

وفي الختام، وخلاصة ما توصلت إليه الباحثة في هذه الدراسة أنّ نظرية المزج نظرية دلالية في اللسانيات العرفنية قد تصلح للاستعمال اللغوي العربي، إلى جانب أهمّ النتائج التي تعرّضت إليها في الجانب النظري، يمكننا القول إنّ الباحثة في هذا المقام، ومن خلال ورقتها البحثية كانت بمثابة الناقلة والشارحة لنظرية عرفنية من بين مجموعة النظريات اللسانية العرفنية الغربية الحديثة محاولة تطبيقها على نماذج لغوية عربية، مطبقة نظرية المزج الدلالي على النصوص الشعرية خاصّة الرمزية منها لتستخرج طبيعة المعالقات ما بين الدلالات، وقد وفّقت إلى حدّ ما إن جاز لنا القول خاصّة وأنّ اللغة العربية ذات خصيصة بلاغية، استعارية، مجازية، حمالة لعدد كبير من المعاني والدلالات، سواء الحرفية أو المضمرّة منها، ممّا قد يجعلها مناسبة إلى حدّ كبير لما جاءت به هذه النظرية من آليات يمكن لها أن تطّبق على بنياتها الخطابية المختلفة.

- سابعاً: وفي مقال موالٍ للأستاذة جعفري عواطف الموسوم: "الاستعارة في نماذج من نصوص شعرية -مقاربة عرفانية- جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر.

قامت الباحثة ورقة بحثية استهدّتها بمفهوم البلاغة الجديد الذي اكتسبته بعد التطّور العلمي الحاصل على مستوى الدراسات اللسانية المعاصرة، إذ لم تعد البلاغة مجرد أسلوب للزخرفة والتزيين، ولا أقيسة يحكمها منطق جامد يكرّر التقاسيم والشروح نفسها...، بل أصبحت

إجراءً عملياً يحتل مكانة جوهرية في العملية الإبداعية، وبوصفها فناً للإقناع والفهم وأداة للإدراك والإمتاع...، وقد أشارت إلى ما انبثق من هذه الثورات اللسانية المعاصرة من دراسات لسانية مختلفة الاتجاهات والرؤى والتصورات منوّهةً بالثورة العرفانية مختارةً مصطلح اللسانيات العرفانية مقابلًا للمصطلح الأجنبي science cognitives معرفة إياها أنها:

"دراسة مرتبطة بالذهن في مستوى معالجته مختلف الأنشطة البشرية، ولذلك فإنها تكون مندمجة مع القدرات الذهنية الأخرى للبشر"¹.

وقد أطلقت الباحثة حكماً مطلقاً نوعاً ما حين علّت أبرز ما يميّز حضور اللسانيات العرفانية الاستعارة مبحثاً مستقلاً عن مفهومه القديم، والذي يتجلى في كونه قضية لغوية أدواتها الزخرفة البلاغية والخيال الشعري، بل هي أداة ذهنية تصوّرية، والتي يسميها كلٌّ من مؤسسيها جورج لا يكون ومارك جونسون في كتابهما "الاستعارات التي نحيا بها باسم: الاستعارة التّصوّرية، والبعض الآخر من العرفانيين يسميها: الاستعارة المفهومية وهي تسميات لمقابل أجنبي وترجمة عربية Conceptuel Métaphore.

وعلى سبيل المثال لا الحصر ذكرت الباحثة ترجمة الدكتور المغربي عبد المجيد جحفة الذي قام بترجمة كتاب كلٌّ من لا يكوف وجونسون، والتي اعتبرت أنّ أهم ما جاء فيه أنّ الفنّ التّصوّري الذي يحركه تفكيرنا وسلوكنا ذو طبيعة استعارية، ثم أرجأت الباحثة سبب رغبتها لهذه الدراسة للنظرية: "الاستعارة التّصوّرية" هو إغفال الأساليب التي تحمل في طياتها شذرات بلاغية وأسلوبية على لسان النّاس العاديين من طرف أبحاث عربية قديمة كانت أم معاصرة.

فعلى غرار ما انتبه إليه العرب القدماء من دراسات لغوية بجوانبها الجمالية والأسلوبية والبلاغية من كلام العرب ونبوغ شعرائها، إلّا أنّ البلاغيين والأسلوبيين الغربيين فترى الباحثة أنّهم قد ركّزوا في جلّ دراساتهم حول الاستعارة في التّراثيم البلاغية على اعتبار أنّها أميرة

¹ - توفيق قريرة، الشعريّة العرفانية مفاهيم وتطبيقات على نصوص شعريّة قديمة وحديثة، دار نهى للطباعة، صفاقس تونس، ط1، 2005م، ص15.

الوجوه البلاغية¹، إلا أنهم لم يتفطنوا إلى أنها أداة معرفية تشتغل على مستوى العقل الإنساني، والتي تحكمها تلك المنظومة التصورية؛ إذ تعمل على تنظيم الموجودات والأشياء المحيطة به، ناهيك عن استعمالها اللغوي العادي والإبداع الذي تمثله كمرکز هام في النظرية الدلالية العرفانية في إدراك المعنى، إذ أنها ليست موضوعاً للتفكير فقط، وإنما أداة له وآلية من آلياته². وعلى هذا الأساس، كانت هذه الورقة البحثية دراسة حاولت فيها الباحثة الوقوف على مواطن الاختلاف بينها وبين المفهوم التقليدي السائد منذ أزمنة غابرة من جهة، وكيف أنها أصبحت وسيلة لتحليل الخطاب، وآلية لإنتاج المعنى والمعرفة، ومنهجاً لتفسير القوانين التي ينتج بواسطتها الذهن البشري الصور الذهنية وتمثلاته عن المدركات من جهة أخرى³.

وبالتالي أرادت الباحثة الإجابة عن أسئلة جوهرية من خلال الوقوف على المقصود من اللسانيات العرفانية كتيار لساني مستحدث، والمفهوم الجديد الذي أضافته اللسانيات العرفانية للاستعارة وكيفية اشتغالها في مجموعة من نصوص شعرية انتقتها الباحثة في ظل التصور العرفني.

ومن هنا ذهبت الباحثة إلى "أن المفهوم الشائع للعرفان Cognition على أنه قدرة ذهنية تعمل على معالجة المعلومات، والتي تنسب إلى العلوم المكناة العلوم العرفانية، والتي تعدّها حقلاً لسانياً يمتاز بطابعه المتعدد التخصصات، تسعى من أجل دراسة الذهن البشري في جميع مظاهره، إلى جانب هذا فإنها تقوم بدراسة الذكاء بصفة عامة، والذكاء البشري وأرضيته البيولوجية التي تحمله وتُعنى بمنولته، وتبحث في تجلياته النفسية واللغوية والأنثروبولوجية من جهة أخرى"⁴.

¹ - ينظر: بنيات المشابهة في اللغة العربية مقارنة معرفية، ص 07.

² - يُنظر: محمد الصالح البوعمراني، الاستعارة التصورية وتحليل الخطاب السياسي، دار كنوز المعرفة لل نشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2005م، ص13.

³ - ينظر: جعفري عواطف، الاستعارة في نماذج من نصوص شعرية، مقارنة عرفانية، جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر، ص181.

⁴ - نظريات لسانية عرفانية، ص15.

وبالنظر إلى هذا المفهوم فإن المقصود من اللسانيات العرفانية حسب نظرها فرعٌ من اللسانيات يحلّل اللّغة على أساس أنّ الملكات اللّغوية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بجميع الملكات المعرفية من الإدراك والمفهمة Conceptualisation.¹ إذ أنّ اللسانيات العرفانية تتبنى على النّظر في العلاقات التفاعلية بين اللّغة البشرية والدّهن والتّجربة المحيطة بالإنسان؛ أي "ما هو من الثقافي والاجتماعي والنفسي والبيئي؟"²، أدرجت الباحثة عنواناً مهماً يوضح مدى اختلاف مفهوم الاستعارة التقليدية عن الاستعارة بمفهومها الجديد وفق التّصوّر العرفاني وهو: "الاستعارة من التّناول الفنّي إلى التّصوّر العرفاني" وقد توصّلت إلى أنّ الفرق الحاصل بينهما -الاستعارة اللّغوية والتّصويرة-، لا يكمن في المفهوم في حدّ ذاته فقط، وإنّما يكمن في اختلاف مبادئهما، فإذا ما رجعنا إلى مفهومهما فإنّ الباحثة قد ذهبت إلى ما ذهب إليه جورج لاكوف في كتابه: "حرب الخليج، الاستعارة التي تقتل"، إذ عدّ الاستعارة مفهوماً لسانياً جديداً بعيداً عن كلّ المفاهيم المألوفة والكلاسيكية، بوصفها أداةً لغوية غايتها الجمالية والمجاز والمحسّنات والابداعية للغة المباشرة (الحرفية)؛ أي الصّريحة وإنّما هي آلية أساسية لتعلّم وبنينة الأنساق التّصويرة وليست طلاءً أسلوبياً اختيارياً، فهي بمثابة صورة المعرفة وتجسيدها ورمزنتها وبناء أسسها.

كما أنّ الاختلاف كما أشارت الباحثة في توضيحها للفروقات يكون في المبادئ المختلفة بينهما، كما هو موضح في الجدول الآتي:

مبادئ الاستعارة اللّغوية (النّظرية الكلاسيكية).	مبادئ الاستعارة التّصويرة (النّظرية العرفانية)

¹ - يُنظر: المقال نفسه، ص184.

² - نفسه، ص184.

الفصل الثالث: — المساهمات البحثية اللسانية العرفية الجزائرية

- ظاهرة لفظية	- البنية التّصوّرية ذات طابع تجسّدي.
- ارتباط الاستعارة بالّغة الشعريّة والبلاغة والتّجميلية (مجالها الشعري وجمالية الأسلوب الفنّي).	- البنية الدّلالية بنية تصوّرية.
- اللّغة الاستعارية منحازة (خارجة عن معايير اللّغة العادية).	- تمثيل معنّى ذو طابع موسوعي.
- قائمة على المشابهة.	- إنشاء المعنى عملية تكوين تصوّري.
- المشابهة موجودة فيها بشكل قبلي مستقلّة عن الإنسان.	

وبهذا الشكل التّوضيحي لأهمّ الفروقات من طرف الباحثة خلصنا من خلاله إلى أنّ البنية الاستعارية في الظّرية العرفانية بنية دلالية تصوّرية تجسّدية، يتمّ فيها تشكّل المعنى وتمثّله.

وفي هذا السّياق عرّجت الباحثة على مفهوم الاستعارة التّصورية (المفاهيم والتّقسيمات) من خلال تعريفات مختلفة "لزولتان كوفسيس" وغيره من الباحثين الذين أجمعوا أنّه عملية فهم لمجال أو ميدان تصوّري عن طريق مجال أو ميدان تصوّري آخر، ويُسَمّى الأول الميدان أو المجال الهدف والميدان أو المجال الثّاني مصدرا، وبينهما يكون هنالك توافقات تصوّرية معيّنة بين المجالين (الميدانين).

وفي الأخير، كتّحصيل حاصل أقرّت الباحثة أنّ الاستعارة التّصورية ظاهرة معرفية يتمّ فيها تمثيل مجال دلالي تصوّري بعبارات مجال آخر، المجال التّصوري الأول هو المجال الهدف والمجال التّصوري الثّاني يُسَمّى "مجال المصدر"¹.

ومن ثَمّة عقدت الباحثة ثلاث أنواع من الاستعارة، وهي: "البنوية والاتّجاهية والانطولوجية"، وهي تحديدات كلّ من "لايكوف وجونسون"، أمّا عن البنوية فالمقصود منها قيام الاستعارة على بنية نسقية تصوّرية مستندة إلى بنية نسقية تصوّرية أخرى، كاستعارة الجدال حرب قامت بنية الجدال على بنية تصوّرية أخرى هي بنية الحرب.

¹ - أحمد بريسول، استعارات الإدراك والحركة، أعمال الدّورة التّولى الأولى الدّرس البلاغي، قضايا معرفية ومقاربات نصّية، مخبر في البلاغة واللّسانيات، كلّية الآداب والعلوم الإنسانية بالجديدة، المملكة المغربية، 25/26 مارس 2015م، ص105.

أما الاتّجاهية: استعارة تقوم على بنية بعض الأنساق اعتماداً على تجربتنا القضائية باعتبارنا كائنات تحدّنا الاتّجاهات كالأعلى، والأسفل، واليمين، واليسار، والمركز والهامش وتجربة الإنسان من تحدّد اتجاه هذه الأنساق التّصورية، فخطاطة العلو والنّو، مثلاً تعتمد على الاتّجاه: (الأسفل/الأعلى)، ومن خلال هذا المفهوم يسقط الغنى على دلالة الفوق والفقر على خطاطة الأسفل، ودلالة الحزن على خطاطة النّو، وفي المقابل تكون دلالة السّعادة مسقطة على خطاطة العلو، إذ نحصل من خلال هذه الإسقاطات على الاستعارة لمفهوم السّعادة في مقابل خطاطة الفوق/واستعارة الشّقاء في مقابل خطاطة التّحت.

وأخيراً، الاستعارة الأنطولوجية وهي التي تقوم فيها الاستعارة على بنية الأنساق المجردة اعتماداً على بنية أنساق شكلية فيزيائية.

بعد هذا العرض النظري للباحثة عملت على الجانب التّطبيقي عن طريق تطرّقها لنماذج من نصوص شعرية منتقاة بصورة عشوائية من طرفها، وقد قامت بتطبيقات الاستعارة التّصورية بأنواعها الثلاث عليها.

فضلاً عن الجانب النظري لأهمّ المفاهيم والمبادئ والأنواع التي قمتها الباحثة في ثقّها الأول من الرّاسة، اهتمّت الباحثة بتطبيق هذه المفاهيم ومقاربتها عرفانياً على النّصوص الشعريّة، وفي ظلّ هذه المقاربة العرفانية ركّزت الباحثة على أهمّ آلية عرفانية كما زعمت وهي آلية الاستعارة بعدّها عنصراً مهماً ومبحثاً أساسياً في النّظرية العرفانية.

حيث انتقلت إلى تطبيق أنواع الاستعارة والتحدّث عنها في ظل مجموعة قصائدية لمجموعة من الشعراء، وهم على التّرتيب: قصيدة "يا ليل الصّب متى غده" للحصري وقصيدة "كلمات سبارتكوس الأخيرة" للشاعر المصري أمل دنقل، ونماذج في شعر محمود درويش، حيث اختارتها من ديوان "لماذا تركت الحصان وحيداً".

واللافت للنّظر أنّ الباحثة خلال دراستها التّطبيقية تؤكّد أنّ الاستعارة التّصورية في السّياق العرفني تقوم على بنية تصوّرية، ومجال عرفني أساسي يتفرّغ عنه عدّة مستويات دلالية

عن طريق الاستعارة التّصورية، وفي حقيقة الأمر تُعدّ تحوّلت تتمّ بواسطة عمليات ذهنية في علاقتها مع اللّغة.

فبالرجوع مثلاً إلى القصيدة الأولى، والتي قاربتها عرفانيا عن طريق الاستعارة النبوية كان تحليلها كالآتي:

القصيدة للحصري: "يا ليل الصّب متى غده؟"

تيمّة القصيدة هي "العشق"، وكان المجال العرفاني الأساسي الذي انطلقت منه مجموعة المحمولات الدلالية المتنوّعة العشق صيد التي بدورها تعدّ مستوى دلاليّ محوّلًا عن طريق عمليات ذهنية تصوّرية، فالعشق هو المجال الهدف، أمّا الصيد المجال المصدر والمقصود هاهنا ليس المعنى الحرفي لكلمة صيد، وأمّا إسقاط استعاري عرفاني لجملة المحمولات الدلالية للكلمة "صيد" وإسقاطها على المحبوبة وكأنّ المحبوبة هي الغزال، والعاشق هو الصّائد، والحبّ هو الصّيد، فالعشق صيد مجال عرفاني مولّد تولدت وتناقلت عنه مجموعة الاستعارات التّصورية الأخرى من العشق عبادة، وخمرة، وحرب، ومن ثمّ فالعشق حبّ والحبّ إما حياة أو موت، ولا تكون الاستعارات إلّا بوجود توافقات لمجموعة المحمولات الدلالية المولّدة، والشاهد من هذه المقاربة العرفنية أنّ الاستعارة في السّياق العرفني تحيل على دلالات واكتشافات جديدة تختلف عن دلالات اللّغة المعهودة، والذي يحدّد محرّكها الأساسي جملة العمليات الذهنية في علاقتها مع اللّغة.

في حين نلاحظ طريقة أخرى في تحليلها قصيدة "أمل دنقل" وهي "كلمات سبارتكوس الأخيرة"، إذ قامت أولاً بتقديم شروحات حول مناسبة القصيدة ثمّ إعرابها عن تيمّة القصيدة وهي تيمّة النّضال، والتي كان يراها عليها سبارتكوس طيلة كلامه، والذي يحدّد الأخير وهو على مشارف الموت، بل حتّى بعد الموت يتكلّم عن حاله ويخاطب البقية من الشعب ويوصيهم بكلمات ذات حمولة دلالية نضالية ومقاومة فيها من روح العزّة والكرامة، إذ طلب منهم عدم الانحناء، والخنوع، والرّضوخ، والاستسلام وضرورة المقاومة، كلّ هذا بكلمات مزجت بين مجالين عرفنيين بينهما توافق دلالي انتقلت من خلاله اللّغة من مستويات عادية إلى مستوى

راقٍ وجمالي من خلال المشابهة بين ميدانين: ميدان المصدر وهو سبارتكوس في حد ذاته، وميدان آخر الهدف المناضل، ومن ثم رصدت الباحثة مجموعةً من الاستعارات التصورية في النص الشعري لأمل دنقل، وكل ما جاء في كلمات سبارتكوس الأخيرة، محصيةً كل المجالات في جدول أسقطت فيه ترسيمة الميدان المصدر سبارتكوس على ترسيمة الميدان الهدف "المناضل"؛ أي ما ينطوي على المناضل من صفات وأعمال ومقاومة ورفض وثورة؛ كلّها دلالات استعيرت وأسقطت على سبارتكوس، ليحمل بذلك سمة المناضل الذي رفض العبودية وثار على القيصر وندد بالحرية وإرادته تحرير رفاقه ونيله العقوبة وموته، وكونه يظل رمزا للحرية والحياة، كل هذه الحملات الدلالية ملازمة للمناضل الذي لا يرضى الرضوخ، ودائما ما يثور على الحكم الجائر ومطالبته بالحرية مطلب أساسي في سبيل الانعتاق، أيضا رهانه الدائم على تحريره المجتمع وقتل السلطان الجائر، إلى جانب هذا فإن المناضل دوما يبقى رمزا للحياة رغم موته، من هنا عملت الباحثة على توضيح هذه الدلالات وعملية الربط والتحويل بين المجالين العرفانيين بطريقة الرصد والإحصاء في جدول ضمهما.

انتقلت بعدها، وكآخر تحليل عرفني للقصيدة الأخيرة التي اختارتها من دراسة الباحث التّونسي "الميلود حاجي في مقاله: "الاستعارة في نماذج من شعر محمود درويش -مقاربة عرفانية- من ديوانه: لماذا تركت الحصان وحيدا" مركزة في تحليلها على نوع آخر من الاستعارة التصورية، وذلك كونها استخدمت الاستعارة النبوية في القصيدتين السابقتين، وهي الاستعارة الاتّجاهية والانطولوجية وقد سلّطت الضوء عليهما من خلال مقال الميلود حاجي "على أهم الاستعارات التي حملت مدلول الاستعارة الاتّجاهية، كاستعارة القهر والذلّ التي تجلّت في قول "محمود درويش: "من غير حرب سقطت في حطام" فالحطام والركام يكون على الأرض، ومن ثم فإن السقوط يكون من الأعلى إلى الأسفل على مستوى الأرض، ومن هنا تأتي لنا استعارة اتّجاهية "التحت"؛ أي النّو وهذا ما يتناسب ويتوافق مع مدلول القهر والذلّ الذي يحمل معاني الخذلان، والانزهاض، والسقوط من الأعلى إلى الأسفل.

أيضا عبارة: "محمود درويش":

- ... فلتكن.

- ... يقظا.

تحيلنا هذه الاستعارة الاتّجاهية "الفوق" إلى ما يتناسب مع الفعل الفيزيائي "الاستيقاظ" إذ يُعدّ هذا الفعل فعلا فيزيائيا فوقيا¹.

كما استخرجت الباحثة من المقال نفسه استعارةً اتّجاهيةً أخرى، وهي "استعارة المستقبل والتي تساوي "الأمام":

... لا غد

يأتي

... لا تطيل

حديثنا عما سيأتي

وهنا يكون السير نحو الأمام أو الخلف، فالأولى نحو المستقبل وهي "الأمام" والثانية نحو الماضي وهي "الخلف".

ومن خلال هذه المقاربة العرفانية لآلية الاستعارة التّصورية للظّرية العرفانية -الاستعارة الاتّجاهية— فإنّا دائماً نجد المتصور الذهني الثقافي يبني تصوّره الذهني وقف ما تملّيه الأبنية والأنساق الثقافيّة، وما ينتج عن تفاعله بين ما هو فيزيائي وما هو ذهني، وما هو ثقافي. ففي التّركيبة النفسية، والجسدية، والعقائدية، والثقافية للإنسان وتعامله، وتفاعله ضمن تجاربه مع الواقع الخارجي تبني أنساق تصوّرية ذهنية لعدّة اتّجاهات فضائية ذهنية تنتج بواسطة عمليات ذهنية معقّدة تربط بينها وبين المفاهيم المراد توضيحها من جهة واستعمالها في منطوق خاصّ من جهة أخرى، فدلالة السّقوط والقهر والدّل حسب تلك المعطيات دلالة تناسب اتّجاه "التّحت"، "الأسفل"، "الدّنو".

¹ يُنظر: الاستعارة في نماذج من شعر محمود درويش مقاربة عرفانية، ص434.

في حين دلالة "الاعتزاز"، "السعادة"، "الفطنة"، "الاستيقاظ" تتطابق مع اتجاه "العلو" "السمو"، "الفوق".

ولهذا أسقطت تلك الاستعارات على ما أريد به من مدلول بحسب كل اتجاه استعاري وحركة وتموضع الجسد موضع ذلك الاتجاه.

وقد أدرجت الباحثة الاستعارة الانطولوجية في بعض المقاطع المختارة من ديوان "لماذا تركت الحصان وحيدا" عن طريق ثلاثة أنواع لها من استعارة "الوعاء"، و"المادة" و"التشخيصية". فاستعمال "درويش" عبارة ذاكرتي... تحفظ الأسماء استعارة تصوّرية تجسّدية لمفهوم عرفني وهو الوعاء باعتباره احتواءً فيزيائياً أهم ما يمّزه التجربة الجسدية في تعامل وتفاعل جسد الإنسان بوصفه وعاء، فالذاكرة هنا "وعاء" تحفظ فيه المعلومات وتخزن به الذكريات وتُستردّ وقت الحاجة، وهذا الربط ما بين الحسي والمعنوي يحيلنا إلى استعارة المائدة من خلال تجسيد المجرد إلى المحسوس.

أما فيما يخص الاستعارة التشخيصية، فإن "درويش" في ملفوظات شتّى، قام فيها بجسدة دلالة الزمن على شكل شخص يقوم بفعل الضي والسّعة والمجيء والذهاب وغيرها من الأفعال اللصيقة بالشخص الذي يفعلها على سبيل المثال:

... لا غد يأتي ← فعل الذهاب والإياب

=

... ولا ماضي كأن الزمن شخص يأتي ويجيء

يجيء

الدهر عدوّ ← الدهر ← متجسّد في الإنسان عدوّ يترصّ بخصمه

↓ ↓
(مجرد) = (محسوس) ← تجسّد المجرد في المحسوس

يتعنى ممّا سبق أنّ الاستعارة التّصورية العرفانية ظاهرة ذهنية لها علاقة وثيقة بالإنسان وتجاربه وحدّتي أنشطته اليومية، وكلّ ما يعتري كيانه الثّقافي والفيزيائي، وحينما نذكر الإنسان

ها هنا فنحن نعني بذلك كلّ الأنماط البشرية على اختلافهما من البدوي والحضري، والعالم والجاهل، والكبير والصغير، والغني والفقير، والمناضل والمتخاذل، والسّيد والتّابع... الخ، كلّها أنماط تمثّل تجربة إنسانية ضمن تفاعلهم مع الواقع الخارجي بكلّ ما يحمله من أبعاد فيزيائية مادية ومعنوية تجسّد في الأخير إلى مجموعة تصوّرات ذهنية تحيل على كشوفات جديدة من شأنها طرح دلالات مختلفة تمام الاختلاف عمّا عهدناه من اللّغة المألوفة لدينا مولّدها الأساسي جملة العمليات الذهنية التي تتمّ على درجة من التّعقيد في تعاملها مع اللّغة في مستوى العقل الإنساني، ومن خلال هذه الورقة البحثية ركّزت الباحثة على مبحث من مباحث اللّسانيات العرفنية مطبّقةً مبادئه وآلياته من خلال أنواعه الثلاثة على مجموعة من النّصوص الأدبية العربية، وذلك من خلال النّقل والشرح ومحاولة التّطبيق للنّظرية الاستعارية لعلم اللّسانيات العرفنية الغربي الحديث.

الخاتمة

في إطار ما استجد في الدرس اللساني المعاصر الذي انتهى إلى اللسانيات العرفنية، سعينا إلى استكشاف المحطات المفصلية التي مهدت إلى بروز هذا العلم والكشف عن مضامينه وامتداداته المعرفية والنظرية، وفي خضم هذا التوجه اللساني العرفني عمدنا إلى استظهار الأسيقة المعرفية والتاريخية لتلقي الباحثين الجزائريين للسانيات العرفنية من خلال الوقوف على حيثيات التلقي والصعوبات التي واجهتهم، ومدى نجاحهم في نقل هذا الوافد الغربي.

وقد مكنا البحث من الوصول إلى نتائج أساسية بالرغم من عدم استفائها الكامل للدقة والعلمية بشكل دقيق وشامل وسنوردها كآلاتي:

■ المشروع العرفني لم يولد من فراغ ولكنه تأسس من خلال ما زهدت فيه اللسانيات التوليدية التحويلية؛ إذ أنها لم تول لعنصر الدلالة أهمية في طرحها اللساني، ما جعل اللسانيات العرفنية تستدرك هذا الخلل والقصور، وتتطلق في طرحها بضرورة إقحام الدلالة على اعتبارها مكونا أساسيا في العملية التواصلية، ومعطى جوهريا لطبيعة العلاقة بين اللغة والذهن والواقع.

■ انطلاقا من مفهوم اللغة بالنسبة للسانيات العرفنية تعين ربط اللغة بالذهن بوصفه مصدرا للإدراك؛ ومركزا لكل العمليات المصاحبة للنشاط اللغوي.

■ اللسانيات العرفنية بوصفها علما بينيا؛ هي جزء لا يتجزأ من حركة العلوم المعرفية الأخرى، حيث تتآزر معها بطريقة ترابطية كالذكاء الاصطناعي، وعلم النفس المعرفي، والرياضيات، واللسانيات، والحاسوبية وغيرها من العلوم...، فعّلت بذلك تيارا بحثيا متعدد المعارف المتخصصة، ما جعل منها حقلا معرفيا خصباً ذا بعد شمولي يدرس اللغة ضمن حدود معرفية واسعة.

■ فكرة النموذج اللساني قائمة على نشأة ذلك التصور الإجرائي الجديد الذي يحاكي المعطيات اللغوية، وصياغته -النموذج- في حقيقة الامر مسلك لتشغيل النظرية اللسانية التي إنما وجدت لتفسير الوقائع اللغوية، وإن ما يميز النموذج اللساني العرفني هو احتكامه إلى جملة من

القوانين المستمدة - في الأساس - من علوم ومعارف بينية، تشترك بكليتها في إثبات العلاقة القائمة بين بنية الذهن وبناء اللغة.

■ اللسانيات العرفنية شكلت "براديجم" معرفي من حيث أنها تقوم على نظريات محورية في علوم مختلفة متعددة، تستهدف دراسة الظاهرة اللغوية من منظور ما وصل إليه الدرس اللساني من مستجدات في عصرنا الراهن، منطلقها الأساسي صياغة طريقة إجرائية جديدة لفهم مصدر نشأة اللغة وتطورها واكتسابها.

■ المعنى الذي يقترحه استخدام اللغة هو عملية معقدة من الأنشطة الذهنية، تتشكل بمقتضاها الصور الذهنية وهو ما يعرف بالإدراك الدلالي..

■ تراوح التلقي العربي لللسانيات العرفنية بشكل عام بين التعريف بهذا الحقل المعرفي الجديد، وشرح مبادئه ومقولاته الأساسية على غرار ما ميز التلقي العربي لكل المنجزات الغربية الوافدة على بيئة البحث العربي، وفيما يخص الدرس اللساني العرفني على وجه الخصوص، فعملية الربط بين اللسانيات العرفنية بوصفها مبحثا لسانيا جديدا في اللسانيات الحديثة وما توصل إليه الدرس اللغوي القديم من أحكام ونتائج عن ارتباط المعنى اللغوي بالذهن، لا نكاد نقف عليه بشكل واضح المعالم وبأسلوب دقيق باستثناء بعض التلميحات العارضة في مباحث اللسانيين العرب في حديثهم عن نشأة هذا الحقل المعرفي وتطوره.

■ شهد التلقي العربي لللسانيات العرفنية تذبذبا في استخدام المصطلح، وعدم استقراره على دلالة ورؤية واضحة، وذلك لاصطدام اللغة العربية بالجهاز المصطلحي الذي يحكم الدراسات اللسانية والأبحاث العرفنية الوافدة، لكونه محصلة وثمره معرفية نتجت في بيئة ثقافية ولغوية ومعرفية تختلف عن البيئة العربية من ناحية، ولارتباط الجهاز المفاهيمي لللسانيات العرفنية بمعارف وحقول معرفية غربية مرجعا ورؤية واستنباطا لا علاقة لها بالدرس اللغوي العربي، وهو مظهر يؤكد طبيعة الهوة بين تطور البحث اللساني لدى الغرب وتلقي نتائجه في بيئتنا العربية بشكل عام، رغم المحاولات البحثية التي تسعى إلى ردع الصدع بين النظرة اللسانية الغربية والنظرة اللسانية العربية، ولاشك أن تيار اللسانيين الجزائريين ضمن الاتجاه العرفني لم

يشذ عن هذه القاعدة، ما يترك السؤال مطروحا فيما يتعلق بإشكاليات الأجرأة على اعتبار أن المصطلح مكون أساسي من مكونات الأجرأة.

■ من خلال وصفنا وتحليلنا لنماذج من الدراسات اللسانية للباحثين اللسانيين العرفنيين الجزائريين اتضح أن دراساتهم انتقلت من الوصف إلى الأجرأة خاصة في مجال تعليمية اللغة.

■ الباحثون الجزائريون في حقل اللسانيات العرفنية يمثلون فئة من التيار العربي الذي بحث في اللسانيات العرفنية الغربية، مع وجود خصوصية تميزهم مقارنة مع الباحثين العرب في تبني المقاربة العرفنية، تمثلت في الأجرأة المتبناة في تناول موضوعات تطبيقية محددة كالتعليمية، ودراسة بعض الأجناس الأدبية كالقصة العبثية، والقصة القصيرة مستفيدين من تنزيل المفاهيم العرفنية تنزيلا إجرائيا في مقارنة الموضوعات السابقة الذكر.

■ معظم الدراسات التي اعتمدنا عليها في الفصل العملي من بحثنا اتسمت بطابع الوظيفية من حيث أنها مكنت المتلقي العربي من استيعاب جملة المفاهيم الأساسية للسانيات العرفنية، بما اعتمدته من وضوح للرؤية وتبسيط للفكرة من ناحية وتمكينه من آليات الأجرأة عبر الاستفادة من استراتيجيات هذه الدراسات المعتمدة في الانتقال من المفهوم والمبدأ إلى المقاربة التطبيقية، ولعل هذا ما اصطلحنا عليه بالأجرأة، على تفاوت هذه الدراسات في القيمة والإفادة.

■ فاللسانيات العرفنية بوصفها تيارا لسانيا حديثا، أحيا جدلية كانت قائمة وهي علاقة اللغة بالفكر مع مراعاة خصوصية العقل في بناء تصوراتنا الذهنية المشكلة للمعرفة المبنية على أساس تجربتنا مع العالم الخارجي، إلا أن هذا التيار قد أضفى أيضا قيمة مضافة للدرس اللغوي من خلال اعتماده المعنى، وانفتاحه على مجموعة الأسىقة الخارجية، ودراسته للعلاقة بين اللغة والعقل والجسد جعلت منه حقا خصباً مستقطبا وقد أثبتت ذلك الدراسات المتزايدة من كافة أنحاء العالم ومن بينها الدراسات العربية التي لا تزال حتى اليوم قيد مرحلة النقل والشرح لاستيعاب هذا العلم وترجمته، ولكن إذا ما رجعنا إلى البحث اللساني العرفني المغربي عامة والجزائري خاصة نجده أكثر تعمقا من غيره من الدراسات العربية، بالرغم من الضبابية التي تشوب هذا العلم، إذ إنه يشهد انتقالا حثيثا من مرحلة النقل والشرح إلى مرحلة الأجرأة.

- ما يمكن التأكيد عليه بعد عرضنا لفصول هذا البحث وبسط عناصره من مقترحات:
- اللسانيات العرفنية في سياق البحث اللساني الجزائري مطالبة بتحقيق أجرأة فعلية تقوم في الأساس على اختبار صلاحية اللغة العربية في الاستجابة للمقولات والافتراضات العرفنية في منظورها الغربي لا المبالغة في نقل المفاهيم وشرح المبادئ والمقارنة بين وجهات النظر العرفنية المختلفة و فقط، لأن جدة البحث اللساني إنما تتحقق بالكشف عن قدرة اللغة - أي لغة - وعن جملة خصائصها التي تجعل منها لغة متميزة في بنيتها وفي طاقتها الدلالية وفي وظيفتها ضمن إطار العملية.
- ضرورة توسيع الجهود الرامية لأجرأة اللسانيات العرفنية على نطاق أعم يشمل العديد من النظريات اللسانية العرفنية دون التقيد بتطبيق نظرية الاستعارة العرفنية على اللغة العربية ومحاولة الاستفادة منها في مجالات متعددة كالتعليمية وغيرها من المجالات الأخرى.
- ينبغي توسيع دائرة البحث اللساني العرفني خاصة في شقه التطبيقي مع التركيز على التطبيق الفعلي للسانيات العرفنية بمجموعة نظرياتها ومفاهيمها المتعلقة بالذهن والمعرفة على مجالات لغوية مختلفة كالتعليمية اللغة، الترجمة، وتحليل النصوص الأدبية، والمجال الأكاديمي التربوي...
- تشجيع الباحثين اللسانيين العرب على تطوير الدراسات التطبيقية المتخصصة في دراسة اللغة العربية مع مراعاة لخصائصها وطبيعتها المعقدة، وذلك من خلال الاستفادة من النظريات اللسانية الغربية.
- ضرورة انشاء مصطلحات لسانية عربية موحدة من خلال تأسيس لجان متخصصة في كافة انحاء العالم العربي قصد تجنب اللبس والغموض لدى القارئ العربي والباحثين المقبلين على البحث الأكاديمي في مجال اللسانيات عامة وتطوير جهاز مصطلحي عرفني ملائم للغة العربية في مجال اللسانيات العرفنية بصورة خاصة.

- يجب ان يكون هنالك تحفيزات مهمة للباحثين على الابداع والابتكار في مجال البحث اللساني دون الاكتفاء بالتقليد والنقل والشرح للنظريات الغربية بغية الوصول الى نظرية لسانية عربية جديدة تقوم على الأسس الخاصة باللغة العربية.
- ضرورة الاهتمام بالدراسات الميدانية التي تهتم بمدى صلاحية وتوافق النظريات العرفنية على اللغة العربية وخصائصها.
- اقتراح نماذج إجرائية تتيح للتطبيق الفعلي على مستوى النظريات العرفنية طابع التجريب من خلال تعزيز الأبحاث التجريبية، والاختبارية للسانيات العرفنية.
- يستوجب تشجيع المؤسسات الاكاديمية الجزائرية ودعمها من أجل تحريك عجلة البحث اللساني العرفني عن طريق: المؤتمرات، ورشات العمل، المخابر، التعاون الدولي بين الباحثين، مع دعم المخابر اللسانية الخاصة بالبحث اللساني العرفني وانشاء أبحاث ودراسات متخصصة في تحليل العلاقة بين اللغة والذهن لطوير الجانب النظري والتطبيقي لديه.

قائمة

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

المصادر:

- ابن جني أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، القاهرة، 1952م.
- ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، المجلد 7، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3.

- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2005.

المراجع:

الكتب:

- إبراهيم السمراي، اللغة والحضارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1977م.
- إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1937م.
- إبراهيمي بوداود، الطبيعة الفيزيائية لمنطوق الهمزة العربية، الملتقى الوطني للغة العربية والتقانات الحديثة، الجزء الأول، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2018م.
- أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة رحاب الحديث، لبنان، 2010م.
- أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، سلسلة الكتاب الجامعي، منشورات كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط2، 2013م.
- أحمد ماجد، الذكاء الاصطناعي بدولة الإمارات العربية المتحدة، إدارة الدراسات والسياسات الاقتصادية الإمارات العربية المتحدة، مبادرات الربع الأول، 2018م.
- أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، ط3، 1429هـ/2008م.
- أحمد مطلوب، بحوث لغوية، دار الفكر، عمان، ط1، 1987م.
- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، 2002م.
- ادريس مقبول، الأسس الإستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديث، جدار للكتاب العالمي، الأردن، ط1، 2006م.
- الأزهر الزناد، النص والخطاب، مباحث لسانية عرفنية، مركز النشر الجامعي، دار محمد علي للنشر، تونس، 2010م.
- الأزهر زناد، نظريات لسانية عرفانية، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، دار محمد علي، تونس، 2009م.
- آسيا عمراني، دراسة الاستعارة في ضوء اللسانيات العرفانية، مجلة كلية الآداب، جامعة الكوفة، المجلد 12، ع45، 2020م.
- ألاء علي عبد الله العنكبي، البنية العميقة في الدرس اللساني العربي، المقولة والإجراء، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، ط1، 2014م.

- آمال محمّد، استراتيجيات التدريس والتّعلّم، نماذج وتطبيقات، دار الكتاب الجامعي، العين، الإمارات العربية المتّحدة، 2010م.
- امتثال زين الدّين، علم النّفس المعرفي، دراسة الهندسة المعرفية والوظائف العقلية، دار المنهل اللّبناني للطباعة والنّشر، بيروت، لبنان، ط1، 2007م.
- ايلينا سيمينو، ترجمة عماد عبد اللّطيف وخالد توفيق، الاستعارة في الخطاب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2013م.
- أيمن الشّويني، علم الأنسجة، دار طبية النّشر والتّوزيع والتّجهيزات العلمية، د. ط، 2011م.
- بابا احمد رضان، مفهوم النموذج في الدراسة اللسانية الصورية، مجلة القراءات للبحوث والدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، جامعة معسكر، ع 02، ديسمبر 2011.
- بريجيت نارليش ودايفيد كلارك، تر: حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات الإدراكية وتاريخ اللسانيات، مجلّة أنساق، قطر: كليات الآداب والعلوم، قسم اللّغة العربية، ع1، مايو 2017م.
- بشير ابرير، اللسانيات والأدب ودراسات أخرى، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2020م.
- بناصر البعزاتي، تنسيق محمد مفتاح وأحمد بوحسن، سمات التّقدم في العلم، عن كتاب: مفهوم التّقدم في العلم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، الرقم 87، 2000م.
- بنعيسى زغبوش، التّجريب بين علم النّفس وعلوم الأعصاب: اشتراك في البراديغم واختلاف في التّقنيات وتشابه في التّائج، مجلّة عمران للعلوم الاجتماعية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، المجلّد الثّامن، ع29، صيف 2019م.
- بوشعيب راغبين، البنى التّصوّرية واللّسانيات المعرفية في القرآن الكريم جدار للكتاب العالمي الأردن، عمّان، ط1، 1432هـ، 2011م.
- بوقرة نعمان، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة تمام حسان، مناهج البحث في اللّغة، مكتبة الأنجلو، القاهرة، د.ط، 1990م.
- بيتر ستوكويل، تر: بهاء الدين محمد مزيد، عوالم الخطاب والفضاءات الذهنية، مجلة فصول، م: 25، ع 100، 2017م.
- تمام حسان، اللّغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، ط 1994م.
- توفيق قريرة، الشّعريّة العرفانية مفاهيم وتطبيقات على نصوص شعريّة قديمة وحديثة، دار نهى للطباعة، صفاقس تونس، ط1، 2005م.
- توفيق قريرة، ظاهرة التكرير في العربيّة، حليات الجامعة التونسية، كلية الآداب، جامعة منوبة، ع49، 2005م.
- توماس كون، تر: حيدر حاج إسماعيل، مر: محمد دبس، بنية الثورات العلمية، دار العين للنشر، المنظمة العربية للترجمة، مركز الدراسات الوحدة العربية، آدم، بيروت، ط1، 2007م.
- تيرنس دبليو ديكون، ترجمة: شوقي جلال، الإنسان... اللّغة... الرّمز، التّطوّر المشترك للّغة والمخ، المركز القومي للترجمة، ط1، 2014م.

- ثروت مرسي، عبد الرحمن طعمة، في الثقافة والعرفان والتداول "مقاربات بينية (ترجمة وقراءة وتعليق)، كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2022م.
- جابر عبد الحميد، سيكولوجية التعلّم ونظريات لتعلّم، دار النهضة القاهرة، 1983م.
- جاكندوف، تر: عبد الرزاق بنور، علم الدلالة العرفاني، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010م.
- جان فرانسوا دورتيه، معجم العلوم الإنسانية، جورج كنورة بيروت، مجد المؤسسة الجامعية للشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1432هـ/2011م.
- جلال شمس الدين، علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياها، المناهج والنظريات، مؤسسة الثقافة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ج1، د.ط، 2012م.
- جلييلة حمودة، المعنى وآليات مقولته في اللغة العربية-مقاربة دلالية عرفانية-، الدار التونسية للكتاب، ط1، 2017م.
- الجمعي بولعراس، مدخل إلى اللسانيات النفسية العصبية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز للولي خدمة اللغة العربية السعودية، الرياض، ط1، 2017م.
- جورج لايفوف ومارك جونسون، تر: عبد المجيد جحفة، الاستعارات التي نحيا بها، دار توبقال للنشر، ط1، 1996م.
- جورج لايفوف، تر: طارق النعمان، النظرية المعاصرة للاستعارة، مكتبة الاسكندرية، سلسلة مختارات (1)، مصر، 2014م.
- جورج لايفوف، مارك جونسون، تر: عبد المجيد جحفة، الاستعارات التي نحيا بها، دار برتقال، ط2، 2009م.
- جورج موانان، تر: الطيب البكوش، مفاتيح الألسنية، تونس، منشورات سعيديان، 1994م.
- جورج موانان، تر: بدر الدين القاسم، تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، 1972.
- جورج موانان، تر: ميشال زكريا، les problemes theorique du la traduction، علم اللغة الحديث، قراءة تمهيدية.
- جوليات باجيني، تر: أديب يوسف شيش، الفلسفة موضوعات مفتاحية المعرفة، "العقل، الأخلاق، الدين، السياسة"، دار التكوين للتأليف والترجمة والشر، دمشق، سوريا، ط1، 2010م.
- جون بياجييه، البنوية، تر: عارف وبشير اوبري، منشورات عويدات، بيروت، ط3، 1982م.
- جون سيرل، تر: سعيد الغانمي، لعقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، منشورات الاختلاف، ط1، 2006م.
- جون سيرل، تشومسكي والثورة اللغوية، مجلة الفكر العربي، 1979م.
- جون ليونز، تر: حلمي خليل، نظرية تشومسكي اللغوية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1، 1985م.
- جون ليونز، تر: حمزة بن قبالان المزيني، دار توبقال للنشر، المغرب، 1990م.
- جين إيتسنس، تر: عبد الكريم محمد جبل، اللسانيات مقّمة على مقّمات، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2016م.
- حافظ إسماعيلي العلوي، مشاركة محمد الملاح، عالم الكتب الحديث، الأردن، إريد، ط1، 2010م.

- حافظ إسماعيلي علوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، لبنان، بنغازي، بيروت، ط1، 2009م.
- حافظ إسماعيلي علوي، امحمد الملاح، البرنامج الأدني، الأسس والثابت، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 31، ديسمبر 2017م.
- حافظ إسماعيلي علوي، محمد الملاح، قضايا إستمولوجية في اللسانيات، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009.
- حافظ إسماعيلي علوي، وليد أحمد العناني، أسئلة اللغة، أسئلة اللسانيات، دار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط، ط1، 2009م.
- الحداد مصطفى، اللغة والفكر وفلسفة الذهن، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2013م.
- حرون فتحي عبد الرحمن، تعليم التفكير، دار الكتاب الامعي، الإمارات، 1999م.
- حسام البهنساوي، نظرية النحو الكلي والتراكيب اللغوية العربية، دراسات تطبيقية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 2004م.
- حسان الباهي، الذكاء الاصطناعي وتحديات مجتمع المعرفة، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2012م.
- حسن الحنفي، الى التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط4، 1991م.
- الحسين السعيد، المقولات الوظيفية في الجملة العربية، منشورات كلية الآداب واللغات، سايسفاس، ط1، 2005م.
- حسين صالح طاهر، ميثم احمد عبد حمزة، دلالة لفظة اقرأ في قوله تعالى (اقرأ باسم ربك)، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، جامعة الإمام الصادق، ع31، 2017م.
- حسين علي، ماهي الفلسفة؟، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2011م.
- حمّو الحاج ذهبية، مقّمة في اللسانيات المعرفية، مجلّة تحليل الخطاب، عدد خاصّ بأعمال الملتقى الدولي حول واقع البحوث المعرفية وتحليل الخطاب أيام 11-12-13، ع14، مارس 2013م.
- حيادرة مصطفى طاهر، من قضايا المصطلح اللغوي العربي، عالم الكتب الحديث، اريد، ط1، 1424هـ، 2003م.
- حيدر فاضل عباس، حسن عبد الغني الأسدي، التطور اللساني وإشكالية تحديد المصطلح، المعرفة أنموذجا، مجلة تسليم، السنة الثانية، المجلد الرابع، العددان السابع والثامن.
- خشيم مصطفى عبد الله أبو القاسم، مناهج وأساليب البحث السياسي، طرابلس، الهيئة القومية للبحث العلمي، 1966م.
- خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، الجزائر، 2000م.
- دينيال تشاندكر، تر: طلال وهبة، أسس السيميائية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008م.
- ذهبية حمّو الحاج، العلوم المعرفية بحث في الشأ والمفاهيم، مجلّة أبولوس، المجلّد 06، ع2، 2019م.
- رافع الصير الزغول، عماد عبد الرحيم الزغول، علم النفس المعرفي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمّن الأردن، د.ط، د.ت.
- راي جاكندوف، تر: عبد الرزاق بنور، مر: مختار كريم، علم الدلالة والعرفانية، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، تونس، د.ط، 2010م.
- رشيد عبد الرحمن العبيدي: "الألسنية المعاصرة والعربي، مجلة الذخائر، لبنان، ط1، 2000م.

- رومان جاكبسون، تر: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، محاضرات في الصوت والمعنى، المركز الثقافي العربي، ط1، 1994م.
- زبيدة، ابراهيم عمر سليمان: حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث، دراسة تحليلية تقويمية، المكتب الوطني للبحث والتطوير، طرابلس، 2003.
- الزواوي باغورة، الفلسفة والآغة، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.
- ستيفن بينكر، تر: حمزة بن قیلان الزيني، الغريزة اللغوية، كيف يبدع العقل الآغة، الرياض، مكتبة المريخ، 2000م.
- سعاد معمر شاوش، نمذجة مثل الكلام في النظريات اللسانية من نظام اللسان الى نظام الخطاب، مجلة اللسانيات، المجلد 26، ع01، جوان 2020م.
- سعيدة لونيس، أجرأة المفاهيم في الكتابة الأكاديمية بين الضرورة والمحاذير، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2002م.
- سمية المكي، ضمير الشأن في اللغة العربية إقام معجمي أم توليد إعرابي، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والفنون والإنسانية بمنوبة، ع56، 2011م.
- سمير حجازي، المتقن، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية الحديثة، دار الراتب الجامعة، بيروت، ط1، 2004م.
- سندس كرونة، اللسانيات وتطور العلوم العرفانية، حوليات الجامعة التونسية، ع47، 2003م.
- شامية أحمد، في اللغة، دراسة تمهيدية منهجية متخصصة في مستويات البنية اللغوية، دار البلاغ، الجزائر، ط1، 1423هـ/2002م.
- شفيقة العلوي، دروس في المدارس اللسانية الحديثة - التنظير، المنهج والإجراء، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الأبيار، الجزائر، ط1، 2012م.
- شفيقة العلوي، دروس في المدارس اللسانية الحديثة، التنظير المنهج والإجراء، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الأبيار، الجزائر، ط2، 2013م.
- شفيقة العلوي، دروس في المدارس اللسانية الحديثة، التنظير، المنهج والإجراء، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الأبيار، الجزائر، د ط، 2013م.
- شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ط1، 2004م.
- شكري فيصل، قضايا اللغة العربية، بحث في الإطار العام للموضوع، مجلة اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، ع26، 1987م.
- صالح غيلوس، التلقّي والإنتاج في ضوء العرفية - تنظير وإجراء -، البدر الساطع للطباعة والنشر، تعاونية الوفاق العلمية، الجزائر، ط1، 2017م.
- صالح غيلوس، المرايا المنتحبة، مطبعة البدر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2017م.
- صالح غيلوس، مباحث لسانية عرفية، مطبوعات البدر الساطع، ط1، العلمية، الجزائر، 2020م.

- صليبا جميل، المعجم الفلسفي، بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، ودار الكتاب المصري، بيروت، القاهرة، 1979م.
- عادل فاخوري، اللسانية التوليدية التحويلية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1988م.
- عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية مقارنة معرفية، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 2001م.
- عبد الباري ماهر شعبان، استراتيجيات فهم المقروء، أسسها النظرية وتطبيقاتها، دار المسيرة للنشر والتوزيع الأردن، 2010م.
- عبد الجبار بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني، مسكلياني للنشر والتوزيع، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، تونس، ط1، 2010م.
- عبد الجبار بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني، نظرية رونالد لانفاكر، مكتبة لسان العرب، سلسلة لغويات، مسكلياني للنشر، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، تونس، ط1، 2010م.
- عبد الحليم عيسى، اللغة العربية الواقع والتحديات، مجلة حوليات التراث، مستغانم، الجزائر، ع 5، يناير 2006م.
- عبد الرحمان طعمة، أحمد عبد المنعم، النظرية اللسانية العرفانية، دراسة أبستمولوجيا.
- عبد الرحمان طعمة، البناء الذهني للمفاهيم، بحث في تكامل علوم اللسان وآليات العرفان، دار كنوز المعرفة، عمان الأردن، ط1، 2019م.
- عبد الرحمان محمد طعمة، بيولوجيا اللسانيات، مدخل إلى الأسس البيوجينية للتواصل اللساني من منظور اللسانيات العصبية.
- عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة، مفاهيمها الأساسية، ع 04، الجزائر، 2007م.
- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 1، موفم للنشر، الجزائر، 2007م.
- عبد الرحمن أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، مؤسسة الصباح، الكويت، د.ت. د.ط.
- عبد الرحمن طعمة، الحبيب المقدميني وآخرون، دراسات في اللسانيات العرفانية، مركز الملك عبد الله بن العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، السعودية، ط1، 2019م.
- عبد الرحمن محمد طعمة محمد، البناء الذهني للمفاهيم، بحث في تكامل علوم اللسان وآليات العرفان، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2019م.
- عبد الرحمن محمد طعمة وآخرون، تح: صابر حباشة، دراسات في اللسانيات العرفانية، الذهن واللغة والواقع، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2019م.
- عبد الرزاق عمار، العرفانية وبناء المعرفة، دار سحر للنشر، مركز النشر الجامعي، تونس، 2114م.
- عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، ط3، 2008م.
- عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار الوطنية للنشر، تونس، 1997م.
- عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984م.
- عبد السلام عشير، تطور التفكير اللغوي من النحو إلى اللسانيات إلى التواصل، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، ط1، 2010م.

- عبد العالي العامري، اللغة ونظرية الذهن: مبادئ معرفية وذهنية مجلّة اللسانيات العربية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ع 6، يناير 2018م.
- عبد العزيز خليلي، اللسانيات العامة واللسانيات العربية (تعاريف أصوات) منشورات دراسات سال، المغرب، ط1، 1991م.
- عبد العزيز إبراهيم العصيلي، علم اللغة النفسي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ط1، 2006م.
- عبد العزيز الحويدي، نظريات الاستعارة في الغرب من أرسطو إلى لايفوف ومارك جونسون، عمان، كنوز المعرفة، ط1، 2015م.
- عبد العزيز بومسهولي، الشعر والوجود والزمان، رؤية فلسفية للشعر، إفريقيا، الشرق المغرب، 2020م.
- عبد القادر الغزالي، اللسانيات ونظرية التواصل، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، اللاذقية، ط1، 2003م.
- عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، دار توبقال، المغرب، ط1، 1985م.
- عبد القادر الفاسي الفهري، المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي، دار توبقال، الدار البيضاء، 1998م.
- عبد القادر صام، مجالات اشتغال اللسانيات في ضوء التّصوّر العرفاني، دار المجدد للنشر والتوزيع، المكتبة الوطنية الجزائرية، سطيف، ط1، 2023م.
- عبد الكريم جيدور، اللسانيات العرفية ومشكلات تعلّم اللغات، مجلّة العلامة، جامعة ورقلة، ع02، 2017م.
- عبد الله الحارصي، دراسات في الاستعارة المفهومية، مؤسسة عمان للصحافة والأبناء والنشر والإعلان، مسقط، مملكة عمان، ط3، 2002م.
- عبد الله جاد الكريم، التكامل المعرفي بين النحو العربي واللسانيات الغربية، دار النابغة للنشر والتوزيع، جامعة جازان، السعودية، ط1، 2020م.
- عبد الله جاد الكريم، الدرس النحوي في القرن العشرين، مكتبة الآداب القاهرة، ط1، 2004م.
- عبد الله صولة، المقولة في نظرية الطراز الأصلية، حويات الجامعة التونسية، كلية الآداب، منوبة، عدد: 46، 2002م.
- عبد الله صولة، مفهوم التشابه الأسري، بين نظرية الطراز الأصلية والنظرية الموسوعة، حويات الجامعة التونسية، كلية الأدب، جامعة منوبة، ع45، 2002م.
- عبد الله موسى، أحمد حبيب بلال، النّكاء الاصطناعي، نورة في تقنيات العصر، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2019م.
- عبد المجيد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، مكتبة تستان المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، 2000م.
- عدنان يوسف العتوم، علم النفس المعرفي النظرية والتطبيق، دار المسيرة للنشر والطباعة، عمان، الأردن، ط3، 2012م.
- عز الدين مجدوب، المنوال النحوي العربي، قراءة لسانية جديدة، مكتبة لسان العرب، دار محمد علي الحامي، الجمهورية التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سوسة، ط1، 1998م.
- عطية بن سليمان أحمد، اللغة في ألماغ (رمزية، عصبية، عرفانية)، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط1، 2009م.

- عطية سليمان أحمد، الاستعارة القرآنية في ضوء العرفانية، النموذج الشبكي، البنية التصورية، النظرية العرفانية الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، مصر، 2014م.
- عطية سليمان، الاستعارات القرآنية، والنظرية العرفانية، كلية التربية، جامعة السويس، مصر، د ط، د ت.
- علي عبد الرحيم صالح وآخرون، ومضات في علم النفس المعرفي، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2013م.
- عمر بن دحمان، قراءة في كتاب الاستعارات التي نحيا بها، الخطاب منشورات مخبر تحليل الخطاب، ع6، 2010م.
- عمر بن دحمان، نظرية الاستعارة التصورية والخطاب الأدبي، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2015م.
- العمري محمد محمد، الأسس الإستمولوجية للنظرية اللسانية، البنيوية والتوليدية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2012م.
- عياش يحيوي، ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية، مطبعة دار الفجر، أبو ظبي، الإمارات، 2008م.
- عيسى إيفال، تر: حسين أحمد الشافعي، مدخل إلى التعليم في الطفولة المبكرة، دار الكتاب الجامعي، الإمارات المتحدة، 2006م.
- عيشاوي يحيوي، قمر الشاي، مطبعة دار الفجر، أبو ظبي، الإمارات العربية، 2008م.
- فتحي الزيات، الأسس المعرفية للتكوين العقلي وتجهيز المعلومات، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، ط2، 2006م.
- فرحات العربي بلقاسم، البحث الجامعي بين التحرير والتصميم والتقييم، الأردن، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، 2012م.
- فريد الزاهي، الجسد والصورة والمقدس في الإسلام، إفريقيا الشرق، بيروت، 1999م.
- فوزي حسن الشايب، محاضرات في اللسانيات، عالم الكتاب الحديث، أريد، ط2، 2016م.
- كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 1998م.
- لطفي الذويبي، قدرة نظرية الفضاءات الذهنية على تأويل الأبنية اللغوية، مجلة العلامة، مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، ع3، 2016م.
- لطيفة إبراهيم النجار، آليات التصنيف اللغوي بين علم اللغة المعرفي والنحو العربي، مجلة الملك سعود، كلية الأدب، المملكة العربية السعودية، مج: 17، ع1، 2004م.
- لطيفة حلبي، الاتجاه البرغماتي، مجلة الفكر العربي، المجلد 17، ع1، نيسان/إبريل حزيران/يونيو 1986م.
- مارك تورنر، تر: الأزهر الزناد، مدخل في نظرية المزج، جامعة منوبة(تونس)، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، وحدة البحث: اللسانيات العرفية واللغة العربية، 2011م.
- مازن الواعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دار طلاس، سورية، 1987م.
- مازن الواعر، دراسات لسانية تطبيقية، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 1989م.
- مازن الواعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دار طلاس، سوريا، 1987م.

- مجيد خير الله راهي، فدوى العذاري وآخرون، قضايا في الخطاب والبلاغة المعرفية، المفاهيم وحدود الإجراء، بحوث محكمة، كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2023م.
- محمد إسماعيل بن شهداء، إنتاج اللغة في الدماغ (دراسة في علم اللغة العصبي)، مجلة لسان الضاد، ع2، رقم1 أبريل، 2015م.
- محمد الصالح البوعمراني، الاستعارة التصورية وتحليل الخطاب السياسي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2005م.
- محمد المقدميني، التحليل الدلالي في المقاربة العرفانية، عبد الرحمن طعمة وآخرون، من كتاب دراسات في اللسانيات العرفانية، مركز الملك عبد الله بن العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، السعودية، ط1، 2019م.
- محمد الملاخ، دراسات نقدية في اللسانيات المعرفية والتحليل النقدي للخطاب دراسة مترجمة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اربد، الأردن، ط1، 2020م.
- محمد النجاري بك، قاموس فرنساوي وعربي cognitive، المجلد الثاني، مطبعة مزراحي، الإسكندرية، 1904م.
- محمد حسن عبد العزيز، سوسيو رائد علم اللغة الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، 1989م.
- محمد حسين ال ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب الى نهاية القرن الهجري، دار المكتبة الحية، بيروت، لبنان، ط1، 1980م.
- محمد ديداوي، علم الترجمة بين النظرية والتطبيق، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 1992م.
- محمد رحالي، بعض الخصائص الحاسوبية للغة، مجلة ابحاث، المجلد 13، ع 1 و 2، 2008م.
- محمد رشاد الحمزاوي، العربية والحداثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1986م.
- محمد شاهين، نظريات الترجمة وتطبيقاتها، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1998م.
- محمد صالح البوعمراني، الاستعارة التصويرية والذاكرة الثقافية، دار المنظومة، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، مجلة يتفكرون، أدب وفنون، نقد: عدد: 5، 2015م.
- محمد صالح البوعمراني، البنى الصغرى والكبرى والعليا في أدب جبران خليل جبران، (مقاربة عرفانية)، مجلة الخطاب، جامعة تيزي وزو، الجزائر، ع 20، 2015،
- محمد صالح البوعمراني، في علم الدلالة العرفاني، دار نهى صفاقس، تونس، ط1، 2009م.
- محمد عبد الودود أبغش، نظرية الأفضية الذهنية مبادئها وتطبيقاتها، يافا للبحوث والدراسات والنشر والتوزيع تونس، ط1، 2018م.
- محمد علي الشوقاوي، النكاء الاصطناعي، والشبكات العصبية الكتاب الأول ضمن سلسلة علوم وتكنولوجيا حاسبات المستقبل، مركز النكاء الاصطناعي للحاسبات، 2008م.
- محمد غاليم، اللسانيات والأدب مبحثان معرفيان، مجلة البلاغة والنقد الأدبي، ع 3، 2015.
- محمد محمد العمري، الأسس الإستيمولوجية للنظرية اللسانية البنوية والتوليدية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2012م.
- محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد التحدث، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.

- محمود السمران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1.
- محي الدين محاسب، الإدراكيات، أبعاد إبستمولوجية وجهات تطبيقية إطلالة تاريخية إبستمولوجية، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2017م.
- محي الدين محاسب، الإدراكيات، أبعاد إبستمولوجية وجهات تطبيقية، كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2017م.
- مرتضى جواد باقر، مقدمة في النظرية القواعد التوليدية، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط1، 2002م.
- مسعود شريط، ترجمة المصطلح اللساني الى اللغة العربية، أزمة تمثل المفاهيم ام موضوعة الاختلاف، مجلة إشكالات في اللغة والادب، جامعة تلمنراست، الجزائر، ع 12، ماي، 2017م.
- مصطفى بوعناني، تقديم مبارك حفون، الصّوّة المعرفية والمسارات الذهنية للإنجاز اللّغوي، عالم الكتب الحديث، إريد، الأردن، ط1، 2013م.
- مصطفى غلفان، الأسنوية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ط2، 1986م.
- مصطفى غلفان، الأسانيات التوليدية، من النموذج المعيار إلى البرنامج الأدنوي، عالم الكتب الحديث، 2010م.
- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2013م.
- مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية، حفريات النشأة والتكوين، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006م.
- مصطفى غلفان، مشا: امحمد الملاح، حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات التوليدية، من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمتلة، عالم الكتب الحديث، إريد، الأردن، ط1، 2010م.
- مكين بن حوفان القرني، اللسانيات قضايا وتطبيقات، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، ط1، 2019م.
- منانة حمزة الصفاقسي، الدلالة العرفانية الادراكية وتراجع دور التركيب، مجلة اللسانيات العربية، مركز الملك عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، السعودية، 2015م.
- المنجي القلقاط - الضر والخطاب في المباحث العرفانية، أعمال الدوة الدولية الثأنية - المعهد العالي للآغات جامعة قابس، تونس، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1439هـ-2008م.
- منية لعبيدي، التمثيل الدلالي للجملة، منوال جاكندوف 1983، منشورات علامات، المغرب، ط1، 2013م.
- ميشال زكريا، الأسنوية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع لبنان، بيروت، ط2، 1406 هـ / 1986م.
- ميشال زكريا، الأسنوية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع لبنان بيروت ط2، 1406 هـ / 1986م.
- ميها يو أنطوفيتش، تر: حليلة بو الريش، مكانة علم العرفاني، مجلة فصول، خاص بالإدراكيات الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد 4/25، ع 100، مصر، 2017.
- النجدي وآخرون، اتجاهات حديثة لتعليم العلوم في ضوء المعايير العالمية وتنمية التفكير والنظرية البنائية، دار الفكر العربي، القاهرة، 2005م.
- نعمان بوقرة، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، الجزائر، ط1، 2009م.

- نعيم تشومسكي، تر: حمزة بن قبلان المزيني، إ: جابر عصفور، أفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن، المشرع القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2005م.
- نورة محمد عبد الله العزام، دور الذكاء الاصطناعي في رفع كفاءة النظم الإدارية لإدارة الموارد البشرية بجامعة تبوك، المجلة التربوية، جامعة سوهاج، ج 01، ع 84، 2021.
- نوم جومسكي، تر: يوثيل يوسف عزيز، مر: مجيد الماشطة، البنى النحوي البنى النحوية احبنا النحوية، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، بغداد، ط1، 1987م.
- هبة الخياري، خصائص الخطاب اللساني اعمال ميشال زكريا نموذجاً، الوسام العربي الجزائر، منشورات زين، بيروت، لبنان، ط1، 2011م.
- هبة خياري، خصائص الخطاب اللساني "أعمال ميشال زكريا نموذجاً"، ط1، دار الوسام للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2011م.
- هند بنت سليمان الخليفة، نوال بنت إبراهيم الحلوة وآخرون علم الدلالة والأنطولوجيا، من منظور حوسبة اللغة العربية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، ط1، 2017.
- هيل عبد الشهيد، الأبعاد التأويلية لمجلة التربية، جامعة بغداد، ع 26، م 22، 2016.
- وفاء البية: أطلس أصوات اللغة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1994م.
- وليد بن عبد الله الصانع، طرق ومستويات اللغة في الذكاء الاصطناعي ضمن الكتاب خوارزميات الذكاء الاصطناعي في تحليل النص العربي، مباحث لغوية 61، مؤلف جماعي، مركز الملك عبد الله ابن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية السعودية، 2019م.
- يحي عابنة، أمانة الزغبى، علم اللغة المعاصر مقدمات وتطبيقات، دار الكتاب الثقافي، الأردن، 2008م.

الملتقيات:

- بن شيخة نصيرة النموذج الصوتي العربي، ومسارات التحوّل في رحاب الذكاء الفطري إلى الذكاء الاصطناعي ضمن أعمال الملتقى الوطني، اللغة العربية وبرامج الذكاء الاصطناعي، جامعة معسكر، منشورات المجلس الأعلى للغة. 2020.

المطبوعات الجامعية:

- علي عودة العقابي، محاضرات في السياسة الخارجية، أُلقيت على السنة الرابعة قسم العلوم السياسية، كلية القانون والسياسة، جامعة صلاح الدين، 1999.
- جعفري عواطف، الاستعارة في نماذج من نصوص شعرية، مقارنة عرفانية، جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر.
- أحمد بريسول استعارات الإدراك والحركة، أعمال الدورة التولية الأولى الدرس البلاغي، قضايا معرفية ومقاربات نصية، مخبر في البلاغة واللسانيات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الجديدة، المملكة المغربية، 26/25 مارس 2015م.

المواقع الالكترونية:

- <http://serabl.pntic.mec.est.emmurez/interviewPDF>.
- http://rprints.soton.ac.uk/11227/1/thesis_jowoollard_2004

- www.ahewar.org

المراجع باللغة الأجنبية:

- Andler. D, « introduction. Calcul et représentation: les sources » in Andler. D, (éditions) introduction aux sciences cognitives, Paris Gallimard.
- Brown A.et campion.j(1992)students as Researchers and teachers in keefe wilber(eds).teaching reston VA National association of secondary school principals.
- CF. FACHUN ZHANG « A study of metaphor n ditz application in language learning and teaching », in international education studies.vol.2.no.may.2009.
- cf.jorj Matthias roche , « lanuage a quintin and lanuage pédagogie ».in: the bloomsbriry compagnon to cognitive linguistes, edited by jeannette little more and John A. Taylor. Bloomsbury académie 2014.
- cfa lan curse a glossary semmantives and pragmatism. Edinburgh university press 2006.
- Charles f.hocket, a course of modern Linguistics, Macmillan London, Edition8th Printing, January 1, 1960.
- Chomsky: questions sémantiques(1975), p1213 et Charlier du bois: éléments de linguistique anglaise: syntaxe, librairie Larousse, paris, 1970, p1113et nique (1974).
- Chomsky=réflexions sur le langage, trad. Par Judith Milmer, librairie François Maspero, paris, 1977.
- chomskyN2000minimalist inqairies the framewo ;in stp by step: essay on minimalist syntax, in honour of howird lasnik, mit press.
- Cognition Psychologie cognitive connaissance et représentation fiche 19: Tome 1 Adulte JeanYves Baudouin et Guy Tiberghien.
- Ducrot et Todorov: dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, Edition du seuil.
- George laKoff ,Women , friand Dangerous things , what catégories Reval about the mind , the university of Chicago press , Chicago and London 1987,p.xi (préface)
- George Lakoff, Women, Fire, and Dangerous Things, What Categories Reveal about the mind. The University of chicago Press, chicago and London, 1987, p, xi (preface).
- hadmud bushman.routledge dietionary of lanuage and linguistes.translate and edited Gregory Truth and Kerstin kazzazirddition Publisher with Taylor et Francis Library London and NewYork.2006.
- Harris zelliges analyse discours traduit par DuboisCharlier François, in langage, n: 13, Paris, 1969.
- jean Dubois, dictionnaire de linguistique, et des sciences du langage.
- Lakoff, G: A review of The MIT Encyclopedia of the Cgnitive Sciences. Published by Elsevier Science B.v.1.
- Le Moigne, J.L, « Genèse de quelques nouvelles sciences: de l'intelligence artificielle aux sciences de la cognition », In Le Moigne, J.L, Editions Mécanismes de l'intelligence, intelligence des mécanismes, Fayard, Paris 1986.

- Leonardo Bloom-field, *language*, 1933, the university of Chicago press, Chicago and London, USA, 1984.
- Mona Abdul Fadel, *paradigm in political, science, revisited critical option and Muslim perspective* ,the American journal of Islamic social sciense,vo,6,no,1 september1989.
- Morphology includes the constructions of words and parts of words while syntax includes the constructions of phrases".vu =Leonardo Bloomfield, *language*.
- mortese mahmoudian, <<syntaxe et Linéarité>> dans: Jeane à Martinet, *de la théorie linguistique à l'enseignement du la langue*.
- mouloud: N (2002), *modele*, tomeXV, paris=encyclopedia universal's,
- N.chomsky: *structures syntaxique*, traduit par michel braudeau, edition du seuil , paris, a 1969.
- Noam Chomsky, revised edition by: john Lyons, *penguin modern masters* ,edited frank Kermode.
- rastier, f et al (1994),*sémantique pour l'analyse: de la linguistique a l'informatique*, paris: Masson
- Tiberghien, G: *dictionnaire des siences cognitives*, paris, Armand colin, 71.
- William croftet D.A lan cruse, *cognitive linguistes Cambridge université presse*.2004

فهرس المحتويات

شكر وعران

اهداء

مقدمة.....أ-ز

مدخل

- أولاً: سياق الانتقال من النظام اللغوي الشكلي إلى النظام الذهني 09
- ثانياً: الجهاز المفاهيمي للسانيات العرفية 13
- 1- الفضاءات الذهنية 13
- 2- الجسدة 17
- 3- الخطاطة 18
- 4- الاستعارة التصويرية (المفهومية) 18
- 5- المقولة والطرار 19
- ثالثاً: السياق المعرفي لتلقي اللسانيات العرفية عند العرب 20

الفصل الأول

اللسانيات العرفية في حقل الدراسات اللسانية الغربية بين التأصيل النظري والتأسيس المعرفي

- أولاً: في الانتقال المعرفي بين النماذج اللسانية 23
- 1- مفهوم النموذج المعرفي 24
- 2- العوائق الإبستمولوجيا مبررا لتغير النماذج المعرفية 28
- 3- تجاوز اللسانيات التوليدية وبروز اللسانيات العرفية 29
- ثانياً: اللسانيات العرفية تأسيساً وتأسيساً 75
- 1- موضوعها، نشأتها، مفهومها لغة واصطلاحاً 75
- 2- اللسانيات العرفية امتداداتها المعرفية والنظرية 88

3- اللسانيات العرفنية وأهم أسئلتها 90

الفصل الثاني

السياق المعرفي والتاريخي لتلقي الباحثين الجزائريين للسانيات العرفنية

أولاً: تلقي اللسانيات العرفنية في البيئات البحثية العربية 95

1- تلقي اللسانيات الغربية من طرف الباحثين العرب 95

2- إشكالية التلقي اللساني في الثقافة العربية المعاصرة 105

3- تلقي اللسانيات العرفنية عند المشاركة والمغاربة (العرب) 113

3-1 جهود الباحثين العرب المحدثين في نقل المصطلح la cognition 120

- تجربة الباحث المغربي عبد الإله سليم 120

- تجربة الباحث المغربي محمد الملاح في مؤلفه 121

- تجربة الباحث الجزائري عمر بن دحمان 121

- تجربة إدريس مقبول 123

- تجربة الأكاديمي التونسي عبد الرزاق بن نور 123

- تجربة الباحث المصري جلال شمس الدين 125

- تجربة الباحث التونسي الأزهر الزناد 126

- تجربة كل من ثروت مرسي وعبد الرحمن طعمة وعبد الجبار بن غريبة 127

- تجربة الباحث التونسي محمد صلاح الدين الشريف 129

- تجربة الباحث السعودي حمزة المزيني 130

- تجربة محي الدين محسب 131

3-2 تلقي اللسانيات العرفنية عن طريق الترجمة 134

ثانياً: عوامل تلقي الباحثين الجزائريين للسانيات العرفنية 149

1- دوافع توجه الباحثين اللسانيين الجزائريين إلى النموذج اللساني العرفني 149

2- تطبيقات اللسانيات العرفنية وجدل الإخفاق والنجاح 154

الفصل الثالث

المساهمات البحثية اللسانية العرفنية الجزائرية

- أولاً: قراءة في كتاب: مباحث لسانيات عرفنية للأستاذ الدكتور صالح غيلوس 158
- ثانياً: التلقي والإنتاج في ضوء العرفنية تنظير وإجراء: 192
- ثالثاً: المنهج المعرفي في المقام التربوي لعمر بن دحمان 215
- رابعاً: مجالات اشتغال اللسانيات في ضوء التصور العرفاني لعبد القادر صام 229
- خامساً: من قضايا اللسانيات المعرفية، مجموعة من المؤلفين 250
- سادساً: المزج المفهومي ودوره في بلورة المعاني المجازية سلمى شويط 256
- سابعاً: الاستعارة في نماذج من نصوص شعرية جعفري عواطف 267
- الخاتمة 278
- قائمة المصادر والمراجع 284
- فهرس المحتويات 298

الملخص:

تُعَدُّ اللسانيات العرفية حقلاً لسانياً حديثاً يهتم بدراسة العلاقة بين اللغة والعقل والجسد من منظور عرفاني، معتمداً على ما تنتجه جملة العلوم المعرفية الأخرى كعلم النفس المعرفي والذكاء الاصطناعي وغيرها من العلوم، وقد عرفت اللسانيات العرفية انتشاراً واسعاً في الآونة الأخيرة مما أدى إلى الإقبال عليها من طرف العديد من الباحثين من بينهم الباحثون العرب من خلال التنظير والتطبيق عليها، وقد اهتمت الدراسات اللسانية الجزائرية في أجرة هذه المفاهيم العرفية وتحليلها، واستكشاف مدى نجاح تطبيق نظرياتها وآلياتها الإجرائية على قضايا لغوية متعددة على نحو اكتساب اللغة وإنتاج الدلالة، والتركيز على الجانب الذهني للمعرفة ومدى إمكانية الاستفادة منها، كما عرف هذا التناول عدة صعوبات قد واجهت الباحثين من ناحية كمعضلة الترجمة وتحديات تكييف المصطلح اللساني الغربي ضمن البيئة العربية، استوجب البحث منهجاً وصفيًا مع إجراءات التحليل لمقارنة مجموعة الأعمال اللسانية العربية في شقها الترجمي والمساهمات اللسانية العرفية الجزائرية في شقها التنظيري والإجرائي التي ساهمت في تطوير الدراسات اللسانية العربية خاصة في ظل انفتاحها على جملة العلوم المعرفية الحديثة وقد خلصنا إلى أن اللسانيات العرفية قد نجحت في إحداث نقلة نوعية على مستوى الدرس اللغوي من حيث المنهج والإجراء، كما أنها أفادت في تطوير الآليات التحليلية في تفسيرها للقضايا اللغوية، إلى جانب هذا بينت الدراسة أن الأبحاث العرفية اللغوية الجزائرية لا تقل أهمية عن غيرها من الدراسات حيث قدموا أعمالاً مهمة على الرغم من تكتفه من صعوبات وتعقيدات، وعدم التطبيق الفعلي والميداني جراء تطبيق مفاهيم اللسانيات العرفية على مجالات اللغة المختلفة كالتعليمية، ومجموعة الأسيقة الثقافية واللغوية المتعددة.

الكلمات المفتاحية:

Abstract :

Cognitive linguistics is a relatively recent linguistic field that focuses on studying the relationship between language, mind, and body from a cognitive perspective. It draws on insights from other cognitive sciences such as cognitive psychology, artificial intelligence, and others. Cognitive linguistics has seen widespread adoption in recent years, attracting many researchers, including Arab scholars who have applied and theorized about its concepts. Algerian linguistic studies have specifically explored and analyzed these cognitive concepts, examining their theoretical and procedural applications to various linguistic issues related to language acquisition, meaning production, and emphasizing the cognitive aspects of knowledge and their potential utility. This approach has faced several challenges, including translation difficulties and adapting Western linguistic terminology within the Arab context. Research has typically employed descriptive methodologies with analytical procedures to compare Arabic linguistic works in translation and Algerian cognitive linguistic contributions in theoretical and procedural aspects, contributing to the advancement of Arab linguistic studies amid openness to modern cognitive sciences. Cognitive linguistics has indeed made significant methodological and procedural advancements in linguistic studies, aiding in the development of analytical mechanisms for interpreting linguistic issues. Moreover, studies have underscored the importance of Algerian cognitive linguistic research, despite its complexities and challenges, in various linguistic domains such as education and cultural and linguistic diversity contexts.

Keywords: